

## ديوانُ السُّليمانيات (الجزءُ الثاني)



نحو شعر عربي أصيل وهادئ وبناء وجاد ومحترم  
(عَزِيْزُ النَّفْسِ) دِيوَانُ الْجِرَاحِ تُحْطَمُ سَعْدُهُ الْحَرْبُ الرَّدَّاحُ  
أَصَوْرٌ فِيهِ مَأْسَاءٌ طَغَتْ يُعَكِّرُ شَرُّهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحُ  
وَهُمْ فَوْقَ هَمٍّ يَبْتَلِي! هُمُومٌ تَلِكُ عَاتِيَةٌ قِبَاحُ  
وَأَهَاتٌ تَزْمَجِرُ فِي النَّهْيِ وَتُمْعِنُ فِي التَّأْوِهِ وَالصِّيَّاحُ!

هذا الديوان مكتوب على جميع بحور الشعر العربي أصيلاً ومولداً وما

يسمى بتمجيلة الشعر! ويصلح لأن يترجم لعل عروضا الشعر!







# ديوان السليمانيات

(الجزء الثاني)

## عزيز النفس

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى





# ديوان

## عزيز النفس

(((((قصيد إلى عيني))))))

((((شعر / أحمد علي سليمان عبدالرحيم))))

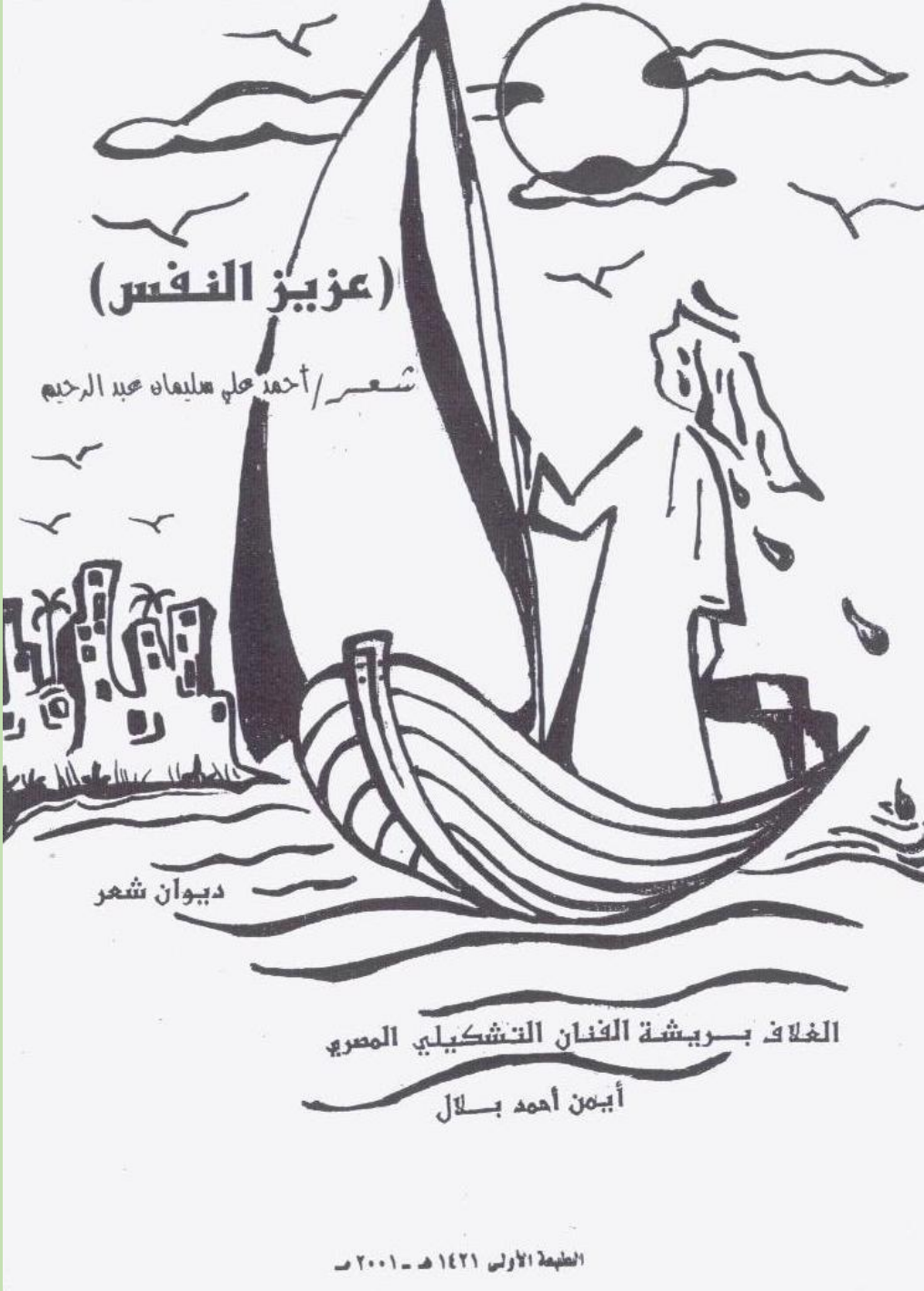
(( الطبعة الأولى ))











# (عزيز النفس)

شعر / أحمد حلم سليمان عبد الرحيم

ديوان شعر

الغلاف بريشة الفنان التشكيلي المصري

أيمن أحمد بلال

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م



## جميع الحقوق محفوظة

ألا وإن جميع حقوق الطبع والتوزيع والنشر والتأليف وإعادة الطبع محفوظة للمؤلف ، ولا يجوز إطلاقاً طبع أو اقتباس أو إعادة طبع كل أو جزء من قصائد هذا الديوان أو تخزينه في أي نظام لتخزين المعلومات واسترجاعها واستبقائها ، أو نقله على أية هيئة أو وسيلة: سواء كانت إلكترونية أو كمبيوترية (حاسوبية) أو حتى شرائط ممغطة صوتية أو مرئية أو صوتية مرئية في الوقت ذاته ، أو ميكانيكية أو استنساخاً أو تسجيلاً ، أو الترجمة لأي لغة من لغات العالم المعروفة ، أو تحويله إلى أعمال إذاعية أو مرئية ، أو نشره في صورة صحفية ، أو في مقتطفات ، أو في جريدة يومية، أو مجلة من أي نوع ، أو ما شابه ذلك من طرق النشر والطبع والتأليف ، إلا بإذن خطي من المؤلف ما دام حياً يرزق ، أو من ورثته بعد موته. وهذا محض حقه ككاتب وشاعر. حق كفلته شريعة الله كتاباً وسنة! والله يقول الحق وهو سبحانه وتعالى يهدي السبيل!



## كلمة

الحمد لله ، وعد وعد الصدق لمن اتخذه وكيفا ، ورضي به كفيلا ، وجعل إبراهيم خليفة (إنه كان أمة قانتًا) واتخذة خليلا ، وأمره ببناء البيت الذي يقصده من كل فج عميق من استطاع إليه سبيلا ، وجعله إمام الحنفاء وحاطم الأصنام ، تبارك ربنا الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء تضليلا ، بدعوته ذريته محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً وسيداً ونبياً ورسولاً ، فهو دعوة أبيه إبراهيم كما أخبر عنه في «الصحيح» إن دعاءه كان مقبولاً. اللهم أحينا وأمتنا وابعثنا على ملته وشريعته!

أحمده على أن أتانا منه رسول أمين بكتاب كريم ، وأنه حريص علينا ، وأنه لعل خلق عظيم ، كما أخبر عنه العلي الحكيم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم وأمره باتباع ملة أبيه إبراهيم حنيفاً ، فأرسله بين يدي الساعة كالمسبحة والوسطى نذيراً ، وأخبر عن جميع الفتن والملاحم والأشراط الكائنة قبلها فاسأل به خبيراً ، فبلغ وأدى وحذر أمته الفتن عموماً ، والدجال خصوصاً تحذيراً ، وهدى أمته صراطاً قيماً مستقيماً ، فصل ربّي عليه وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين ، وأصحابه الغر الأبطال الميامين والأعزاء المحجلين ومن اتبعهم وسار على نهجهم الحق – من غير تحريف ولا تبديل ولا تعطيل - إلى يوم الدين.

وبعد ، فإن هناك كلمة لا بد منها للقارئ ، قبل أن يستأنف قراءته الحبيبة في ديوان «عزيز النفس». وهي أن قصائد هذا الديوان هي في حقيقتها باقة من خلجات العاطفة ، ما كان لها أن تصاغ لولا إرادة الله ، ثم هذا الحادث الذي نزل بي فأدمى خاطري ومقلتي وجبيني وأحاسيسي: ومن هنا أتت الفكرة الشعرية والتجربة الذاتية على غير نسق واحدٍ يلم شتاتها ، فتارة أتحدث عن أيام طفولتي فأتذكر من معنى الطفولة في سالفات الأيام ، وأخرى أتذكر أيام الصبا ، وثالثة

أتذكر من أيام العريف (أي: المعلم الذي كان يعلمني القرآن) ، ورابعة أتذكر المرحلة الإعدادية (أيام كتبت الشعر لأول مرة) ، وخامسة أتذكر أيام المرحلة الثانوية ، وسادسة أتذكر من أيام الأصدقاء (أصحاب الماضي) ، وسابعة أتذكر من ذكريات العائلة أبي وأمي وإخوتي وأخواتي ، وثامنة أتذكر من خواطر أصحاب الحقوق علي كآساتذتي ومعارفي ومعلمي: فأتذكر من ذكريات الكلية (كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة) ، وأتذكر الجرح الذي يثعب دمًا ليل نهار (جرح أمة الإسلام) ، فأعود بالذاكرة إلى أيام مجد وعز الإسلام ، مارًا بفترات الضعف والهوان ، ورابطًا هذا كله بالفترة الحرجة المعاشة على أرض الواقع اليوم. فما أجمل الربط بالواقع ، مهما كانت النتائج!

وإذن ، فقصائد الديوان عامة ، وقصيدة (قراءة في أوراق الماضي) خاصة - هذا إن جاز لنا أن نسميها قصيدة - حوت الكثير من الذي أظرق الآن. وعبر كلمتي هذه ومرة رابعة أشكر من أعماق فؤادي أسرة تحرير جريدة (الوحدة العربية). وأشكر من أعماق فؤادي الدكتور الفذ صلاح الدين جاب الله الأجاوي.

أشكر الشاعر الكبير أبا آدم الأستاذ هشام أفندي فائق شعشاعة (الذي شجعني كثير التشجيع ، وصحح لي كثيرًا من الأخطاء العويصة في شعري).

وأشكر الشاعر القدير الأستاذ/ سالم محمد سالم النوبي ، موجه أول اللغة العربية من أهل (أجا) الكرام. حيث راجع أكثر من نصف الشعر نقدًا وتصحيحًا.

وأشكر الدكتورة / ثريا عبد الله نور الدين ، استشارية جراحة العيون ورئيسة قسم العيون ، وذلك بما أسدت وبذلت من تشجيع كذلك حيال الشعر والشعراء. وأشكر سماحة الوالد الدكتور الشاعر عدنان النحوي جزيل الشكر!

والله - سبحانه وتعالى وعز وجل - الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل!



## موضوع الغلاف

الحمد لله العزيز الأول ، العظيم الجليل الذي لا يتحول ، ولا تُعَيَّر من صفاته  
الدهور ولا الأعصار ، ولا يُفنيه حدثان الليل والنهار ، هو الذي أنشأ الوجود من العدم  
وقدر ما كان ويكون وسيكون قبل أن يكون في اللوح والقلم ، وخلق آدم وجعل من  
نسله العرب والعجم ، واصطفى منهم نبينا محمداً وأكمل به ديوان الأنبياء وختم ،  
ونسخ بشريعته جميع الشرائع ، وأوجب طاعته على الخلائق من عاصٍ وطائع ،  
وجعل دول الإسلام مقيدة بالخلفاء الراشدين فكانوا الملائمة بعد الله في الأرض لكل طائع  
انتظم في سلك المهتدين. أحمده حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، ويدفع نقمه ،  
ويستجلب رُحمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا أعبد إلا إياه ذا  
الفضل والكرم ، وصلى الله على نبيه محمد عبده ورسوله ، وعلى آله الطيبين  
الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه الغر الميامين والأبطال المحجلين ومن  
اتبع سبيله القويم ، وانتهج منهاجه وسار على دربه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد ، فإن قصة غلاف هذا الديوان «عزيز النفس» بدأت قبل الشروع في  
تأليفه ، حيث أخذت أتصور ماهيته وكُنْهه قبل أن تتحرك قشعريرة القريض في  
جوانحي ، إلى أن عثرت قدراً على هذه الصورة المعبرة ، والتي ليست صورة حقيقية  
تتجسد فيها الملامح والقسمات وتضاهي بخلق الله - معاذ الله - من التصوير  
والمصورين ، بل الغلاف يصور معاناة عشتها بالصوت والصورة ، بالروح والدم ،  
بالأفراح والأتراح. فجعلتها واجهة الديوان راضياً بما قسم الله لي من الابتلاء والمحنة.  
وكما يقول المثل العربي البديع: (ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة).

ومن هنا فاتني أحس بحقيقة رسم هذا الغلاف أكثر من غيره بكثير. ولقد اعترض على  
ذلك الرسم أصدقاء كثيرون ، وما استجبتُ لواحد من هذه الاعتراضات ، لأنني أشعر

بما يوحيه غلافي أكثر من غيري ، فوالله لقد كانت صورة الدنيا عقيب الحادث هي ما رسم على الغلاف بالفعل ، دنيا قاتمة سوداء وبنائيات متصدعة متحطمة ، وما استقامت صورة أي شيء في عيني منذ الحادث وإلى يوم الناس هذا ، ويوحي لنا الغلاف كذلك بدموع تنحدر من مقلة تكلى غاب ضوءها ، تنحدر الدموع دمعة بعد الأخرى منها ، وليس ذلك قنوطاً من رحمة الله - حاشا لله - بل تنحدر على الذكريات السالفة والحال المعاش اليوم. ويبدو في الغلاف كذلك وجوم جبين الشاعر حيث يبكي خذلان الرفاق ، ورجوع قلوب إلى الانحدار نحو الهاوية ، حيث إنها لم تصبح اليوم على الذي كانت عليه بالأمس ، كما يبدو في الغلاف كذلك سكون الجو من حولي ، ذلك السكون المريب ، كما قد نقش على الغلاف كذلك عبارة (قصاد إلى عيني) مما يشي للقارئ بأنني إنما أسطر قصاندي هذه إلى مقلتي (تلك المقلة اليسرى الدامعة التي تبدو في رسم الغلاف). كانت هذه نبذة صغيرة خاطفة عن موضوع وقصة وإن كنتُ الغلاف. أردت بها أن أحيط القارئ بحقيقة اختيار ذلك الغلاف لذلك الديوان. وإن كنت أنسى نسي فلا أنسى ، ولا ينبغي أن أنسى تقديم الشكر الجميل للدكتور الشاعر عدنان النحوي وللأستاذ الشاعر سالم محمد سالم النوبي موجه اللغة العربية ، حيث إنهما قد راجعا هذا الديوان صفحة صفحة وقصيدة قصيدة وكلمة كلمة ، وأرشداني إلى ما كان يحتوي من سلبيات وإيجابيات! فجزاهما الله ربي خيراً كثيراً عني وعن شعري ، بما بذلا وبما تفضلا وبما أرشدا! والله الهادي إلى سواء السبيل.

## مقدمة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، سبحانه الباقي بعد فناء خلقه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته ، وواحد في ربوبيته ، وواحد في أسمائه وصفاته. لا ند له ولا مثل ، ولا كفؤ ولا نظير ، ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خير من شهد شهادة الحق ، فصل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين. وبعد، فإن ديوان «عزيز النفس» أو (قصائد إلى عيني) ، ترجمة حقيقية للمعاناة التي عشتها في يوم الخميس 1994/11/25م وإلى يوم الناس هذا وحتى ألقى الله تعالى ، لا أعاد الله يوماً كهذا ، لا علينا ولا على أي مسلم مؤمن موحد ، أمين. ولقد عشت أبيات قصائده بيتاً بيتاً ، بل عشتها لفظاً لفظاً وحرفاً حرفاً. نعم ، عشتها بالدمع والدمم معاً ، وذلك منذ كانت إصابتي في حادث سيارة ، (كان يقودها صديقي محمد سيد محمد فرج) ، في اليوم الذي ذكرت وأذكر ولا زلت أذكر وسأظلُّ أذكر ما حبيت ، ومع قدوم الليل الموغل في المسير من ذلك اليوم ، كنت قد بدأت أعيش المعاناة حق المعاشة. وأخذت أنتحب وأتالم وأبكي وأسترجع وأحولق وأحوقل ، لا يسمعي وأنا في كربى إلا الله العظيم. وتذكرت قول الله تعالى من سورة يونس المكية المباركة: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله)!

ولقد سبقت هذا الحادث جملة ابتلاءات عانيت منها أشد المعاناة. وإن كنت أنسى فلا أنسى أعتاها بإطلاق ، ألا وهو خيانة الصَّحْب ورفقاءِ الدرب ، وهذا من أشد ما يصيب إنساناً ، أن يصاب في رجل كان يدخره للشدائد والمحن ، فإذا به عميلٌ منافق يقدّم حبيبته وصفيّه لقمة سائغة للشيطان ، إن المرء إذا أُخبر بأن مثل هذا صاحب الخائن أو المنافق قد مات لكان ذلك أهون. وكم هي غنيمة باردة كالنسيم

لأعداء القِيمِ والحنيفيةِ السمحة: أن يصبح أبناء الحق وأتباع الوحي أعداءً يضرب كلّ منهم الآخر ، أو يضرب بعضهم رقابَ بعض. (ألا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض)! ثم كان البلاء في مقتلتي اليسرى فُرِحَتْ أرثيها ببعض أشعاري ، وتذكرت لذا آياتِ شتى وأحاديثَ شتى في بلاء الأنبياء والصالحين والأمثل فالأمثل ، وأسأل الله أن يجعلني معهم ، وأن يرزقني بعيني الفردوسَ الأعلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحَسَنَ أولئك رفيقاً. فكتبتُ قصائدي هذي في الراحلة الحاضرة (مقلتي اليسرى) ، وتذكرتُ حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم عند مالك والترمذي: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» ، وكذا حديثه عند الترمذي: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَهُ - أَي: عَيْنَهُ - فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ» ، وحديثه عند البخاري: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ - أَي: عَيْنَيْهِ - ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» ، وزاد الموصلي زيادةً فيها لئن لکن لا بأس من ذكرها في هذا المكان للعبرة والعظة ، قال أنس: يا رسول الله ، وإن كانت واحدة؟ قال: «وإن كانت واحدة» يريد العين. وذكرت حديثه عند الطبراني في «معجمه الأوسط عن ابن عباس: «مَنْ أَصِيبَ بِمَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ فَكْتَمَهَا وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ». ونسأل الله العظيم الجليل بهذا المصاب الأليم الفظيع ، أن يغفر لنا الذنب ، ويستر العيب ، ويدخلنا الجنة. آمين.

## إهداء

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد. أهدي هذا الديوان الجريح الدامي «عزيز النفس» إلى مقلتي الغائبة الحاضرة ، والتي كان آخر ما أبصرته بها الدنيا الفانية الزائلة والظلام الدامس البهيم المخلوك ، وأهديه أيضاً لأسرتي الحبيبة الغالية ، والتي هي أعز ما أملك في حياتي بعد الإسلام. ثم أهديه لكل موحد صادق مخلص ليكون صورة من صور المعاناة في تحمّل المشاق والصبر على مقدور المليك تبارك وتعالى ، حتى إذا كان المصاب كان التصبر والاحتساب بديلاً عن القنوط والزيغ والهلع والذعر ، ذلك أنّ القنوط إن أردنا تشخيصه فهو طريق إلى عدم الرضا بقضاء الله وقدره. ألا وإنّ الموحد الصادق ليرضى بما قسم الله له وقدّر له. ولقد تفضلت جريدة «الوحدة العربية» بنشر معظم قصائد هذا الديوان ، وذلك على مدى سنة مضت ألا وهي مدة العلاج والعمليات وما تطلّبه الحادث من لزوم السرير ريثما أمتثل للشفاء ، وذلك ضمن صفحة الجريدة اليومية (دوحة الوحدة الأدبية) ، وإنني لأشكرها الشكر الجزيل أنّ أتاحت الفرصة لي عبر صفحاتها تلك لنشر المشاعر الجريحة الدامية التي عشتها مذ كان الحادث الذي تمّت فيه إصابتي وكنّت ضحيته الوحيدة ، وأحمد الله أولاً وآخراً أن أعاني على تحويل المشاعر والأحاسيس إلى أشعار يقرأها الناس.

اللهمّ يا رحمن ، يا من علّمنا القرآن وعلمتنا كذلك البيان ، لك الحمد ربي حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد إلى يوم القيامة ، وإنّ رحمتك لأوسع من مصابي وألمي. وأحبّ أن أقول: لقد كنت أكتب الشعر العربي الموزون المقفى من قبل على عدد من بحور الشعر محدودة وقوافٍ محدودة ، شأنى في ذلك شأن الشعراء الذين هم في أول الطريق ، إلا أنني عندما كان ذلك الحادث أخذت العهد على نفسي أن أرثي مقلتي بكل بحر في العربية الحقّة وكم كانت التجربة عاتية!

وسرعان ما أعانني الله تعالى وتحقق العزم الذي اعتزمت ، ورحت أرثي مقلتي على كل البحور ، تلك التي كتب عليها الأونل والأواخر من الشعراء الذين يكتبون الشعر العربي الأصيل ، حتى كان الدّور على ما يسمى بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو النثر المشعور أو الشعر المنثور ، أو التشطير الشعري ، أو الخواطر الشعرية ، أو الشعر الحديث ، قلتُ في نفسي: إنَّ مقلتي أعلى من الشعر أيًا كان نوعه ، فكتبتُ على كل البحور أصيلها ومولِّدها ، بل لقد عشت مع بعض الشعراء في معاناتهم ورحت أكتب على ذاتِ رويهم ، وكذا أوزانهم ، وبالغتُ فرحتُ أردُّ عليهم بعض أسنلتهم وتصوراتهم ، فخرج الديوان مجموعة منّ المشاعر ، وإن كانت أليمة.

وأما تسميته «عزيز النفس» فجاءت قدراً ، وهي على أي حال على اسم قصيدة تحمل نفسَ العنوان: «عزيز النفس» ، والعزة التي أعنيها هنا هي: عِزة الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره ، والتعالي على المُصاب واحتوانه ، ذلك أن الإيمان أقوى منه ، ولذا صبرتُ واحتسبتُ ، واسترجعت ورضيت ، والله يشهد.

وكنتُ قد بدأت تأليف القصائد منذ صبيحة الحادث وحتى نفس اليوم من السنة التي تلت الحادث. وبدأت بالقصائد الأولى والموزونة والمقفاة والمكتوبة بالتالي على البحور الأصيلة ، ثم التي على البحور المولدة ، وهناك قصائد قبل العمليات الجراحية وأخرى بعدها ، وقصيدة طويلة تحمل عنوان: (قراءة في أوراق الماضي) ، ولا يطيب لخطري تسميتها بالشعر ، ولكن لأنها مكتوبة ضمن مجموعة قصائد ، فإنني أطلق عليها شعراً من باب التغليب لا من باب الوصف ، وإلا فإنها ليست بالشعر. وعن مستقبل قصيدة النثر العربية يقول الأستاذ الشاعر السوري منذر مصري يقول ما نصه: (لم أسأل يوماً ، بالرغم من أنني أحد شعراء قصيدة النثر ، الذين قضوا جُل حياتهم يكتبونها ، ويدافعون عنها ، ويبشرون بها: «ما مستقبل قصيدة النثر العربية؟» إلا وأبدت بعض التردد ، لدرجة أبدو بها كأني غير راغب

في الإجابة. ولكن ، مرة ، وأنا أحاول التهرب كعادتي ، بحجة أنني لست الشخص المناسب لتقديم الجواب الشافي على هذا السؤال ، واجهني صديقي الشاعر عباس بيضون بسؤال آخر ، من النوع الذي يحار المرء مهما بلغت حجته كيف يرد عليه: «لماذا لا؟». حقًا ، لماذا لا؟! وما أنذا أفعل. ولكن ذلك لن يحول دون ذكرى الأسباب التي كانت تدفعني للتردد ، وهي مثلها مثل كل شيء نبرر به ما نفعله وما لا نفعله تنقسم إلى أسباب خاصة ، داخلية في ، وأسباب أخرى خارجة عني ، عامة ، داخلية في الموضوع نفسه. وعموماً الفرحة ليس مهنتي. والنقد كذلك: أولاً ، مشيراً إلى ظاهرة ، أن عامة المشتغلين في نقد الشعر عندنا ، هم الشعراء أنفسهم. عملاً بالقول الجاري: «أهل مكة أدرى بشعابها» ، فذلك صدقاً يستدعي أول ما يستدعي السؤال: ما إذا كان الشعراء حياديين عند الحكم على أنفسهم أو على نتاج أقرانهم؟ أو ما إذا كانوا مؤهلين؟ أو هل يمتلكون الحق؟! ولا أظن التذكير بمكانة ص. ت. كولريدج كناقد ، أو شارل بودلير ، أو بول فاليري أو ، ت. س. إليوت ، أو أرشيبالد ماكليش صاحب كتاب «الشعر والتجربة» ، وغيرهم من الشعراء الذين عُرفوا بكتاباتهم التنظيرية والنقدية عن الشعر والشعراء ، يصلح كإجابة داحضة لهذه التساؤلات. ذلك أنهم ، كانوا أقرب إلى المنظرين لمدارس ومناهج ورؤى شعرية جديدة ، منهم إلى نقاد مختصين. كما أنهم أقرب لأن يشكلوا ظاهرة لافتة وليس قاعدة عامة. هـ. وإذن فقصيصة: (قراءة في أوراق الماضي) هي خاطرة نثرية لم أكررها أبداً في أي ديوان آخر!

**وأخيراً أقول للقارئ:** إنه إن وجد في شعري من خير فمن الله ، وإن وجد غير ذلك فمن نفسي والشيطان. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والله الحمد أولاً وآخراً.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْإِفْتِتَاحِيَّة

أخي العزيز الأثر

كل عام وأنتم بخير  
تقبل الدمع والمغرم  
أفوك المني  
أبو آدم

01-02-1997

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، مكور الليل على  
النهار ، تذكرة لأولي القلوب والأبصار ، وتبصرة لذوي الأبواب  
والاعتبار ، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهدهم في هذه الدار

الحمد لله الذي شغل خلقه بمراقبته وإدامة الأفكار ، وملازمة الاتعاظ والادكار ، ووفقهم للدأب في الطاعة له والتأهب لدار القرار ، والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار ، والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار. أحمدته أبلغ حمد وأزكاه ، وأشمله وأناماه ، وأشهد أن لا إله يُعبد بحق في السماوات والأرض إلا الله البر الرحيم الكريم ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ، وحببيه وخليئه ، الهادي إلى صراطه المستقيم ، والداعي إلى دينه القويم. صلوات الله ربي وسلامه عليه ، وعلى سائر الرسل والنبیین ، وآل كلِّ ، وسائر الصالحين.

أما بعد ، فإنني أشكر صاحب الغائب الحاضر أبا آدم (هشام أفندي فائق شعشاعة) على ما تفضل علي به من تشجيع متواصل على صياغة القريض والترنم به وحبكه وتنميق ديباجته ، وكم كان لنصائحه الغالية أطيّب الأثر في نفسي ، وما تذكرته إلا دعوت له وأسأل الله أن يهدينا وإياه سواء السبيل وأن يفرج كربنا وكربه ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والفعل والعمل وحسن الاعتقاد ، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه. وكنت قد عزمت على أن أتحف ديوان «عزيز النفس» بشيء من آثار الصديق الحبيب أبي آدم ، وما إن تيسر لي ذلك برسالة أرسلها لي من دار غربته إلى دار غربتي حتى جعلتها افتتاحية ديواني «عزيز النفس» ، مذكرًا إياه أنني ما نسيته ، ولكنها الأقدار تفرق الأحبة وتجمعهم لحكمة يعلمها الله ، ومذكرًا إياه أن ذكرياتنا معًا لا تنسى على مر الأيام وكر الشهور وتعاقب السنين ، ومذكرًا بأن أخوتنا وصدقائنا ومودتنا باقية ما بقيت. وإن كنتُ أنسى فلا أنسى صحبتنا معًا منذ عام 1990م وحتى 1995م ، عرفته خلال هذه الفترة الصديق البر والشاعر النحرير المتمكن من الشعر ، ولا يمكن لشجرة أخوتنا أن تموت وقد غرسناها ، وكذلك رعايناها معًا على بساط الحب وبماء المودة سقيناها. وهناك في صفحة (دوحة الوحدة

الأدبية) التقينا شاعرين وأدبيين يحرص كل منهما على الذود عن القيم والفضائل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ويومها أفسح لي المجال فكتبت قصيدتي: الياسمينه ، وقام بنشرها يوم 1995/3/23م ، وكانت هذه هي البداية العذبة التي انطلقت منها للنشر المنتظم في صفحة يومية في جريدة ، وخلفته بعد ذلك على تحرير الصفحة وتغير لذلك عنوانها فصارت (دوحة الوحدة الشعرية) ، غير أن الجدير بالذكر أن أبا آدم كان نعم الصاحب والناصح خاصة في كل القضايا الأدبية التي تتعلق حقاً بالشعر: أدبه وتذوقه ، وصياغته وتركيبه ، وموضوعاته.

والله لقد قرأتُ على أبي آدم قصائد شتى منها ما يزيد على الخمسمائة بيت ، كالقصيدة القطبية ، وكان له في هذه الأبيات نظرة فاقت كل نظرة ، ورؤية فاقت كل رؤية ، وإن كنت لأرجع معه لأمهات المراجع والأبحاث وكتب العروض وكتب النحو والصرف ، للوقوف على ما ارتآه عليها من الملاحظات ، ورأيته وعرفته في نقده للشعر قوي الحجة ، وإن كان ليحفظ المتون كلها ويستظهر العروض كله ويستظهر الشواهد الخاصة بأي مسألة تتعلق بالنحو أو الصرف أو العروض.

وتنبأ لهذه القصيدة القطبية بمستقبل كبير يوم يراها الناس ، وتوقف عندها بالفحص والدرس ، وكما كانت عنده الرغبة في قراءة أبياتها جميعاً لولا مشيئة الله وقدر الله الغالب. غير أنني عملت بنصاحه الذهبية في السير على المنوال ذاته في القصيدة الميمية في الانتصار لصاحب المعالم والظلال عليه رحمه الله ، وكذلك معظم قصائد «عزيز النفس» إن لم يكن كلها ، لحظة ميلاد كل قصيدة وبعد التكوين ، كانت لأبي آدم البصمة أو النظرة الأخيرة ، وكذلك القصيدة اللامية كاملة - على طولها - ، والقصيدة الرائية كاملة - على طولها كذلك - ، والقصيدة النونية - كاملة - ، واختلف بنا المكان والزمان ، وعشنا ذكريات شتى ، منها ما يتعلق بالشعر والأدب والنقد ، ومنها الذي يتعلق بالحنيفية السمحة عقيدة

وشريعة ، فكان نعم الرفيق لولا هُنَاتٌ يقتنصها الشيطان من ابن آدم في لحظات الضعف. فكنا نتجاذب أطراف الحديث بكل موضوعية وحياد ، فأقرأ عليه ، ويقراً عليّ ، فيعترض وأعترض ، ويوافق وأوافق دون ضجر. ومضت بنا الذكريات مشرقة ومغربة ، واتسع قلب كل منا ليحتوي الآخر ، وتحاببنا في الله ولا نزال ، والله الحمد والمنة ، وإنني إذ أكتب هذا الذي أكتبه فللتاريخ والحقيقة ليس إلا ، وأسأل الله تعالى كما فرق بيننا في تباعد المسافات ، أن يجمع بيننا على خير.

وأعتب عليك يا ابن شعشاعة أن تعطي نفسك في رسالتي لقب: «المنسي» ، تلك الكلمة ذات المعاني المتعددة والتي لها كبير الأثر في نفس الإنسان العادي - فضلاً عن أن يكون شاعرًا - ، وكنت أنتظر منك أن تقدر الظروف التي أعيش ، وترحم الحال الذي أعيش ، وتجبر الكسر الذي حل بي ، وتعرف بعين بصيرتك القلب الفذ الذي ادخرت ليوم كريهة! والرجل الذي ادخرت لعاديات الأيام وقوارع الدهر.

وأعدك يا أبا آدم أنني على العهد - عهد المودة والمحبة - باقي ، وأهيب بك وأعظك أن تعود للذي كتبت فإنه قاسٍ للغاية ، وكلي أمل أن تعود لما عرفته فيك من الحب والإخاء والترفع عن أن تصيب أخًا بجهالة ؛ فتصبح على الذي اجترحت من النادمين ، والله لو كنت أستطيع اللحاق بك ما تأخرت ، ولو كنت أستطيع مساعدتك بأي شيء من حطام الدنيا ما تأخرت وما ادخرت بذلي لغيرك. وما غيرك أولى بالذي أبذله له ، ولكنه النصيب والقدر: (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر). وإن الله واجدٌ لك مخرجًا لا محالة ، وهذه يا أبا آدم من أجدديات العقيدة وأوليات التوحيد ، «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك». وأعتقد أنه بهذي الافتتاحية أكون قد قدمت للتاريخ وللحقيقة شيئًا من حقه عليّ. وإنني إذ افتتح بها ديوان «عزيز النفس» - ذلك الديوان الجريح - فلعلني بهذا أكون قد وفيت بعض الجميل الذي أسديته لي وأنت

تَقوّم العِوَجَ الذي في بعض قصائد هذا الديوان. ولا زلت أذكر سعادتك عندما قلت لك: إنني عازم على كتابة ديوان لم تسمع به البشرية من قبل ، حيث إنه مصوغ على كل بحور الشعر العربي ، أصيلها ومولدها ، وقد قمتَ بالذي عليك من التشجيع والتقويم المستمرين ، وكان ذلك الديوان يومها في الغيب المخبوء ، وبالجهد المتواصل أخرجته والله الحمد أولاً وآخراً ، (وما بكم من نعمة فمن الله). وأحب أن أقول: لقد خسرتُ كثيراً بفراقي لك والله يعوضني ، خسرتُ الناصح الأمين والخل الوفي والخبير بالشعر. فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا نقول ما يغضب الله الرب سبحانه وتعالى. ألا وإن العين لتدمع ، وإن القلب ليخشع ، وإن النفس لتجزع ، وإنا لفراقك يا هشام لمحزونون ، وإنا على فراقك لنصبر والله ربنا هو وحده المستعان على ما نحن فيه! هو حسبنا ، فنعم المولى ونعم النصير.

ما شاء الله ربي سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن. آمنا يا ربنا بما قدرت لنا!



## البراع والدموع

(أصبت في حادثٍ أليم ، كان سبباً في إصابة مقلتي اليسرى. وذلك في 25 نوفمبر 1994م ، فأمسكت القلم ، وطال ليّل الرثاء. وأخذت العهد على نفسي أن أبكي عيني على كل محور الشعر العربي الفذّ الأصيل: أصيلها ومولدها وحديثها ، بل ما يسمّى بالشعر الحر الذي ليس هو بالشعر وإن زعم له أصحابه أنه شعر. وإن كان غير ذي تأثير ، وليس له جمهور إلا من الكارهين للعربية الجاهلين بها وبشعرها وأدبها! ولقد سئل أستاذنا الكبير سماحة الوالد الشاعر الأديب الدكتور عدنان النحوي عن جمهور ما يسمى بشعر التفعيلة أو الشعر الحر المتفلسف من الوزن والقافية فقيل له: هل يمكن القول بوجود جمهور خاص يتذوق الأدب الإسلامي؟ فكان جواب الدكتور عدنان: (الجمهور الذي يتذوق الأدب الإسلامي إذا قيس بالذين يتذوقون الأدب المتفلسف نجده أقل ، وذلك بمقارنة مبيعات ديوان شعر إسلامي وديوان شعر متفلسف ، وألاحظ أن تذوق الشعر ضعيف بين الناشئة الإسلامية ، خلافاً لما كان عليه الحال عند العرب ، عندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك كان الشعر ديوان العرب ، وتكاد لا تجد أحداً لا يقول الشعر ولو بيتاً واحداً أو أبيات قليلة ، والمسلمون اليوم قد ضعف استخدام اللغة العربية بين مثقفيهم ، فما بالك بين الناشئة ، وغلبت العامية واللغات الأجنبية! فكان الشعر والنثر في المستوى الأدبي الرفيع من أهم أسلحة الإسلام. يمكن أن يكون هناك جمهور ينمو ويحتاج إلى رعاية وبناء ، وهنا لا يتحمل الأدب وحده المسؤولية ولا الأدباء وحدهم ، فالتربية والإعلام والواقع كله يؤثر تأثيراً مهماً في ذلك ، وكذلك مختلف مستويات الأمة ، فكل مسلم مسؤول! وأجواء الأدب عامة تؤثر في عملية بناء الجمهور ، حين يكون التصور للأدب الإسلامي أخذ مكانه في الواقع

عملياً ، وحين تكون النفوس كلها التقت على نهج موحد صاف وتلمس بركته في الشرق والغرب ، يجمع العزائم كلها ويزيل أسباب تفرقها. ولا أعتقد أننا نستطيع أن ندرس قضية الأدب الإسلامي معزولة عن سائر ميادين الحياة الإسلامية. فكل الميادين يجب أن تتساند ، ويدفع بعضها بعضاً ، ويثري بعضها بعضاً. وهذا يقودنا إلى الواقع الإسلامي كله في واقعنا اليوم ، وكيف تناثرت ميادينه ، حتى أصبح كل ميدان كأنه يعمل مستقلاً ، لا يستفيد من الميادين الأخرى كل الفائدة المرجوة).هـ. وسئل الدكتور عدنان النحوي عن عزل الشعر عن واقع الحياة وجعله مقتصرأ على المواعظ ، فقيل له: هناك محاولات من البعض لحصر الأدب الإسلامي ، في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية ، فما جهودكم في التصدي لهذا الأمر؟ فكان جوابه: (أعتقد أن محاولات حصر الأدب الإسلامي في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية هي محاولات ضعيفة لم يكن لها أثر حقيقي في الساحة الأدبية. لقد كانت المحاولات الأقوى هي محاولة عزل المواعظ عن الأدب الإسلامي ، وقد كتب في ذلك عدد من الأسماء المعروفة ، وتبعهم عدد من الأدباء. ويبدو أن السبب في ذلك هو هبوط مستوى المواعظ في مرحلة من مراحل العصر الحديث هبوطاً ابتعدت فيه المواعظ عن قضايا الأمة من ناحية ، وابتعدت عن الأسلوب الفني للأدب الملتزم بالإسلام وقواعده وعناصره الأساسية ، فهذا الهبوط مع ما كان يحمل من التقليد والتكرار أوجد النفور في عدد كبير من النفوس ، ولكن هذا يمثل مرحلة هبطت فيها الأمة كلها في أكثر من ميدان ، فلا عجب أن هبط مستوى الأدب أحياناً ، وهبطت المواعظ كذلك ، إلا أن تاريخنا الإسلامي يحمل أروع النماذج من أدب المواعظ والوصايا ، ذخائر غنية قد لا يتوافر مثلها لدى أي أمة أخرى ، فهي مواعظ ووصايا تجمع ناحيتين أو مجموعتين من الخصائص في آن واحد ، حيث تتفاعل هاتان المجموعتان فيما



بينهما لترتفعا بالنص إلى مستوى أدبي رفيع. هاتان المجموعتان من الخصائص هما الخصائص الإيمانية التي تجعل النص إسلامياً والخصائص الفنية التي تجعل النص أدبياً ولا تغني المجموعة الواحدة عن الأخرى في الأدب الملتزم بالإسلام. وفي هذا التصور لا يعود هنالك مجال لعزل أي ميدان من ميادين الأدب في الإسلام ، ولا لحصر الأدب في ميدان واحد فقط أو أكثر ، فحيثما توافرت هاتان المجموعتان من الخصائص أصبح النص أدباً إسلامياً أو أدباً ملتزماً بالإسلام).هـ. ولعلني عشت هذا الهاجس عندما عرضت بعض قصائدي على مدير تليفزيون إحدى القنوات العربية ومعه ليف من ذوي الشأن ، وتلوت بعضها في إحدى النوادي الأدبية التي كان جمهورها من المتخصصين في الأدب العربي والمعنيين به أكثر من غيرهم! وكانت المفاجأة من كلا الفريقين أن وعدوني بالاستضافة فقط في لقاءات رمضان الدينية ، وعبر أحدهم باللقاءات الرمضانية الصوفية! فقلت للفريقين: لا حاجة لي بلقاءاتكم ولا بأمسياتكم إن حصرت الشعر العربي في اللقاءات الرمضانية! كما أنني أربأ بنفسي وبشعري أن أنسب إلى الصوفية من قريب ولا من بعيد! وأعود لعيني البائسة المبتلاة فأواسيها وأبين لها أنني صابر على ألمي محتسب ، للأجر عند الله تعالى. مؤمناً بقضاء الله ، مستسلماً لقدره!)

فَأَنْتِ الْخَلُّ فِي لَيْلِ الضَّغِينَةِ  
وَأَنْتِ الْفَرْحُ لِلنَّفْسِ الطَّعِينَةِ  
وَبَعْدَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لِلْمَعِينَةِ  
فَدْتُكَ الرُّوحَ ، يَا هَذَا الْمَصُونَةَ  
يُسَانِنِي أَعْيَبَتِ الْخَنُونَةَ؟  
وَذَابَ الْجَبْرُ فِي الْآهِ الثَّمِينَةِ

تُورِقْنِي دَمَوْعَكَ يَا حَزِينَةَ  
وَأَنْتِ النَّوْرُ إِنْ أَمَرَّ تَدَاعَى  
وَأَنْتِ الْكَهْفُ فِي لَيْلِ الْمَنَايَا  
وَأَنْتِ فِي جَبِينِ الْمَرْءِ شَمْسٌ  
وَحَرْفِي قَدْ تَلَجَّجَ فِي ضَمِيرِي  
فَأَمْسَكْتُ الْيَرَاعَ ، وَرَحْتُ أَبْكَي

وتقوى الله للإنسان زينة  
 وما ردتته بلواه المتينة  
 وإنني مبتغ منه المعونة  
 وضمخ بالأذى نفساً شجينة  
 وغيب فرحة كانت مبينة  
 وسربل بسمتي هذي الحسينة  
 حياة تطرح الآه الكئينة  
 والمني مصابك ، يا حزينة  
 عسيراً ، ثم في ذاتي رعونة  
 على عين تعاني مستكينة  
 قروح العيب في نفسي القرينة  
 وأعتى المعولين رمى المصونة  
 تعذبني بهاتيك الذجونة  
 وغطتني السدياجير الخينة  
 وغصت بالأذى العين الرزينة  
 وعقبى الصبر خير تعرفينه  
 وإن غطى العباب ذرى السفينة  
 أتت بالصبر آيات مبينة  
 ألا يا نفس رفقا يا أمينة!  
 وفي بعض الرضا سلوى دفيئة  
 وعقبى السخط قاسية غيبنة

فكففت الدموع ، وقلت صبراً  
 وكم من مبتلى ، ونراه يلهو!  
 وغائبتي - هنالك - عند ربّي  
 مصابك أورت النفس اكتئاباً  
 وأودى بالأماني والحنايا  
 وعزقل خطوتي نحو المعالي  
 إلى أن صرت جسماً ليس فيه  
 بكت عيناى من فرط البلايا  
 وقد بات التصبر في المنايا  
 أسير الدمع والشكوى فوادي  
 وما بالصبر من عيب ، ولكن  
 تناولها المصاب بمغوليه  
 بسهم الموت مرقها ، فباتت  
 وأظلم كل شيء في حياتي  
 ومغوليه الصغير يشج قلبي  
 ألا يا نفس صبراً في الرزايا  
 وبحر الصبر عذب صدقيني  
 فأئك في دروب الصبر نشوى  
 وكم طف المصاب ، ولا اصطبار!  
 فمن رضي الرضا ، فله الترضي  
 ومن يسخط فعقباه التردى

## دموع القوافي الدامية

قال الله تعالى: (وبشر الصابرين). وقال: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ، وقال: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ، وقال: (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) ، وقال: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ، وقال: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ، وقال: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور). وبكاء الإنسان المسلم في مصابه ليس ينافي الصبر والاحتساب كما يتوهم بعض الناس. إذ البكاء رحمة أودعها الله في قلب من آمن به ، ولا حيلة لدفع البكاء إن كان صادراً من القلب ، ولا يدرك ما أقول إلا امرؤ رقيق القلب قريب الدمعة. وكم بكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتأثر وعانى! وأجعل أسوتي به – صلى الله عليه وسلم – ، وبأهل الصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، وحسن الظن بالله ، أرحم الراحمين: كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ اسْتَسْقَى بَطْنَهُ ، فَبَقِيَ مُلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، (قرباة الثلاثين سنة) ، لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ . وَقَدْ نُقِبَ لَهُ فِي سَرِيرِهِ مَوْضِعٌ لِحَاجَتِهِ! فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّخِيرُ ، فَجَعَلَ يَبْكِي لِمَا رَأَى مِنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: لِمَ تَبْكِي؟ ، فَقَالَ: لِأَنِّي أَرَاكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الصَّعْبَةِ الْفَظِيحَةِ ، فَقَالَ: لَا تَبْكُ ، فَإِنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ ، وَاکْتُمَ عَنِّي حَتَّى أَمُوتَ ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَزُورُنِي فَأَنْسُ بِهَا ، وَتُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَسْمَعُ

تَسْلِيمَهَا. وَلَمَّا قَدِمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى مَكَّةَ - وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ - جَعَلَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ لِيَدْعُو لَهُمْ ، فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُمْ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ: فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا غُلَامٌ ، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِ ، فَعَرَفَنِي ، فَقُلْتُ: يَا عَمُّ ، أَنْتَ تَدْعُو لِلنَّاسِ فَيُشْفَوْنَ ، فَلَوْ دَعَوْتَ لِنَفْسِكَ لَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ، فَتَبَسَّمَ. ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي. "مدارج السالكين". ولما وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ: هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ ، فَفِرُّوا مِنْهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرْحَبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَغَضِبَ ، وَجَاءَ يَجْرُ ثَوْبَهُ ، وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ: صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَكِنَّهُ رَحِمَهُ رَبُّكُمْ ، وَدَعَا نَبِيَّكُمْ ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلُكُمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَصِيبَ آلِ مُعَاذِ الْأَوْفَرِ. فَمَاتَتْ ابْنَتَاهُ ، فَدَفَنَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَطَعِنَ ابْنُهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ - يَعْنِي لِابْنِهِ لَمَّا سَأَلَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ - قَالَ: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُؤْتَرِينَ). قَالَ: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ). قَالَ: وَطَعِنَ مُعَاذًا فِي كَفِّهِ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا ، وَيَقُولُ: هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ. فَأِذَا سُرِّي عَنْهُ ، قَالَ: رَبِّ! عَمُّ عَمَّكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحِبُّكَ". وإنما أردت باستشهاداتي تلك أن أبين أن البكاء سمت عام! وإذن فالبكاء على الألم طبيعة وجبلة ، وفطرة سوية ، وسلوك غريزي. ولكن البكاء على عين فقدت أوقع في النفس والوجدان والخاطر من البكاء لمجرد ألم بعينه أصاب الإنسان! والبكاء على الحنيفية السمحة أوقع في الروح والقلب والوجدان ، بل المشاعر والعواطف والأحاسيس من كل عمر الإنسان وحياته. وقوافي الشعر يأتي عليها اليوم الذي تجف فيها الدموع فتبكي بدل الدموع الدم ، وتصبح مدماةً محترقةً متفحمةً من غائلة البكاء وتخميش الدموع. وأنا في هذه القصيدة أبكي على الألم والمقلة والحنيفية السمحة في آن واحد ، وطال ليل البكاء ، وعسى الله أن تنقش سحاب البكاء ، وغمامات الدموع ، وينتهي ليل

النحيب ، وما ذلك على الله مولانا القادر بعزير. ولقد يعاتب الإنسان نفسه على كثرة البكاء ، ويطول العتاب واللوم ، وينتهي المصاب ولا ينتهي الدمع: فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). وإني أوصي كل باك مؤمن مسلم موحد أن يبكي بالدم قبل الدمع على أحوال أمته ، وأن يبكي دماً قبل الدمع على المجد السليب والعز المنتفي عن الأمة اليوم ، وقد أصبحت في ذيل الأمم والشعوب والحضارات بعد أن كانت حقاً في القمة! حيث كان يُكتب لخليفتها: (خادمكم المطيع)! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ما يُصيبُ المسلمَ ، من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذى ولا غَمٍّ ، حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إلا كَفَّرَ اللهُ بِهَا من حَطَايَاهُ) رواه البخاري في صحيحه. وقال – صلى الله عليه وسلم -: (ما من مسلمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فما فوقها إلا كُتِبَتْ له بها درجةٌ ، ومُحِيَتْ عنه بها خطيئةٌ). صحيح الجامع. وقال الله تعالى في الحديث الإلهي: (إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على ما بليته ؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ، ويقول الربُّ عزَّ وجلَّ للحفظةِ ؛ إني أنا قيَّدتُ عبدي هذا وابتليته ، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر) ، وهو حديث صحيح ورد في صحيح الجامع. والنبى – صلى الله عليه وسلم – أخبر عن ربه بقوله: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ ، يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدمَ! مرِضتُ فلم تُعْذِني . قال: يا ربُّ! كيف أعودُك؟ وأنت ربُّ العالمين. قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مريضٌ فلم تعْذه. أما علمتَ أنَّك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابنَ آدمَ! استطعمتُك فلم تُطعمني. قال: يا ربُّ! وكيف أُطعمُك؟ وأنت ربُّ العالمين. قال: أما علمتَ أنَّه استطعمك عبدي فلاناً فلم تُطعمه؟ أما علمتَ أنَّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابنَ آدمَ! استسقيتُك فلم تَسقني. قال: يا ربُّ! كيف أسقيتُك؟ وأنت ربُّ العالمين. قال: استسقاك عبدي

فلان فلم تَسِقِهِ. أما إِنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟! رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.  
وَإِنَّ فُلَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى الصَّبْرِ وَالْإِحْتِسَابِ ، رِيثَمَا يَأْتِي اللّٰهُ سَبْحَانَهُ بِأَمْرِهِ!

أَنْتِ الْمُعْتَى ، وَلَمَّا تَبْلُغِ الْأَرْبَا  
أَنْتِ الْعَزِيْزُ ، وَأَنْتِ الْمَرْتَوِي أَدْبَا  
أَشْبَعْتَ مَنْ شَمْتُوا فِي جُرْحِكُمْ طَرْبَا!  
مُرَاقِبُونَ ، وَلَمَّا تُذْرِكُوا الرُّقْبَا  
دَمَعُ الَّتِي فَقَدْتُ أَوْلَادَهَا النَّجْبَا  
فِيمَ الْبِكَاءِ عَلَى عَيْنِ أَيْتِ كُرْبَا؟  
وَالْفِسْقُ مَنْتَشِرٌ ، وَالْكَفْرُ قَدْ ضَرَبَا  
فَأظْلَمْتُ مَقْلَتِي ، وَاسْتَصْرَخْتُ غَضْبَا  
لَأَنَّهَا إِنْ رَأَتْ ، أَضَحَتْ تَرَى عَجْبَا  
وَالنَّفْسُ مِنْ حَزْنِهَا قَدْ مَلَتْ الْكُتْبَا؟  
فَابِكِ الْحَنِيفَةَ بَاتَتْ تَشْتَكِي الْعَطْبَا  
تُرْدِي الْعِدَا وَتَزِيلُ الْهَمَّ وَالنُّوبَا  
فَالْيَوْمَ بَارِكْ لَهَا ، قَمْ نَقَّحِ الْخُطْبَا  
وَاللّٰهُ خَالَفَهَا سَنَ الدُّعَا سَبِيَا  
وَالدِّينُ عَاصِمُهَا ، أَكْرَمَ بِهِ حَسْبَا!  
كَمْ ذَا اتَّجَهْتُ بِهَا لَمْ تُبْدِلْ لِي تَعْبَا!  
وَالْمَرْءُ فِي حَالَةٍ تَسْتَعْدِبُ الْوَصْبَا!  
دَوْمًا ، وَأَوْسِعُهَا مِنْ فَرِحْتِي لِعِبَا

يَا بَاكِئًا ، وَالْبِكَاءُ قَدْ هَتَّكَ الْحُجْبَا  
هَلَا اصْطَبْرْتَ ، وَفَقَّتِ الْقَوْمَ تَبْصِرَةً  
مَاذَا أَخَذَتْ سِوَى الْآهَاتِ جَامِحَةً؟  
مُسْتَهْدِفُونَ ، وَلَمَّا تَظْلَمُوا أَحَدًا  
يَا عَيْنَ فَابِكِ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَاحْتِسَابِي  
مَا زَالَ مَنْ فَجَرُوا يَلُؤُونَ هِمَّتَنَا  
هَذِي الْحَيَاةُ بِكُلِّ الْجَوْرِ قَدْ صُبِعَتْ  
وَالنَّاسُ فِي بَدَعٍ ، وَالظُّلْمُ فِي دَعَةٍ  
رَأَتْ بَأْنَ لَا تَرَى أَزْكَى لِمَحْنَتِهَا  
فِيمَ الْبِكَاءِ إِذْنُ ، وَالْهَدْيُ فِي كُتْبِ  
إِنْ شِئْتِ أَنْ تَبْكِي الْعَيْنَ الَّتِي فَقَدْتِ  
حَسْبُ الدَّمُوعِ وَحَسْبُ الْعَيْنِ مَعْجِزَةٌ  
كَمَا ذَرَفَتْ دَمُوعَ الْعَيْنِ تَدْبِهَا  
إِنْ رُمْتَ نُصْرَتَهَا ، فَاجَارُ لِنَجْدَتِهَا!  
وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ مَعْطَاءَةٌ أَبَدًا  
كَمْ ذَا قَرَأْتُ بِهَا ، كَمْ ذَا نَظَرْتُ بِهَا  
كَمْ ذَا سَهَرْتُ عَلَى أَنْتِهَا أَرْقَا  
إِنِّي أَدْلُلُّهَا ، دَوْمًا ، وَأَشْكُرُهَا

كطفلةٍ بسمتٍ ، في القلب خَاطِرُهَا  
أواهٍ مِنْ أَلَمِ أَدْمَى الْفُؤَادِ جَوِيٍّ!  
قَدْ أَحْرَقْتَ كَبْدِي مَدْ أَنْفَقْتَ دَمَهَا  
يَا طَعْمَةَ رُمَيْتَ لِلْمَشْتَهِي بِدَمِي  
يَا عَيْنِ أَنْتِ مَدَى الْأَيَّامِ جَوْهَرْتِي  
يَا رَبِّ نَوَّرْ بِفَضْلِ مِنْكَ غَائِبْتِي  
عَيْنَاهُ لَا تَجْزَعِي ، فَاللَّهُ غَايَتُنَا  
يَا مِحْنَةَ عَظَمْتَ ، بَاتَتْ تَرَوُّعْنِي  
يَا مِنْحَةَ أَشْعَلْتَ فِكْرِي ، وَأَمْنِيَّتِي!  
بَلْ كُلَّ تَجْرِبَتِي فِي الشَّعْرِ أَبْذَلُهَا  
وَالْعَيْنِ غَالِيَةَ لَيْسَتْ بِهَيْبَةٍ  
وَالْقَوْمِ فِي طَرْبٍ ، وَالْوَهْمِ أَغْنِيَّتِي  
مَعِيشَتِي دُونَهَا لَيْسَتْ أَحْسُّ بِهَا  
لَوْ لَا أَخَافُ الَّذِي أَحْيَا لِأَعْبَدَهُ  
لَكِنَّ تَقْوَاهُ رَكْنٌ فِي تَعَبُّدِنَا  
رَبَّاهُ ، لَا تُخْزِنِي فِيهَا إِذَنْ أَبَدًا  
إِنْ كُنْتُ أَسْرَفْتُ فِي أَمْرِي وَنَازَلْتِي  
أَوْ كُنْتُ فَرَطْتُ فِيمَا قَدْ مَضَى أَبَدًا  
أَوْ كُنْتُ وَالْيَتْمَ مَنْ عَادَاكَ فِي وَضَحٍ  
أَوْ كُنْتُ قَارَفْتُ ذَنْبًا أَنْتَ تَعْلَمُهُ  
وَأَمْنٌ بِغَائِبَةٍ أَنْتَ الْمَرْجِي لَهَا

أَجِلُّ رَغْبَتَهَا ، فَأَنْسِجُ الطَّرْبَا  
وَالرُّوحَ حَاسِرَةً ثَوْبَ الْهِنَا هَرَبَا  
وَالنَّفْسَ مُشْرِعَةً مِنْ أَجْلِهَا الْحَرَبَا  
كَادَتْ بَلِيَّتَهَا أَنْ تَبْلُغَ السُّخْبَا  
فَكَمْ رَمَيْتِ عَلَيَّ مِنْ سَبَبِي الْزُّبَا!  
ذِي مَقْلَةٍ غَرِقْتَ فِي حَزْنِهَا رَهْبَا  
فَادَعِي الْمَلِيكَ لَذَا يَا مَقْلَتِي رَغْبَا  
طَالَتْ ، وَمِنْ جُرْحِهَا قَدْ فَاقَتْ الشَّهْبَا  
بِالشَّعْرِ أَبْتَنَاهَا ، لَا أَنْسِجُ السَّرْبَا  
لَأُزْجِي الْمَشْتَهَى ، وَأَتَحَفَ الطَّلْبَا  
مَنْ قَالَ هَيْبَةَ قَدْ أَعْلَنَ الْكَذْبَا  
بِاللَّهِ لَوْ تُشْتَرَى أَثَقَلْتُهَا ذَهَبَا  
ذِي قِطْعَةٍ مِنْ لُظَى تَجْتَاحِنِي حِقْبَا  
يَنْسَتْ مِنْ عَيْشَتِي ، وَذِعْتُ مَا حُجِبَا  
إِنَّ التَّقَى نَسَبٌ ، أَكْرَمُ بِهِ نَسَبَا!  
أَنْتَ الْقَدِيرُ أَعِنُّ عَبْدًا بِهَا حَزْبَا  
أَوْ كَانَ قَلْبِي مِنْ تَقْوَاكَ قَدْ خَرِبَا  
أَوْ كَانَ عَقْلِي بِمَا أُوْدِعْتُهُ لَعِبَا  
أَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي فِعْلِ الَّذِي وَجِبَا  
فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ جَنَى مِنْ سَعْيِهِ النَّصْبَا  
وَالطَّفَّ إِلَهِي بِمَا لِلْعَيْنِ قَدْ كُتِبَا

## المقالة المبتلاة

(روى الإمام مالك في «الموطأ» من حديث عطاء بن يسار - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينِ ، فَقَالَ: انظُرَا ماذا يَقُولُ لِعِوَادِهِ ، فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءَهُ حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فِيرْفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فيقول: إِنَّ لِعَبْدِي عَلِيَّ بْنَ تَوْفَيْئَةَ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، وَأَنْ أُكْفِرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ». ويقول الغزالي في «الإحياء»: «فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأى خير يزيد عليه». وعندما يبئلي الله تعالى عبداً في حبيبتيه - أي: عينيه - أو في إحداهما ، ثم هو يَضْجُر ، فإنه لا يُهْلِكُ إلا نفسه ، ويكون ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه ، شاءَ ذلك الأمر أم أباه. ولكن عندما يرضى ويسترجع ويتصبر ويحتسب ، فإنَّ ذلك كلُّه طريق إلى نَيْلِ الأجرِ في دنيا الله - سبحانه - وآخرته. وإذن فالصبر عند المصائب والشدائد شعيرة من شعائر ديننا. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى ، قال: هذه المرأة السوداء! أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قالت: إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ؛ ولكِ الجنة. وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك. قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها). وبيَّن - صلى الله عليه وسلم - أنَّ من صبر على فقد عينيه عوضه الله الجنة فعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ، فصبر عوضته منهما الجنة- يريد عينيه). قال ابن بطال: (في هذا الحديث حجة في أنَّ الصبر على البلاء ثوابه الجنة ، ونعمة البصر على العبد ، وإن كانت من أجل نعم الله تعالى فعوض الله عليها الجنة أفضل من نعمتها في الدنيا ؛ لنفاد مدة الالتذاد بالبصر في



الدنيا ، وبقاء مدة الالتذاذ به في الجنة). وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن الصبر الحقيقي يكون عند الصدمة الأولى ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: (مرَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - بامرأة تبكي عند قبر ، فقال: اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني ؛ فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها: إنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأنت باب النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم تجد عنده بوابين ، فقالت: لم أعرفك ، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى). قال ابن القيم: (فإن مفاجآت المصيبة بعتة لها روعة تززع القلب ، وتزعجه بصدمة ، فإن صبر الصدمة الأولى انكسرَ حدّها ، وضعفت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر ، وأيضًا فإن المصيبة ترد على القلب ، وهو غير موطن لها فتزعجه ، وهي الصدمة الأولى ، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها ، وعلم أنه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار ، وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئًا ؛ جاءت تعتذر إلى النبي كأنها تقول له قد صبرت). هـ. أقول لعيني:

في لحظةٍ وُئِدَتْ ، ولمْ نشعرْ بِهَا  
 طَعِنَ الفؤادُ ، ولمْ يَكُنْ مُتَبِّهَا  
 وعلى الثرى ، وعلى جبين حبيبها  
 وإذا بسهم الموتِ غاصَ بقلْبها  
 وإذا بها تبكي أليم مُصابها  
 أسفاً على البلوى ومُرَّ عذابها  
 ورأيت بالأخرى حقيرَ سرابها  
 لكن دَهْنِي صدمتِي والموتِ مِنْ أسبابها  
 فعَسَاكَ تُكْرِمُنِي بِهَا وبِحُبِّهَا

وحبيبةٍ تهفو إلى محبوبها  
 وإذا المنية أهدرت دمَ مقالةٍ  
 ودم الشهيدة فوق وجه ضحية  
 وإذا بها وهمت نهاية عمرها  
 وإذا بطرف السهم يمزغ جفنها  
 وإذا بصاحبها يئازك نعشها  
 والوهم يحرق ما تبقى في النهى  
 أما ما اعتديتُ ، على الورى  
 وحمدتُ ، واسترجعتُ يا ربَّ الورى

## لعنة المزاد

(يُوضع الرغيف مقابل العقيدة ، ويُنصب المزاد الملعون ، فبانع للطغيان نفسه ، فمعتقها أو موبقها. وإنما يؤثر دنياه مقابل آخرته من خسرهما معاً! وكلمة المزاد كما يقول أصحاب المعاجم والقواميس العربية الأصيلة: (اسم) ، والمزاد: جمع مزادة. وإذا كانت كلمة مزاد: (اسماً) أو بالأحرى مصدرًا ميميًا فإنه يكون منها كلمات أخرى ، وهي مأخوذة من زاد المزاد. ومنه موضع المزادة ، وبيع المزاد: وهو البيع الذي يتم بطريق الدعوة إلى شراء الشيء المعروض ليرسوَ على من يعرض أعلى ثمن! وثمن المزاد: هو الثمن الذي رسا به المزاد ، وقاعة المزاد: قاعة الأثنياء المعروضة للمزادة ، وبيع المزاد: (في علم الاقتصاد) هو البيع الذي يتم بطريق الدعوة إلى شراء الشيء المعروض ؛ ليكون من نصيب من يعرض أعلى ثمن ، وثمن المزاد: الثمن الذي رسا به المزاد وأما مزادة: (اسم مفرد) ، الجمع: مزاد مزادات ومزاد مزائد ، والمزادة: وعاء يُحمل فيه الماء والزاد في السفر. والمزاد: أسلوب يتبعه البنك المركزي لتصرف ما يصدره من أوراق يدعو فيه المستثمرين المحتملين إلى تقديم عروضهم التي تتضمن الكميات التي يريدون شراءها وسعر الشراء المعروض ، ويتولى البنك قبول أفضل العروض ثم العرض الذي يليه وهكذا دواليك. وإذا برحنا ساحة التحقيق اللغوي لكلمة (المزاد) فلندرس كيف تتقي الذم المؤمنة بالله تعالى لعنة المزاد الذي يضع الطاغوت فيه الرغيف مقابل العقيدة! كما يرى أستاذنا محمد المنجد أنه ليس أمامنا إلا الصبر والاحتساب ومدارسة سير السلف الصالح. ويزيد المنجد الأمر وضوحاً فيقول: (الصبر والاستفادة من قراءة تراجم سلفنا الصالح - رحمهم الله - وأخذ العبرة والعظة منها ، حيث كانوا كالجبال الشامخات لم تهزهم الفتن ولم تحركهم المحن ، فثبتوا رغم ما حلّ بهم ، ففنع الله بهم الإسلام والمسلمين ، يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله) واصفاً حال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وموقفه مما نزل به من بلاء: "وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، فإنه مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً ، تلوح نظرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضافت بنا الأرض بما رحبت أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه الهادئ الوداع الحالم ،

فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة". الوابل الصيب. والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة ، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل ، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل. وإذا أردت أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك: لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحيروا ولم تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا ماتوا عليه؟ أو وصلوا إليه بعدما انقضى جل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم). هـ. ومن هنا وجب علينا الاقتداء بسلفنا الكرام والتأسي بهم في مواجهة المحن والإحن مهما كلفهم ذلك! وحياة أسلافنا الكرام حوت الكثير من المواقف التي نعيش!

هل يقين يغشاه أو الغار؟  
 ضلّ سعياً ، وما لديه امتياز  
 مستكين قد أزه استفزاز  
 عالمونا ، هذا هو الإنجاز  
 من سعير النيران ليس مفاز  
 لم يكن منها في الحياة احتراز  
 خاب قوم ، وخيب الإحراز!  
 ثم قالوا: هذا هو الإعجاز  
 زيف مجد لا يفتنى أو يحاز  
 بنس من أعطى ، وليخب الابتزاز!  
 هو للنار رخصة وجواز  
 بنس جود يُزري ، وبنس انتهاز!  
 وهو منذ البدء المُميت مجاز  
 واحذروا أن لزيفيه تنحازوا  
 فاعملوا يا أقوامنا ، وامتازوا

المزاد حقيقة أو مجاز؟  
 من يبغ ديناً مقابل دُنْيَا  
 هل يُقرّ الطاغوت إلا ظلوم  
 كان أولى أن يُشهر الحق سيقاً  
 وارتزاق الإنسان بالدين موت  
 موجة أصحاب الهوى ركبوها  
 أحرزوه نصراً مبيناً يسيراً  
 وأضلوا من الخلائق جيلاً  
 والخزايا قد استكانوا ، وشادوا  
 والمطايا ابتزوا العطاءات تترى  
 قاطعوا يا أوباش أشقى مزاد  
 ثم لا تعتزوا من الطواغي بجود  
 والمزاد مهما استطال سراب  
 هو ملعون ، فالعنوه ، وتوبوا  
 إنني قد بلغت ، والنصح قصدي

## الآهة التكلية

(قال الله عز وجل: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقال: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) ، وقال: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون). وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: خطَّ النبي ﷺ خطوطاً فقال: «هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ». فلماذا الدمع؟ إنها الدموع يدفعها المرء ساعة المصاب ، وذلك حتى يُعَبِّرَ عَنْ معاناته الداخلية الكامنة ، يَسْخَرُ مِنْهَا مَنْ يَسْخَرُ ، وَيَحْزَنُ لَهَا مَنْ يَحْزَنُ ، وَسَاعَةً يُبْتَلَى الْمَرْءُ بِعَيْنِهِ وَيَهْرَعُ إِلَى رُكْنِ رَبِّهِ الْقَوِي الْعَزِيزِ الْغَالِبِ الشَّدِيدِ ، فَإِنَّهُ يَجِدُ الْعِزَّاءَ بَلْ وَالصَّبْرَ ، وَالْأَصْلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ: فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ. يقول الأستاذ هاني ضوة عن مقام الرضا بقدر الله: (وقد فطن لهذا المعنى ابن عطاء الله السكندري ، فقال في حكمه: "ربما أعطاك "الله" فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وإذا كشف لك الحكمة في المنع عاد المنع عين العطاء." ومعنى قول ابن عطاء الله أنه ربما يعطي الله عبداً نعماً كثيراً تمنّاها ، فتكون هذه النعم سبباً في ميله إلى الشهوات أو الفتنة ، أو تكون سبباً في مرض أو ضياع دين أو بعد عن الله ، وربما منع الله عن العبد ما يطلبه ، فيكون ذلك سبباً في منع بلاء أو توفيق لشيء آخر أفضل ، أو يكون ذلك سبباً في القرب من الله. وأمر المؤمن كله خير سواء كان في ضيق أو في يسر ، يقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: "عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ". وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: "اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضاء بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت". وبيّن الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن من أسرار سعادة ابن آدم رضاه بالقضاء. فعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: "من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه

استخارة الله ، ومن شقاوة بن آدم سخطه بما قضى الله له". إن تحقيق صفة الرضا يقتضي إجمالة النظر في أحوال الناس الآخرين ، لتعلم مقدار نعم الله عليك ، التي قد يغبطك عليها الملايين من البشر. فإن كنت فقيراً ، فهناك من حولك من هم أشد فقراً. وإن كنت مريضاً ، فإن من حولك من هم أكثر مرضاً وألماً منك. وإن كنت تحس بالحزن وكدر العيش ، فإن هناك من حولك من هم أكثر كآبة وحزناً منك. فارض بما قسمه الله لك ، وخذ بالأسباب ثم توكل على الله.هـ. وأشكر الأستاذ ضوة على تفسيره الطيب لبعض حكم ابن عطاء الله السكندري. ولنا حكم ابن عطاء الله ، وعليه تصوفه وتجاوزاته! وأزيد الأمر وضوحاً فأقول بأن مقام الرضا بالقضاء لا يُرزقه إلا عبد مؤمن مسلم موحد يعلم جيداً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه! ويصبر ويحتسب ويسترجع!

دُرِفْتُ الدُّمُوعَ ، وَأَحْزَانَهَا	فَعَشْتُ مَعَ النَّفْسِ أَشْجَانَهَا
وَنَالَ الْفَوَادِ لَهَيْبِ الْأَسَى	فَوَدَعَتِ الرُّوحُ شَطَائِنَهَا
وَعَزَّ الْمَصَابُ عَلَى آهْتِي	وَإِنِّي أَقْدَمَ قَرْبَانَهَا
فَزِعْتُ إِلَى الرُّوحِ أَسْمُوبَهَا	وَأَتْلُو عَلَى النَّفْسِ قِرَائِنَهَا
أَنَاشِدُهَا اللَّهُ فِي كَرْبِهَا!	أَذْكُرُهَا الْآنَ دِيَانَهَا!
أَصْبَرُ عَيْنًا عَلَاهَا الدُّجَى	بِمَعْوَالِهِ ، فَامْتَطَى مَنَازِلَهَا
وَرَبِّي عَلَى رَدِّهَا قَادِرٌ	وَكُنْتُ الْمُعَانِي فَقَدَانَهَا
بِعَوْنِ الْمَلِيكِ يَتِمُّ الشِّفَا	وَتُبْصِرُ مَنْ فَقَدَتْ (نُونَهَا)
وَيَأْتَتْ عَذَابًا ، عَلَا جِبْهَتِي	وَعَيًّا يُشِمُّ غُدُونَهَا

## وحدِي

يقول ربي عز وجل: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) ، والأمر عندي مُسَلَّم به. بدون حرج ، إنها إرادة الله تعالى ، أنني يوم 1994/11/25م أنسى موعد الصديق راشد المنصوري الخاص بتعليم اللغة الإنجليزية في عجمان. وأذهب إلى مطعم الفيحاء بالشارقة ، وعلى غير العادة أتناول شيئاً من الطعام. وذلك كله حتى يقع المقدور في شارع العز بن عبد السلام بالشارقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ويُسفر الحادث عن إصابة عين كانت أيام التجنيد هناك في مصر عامي 1986 و1987م وأثناء التدريب على السلاح في الجيش تصوّب في الهدف فتصيب المجموع إلا طلقة واحدة بالكلاشنكوف ، إن إرادة الله فوق كل إرادة. وإن مشيئة الله فوق كل مشيئة. (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور). وإذن ، فما قدّر الله سيكون ، وسنة الله أن تنهيا الأمور ليقع المقدور ، وإنني - ويشهد عليّ في كلامي ربي عز وجل - ما غبت عن الوعي طرفة عين ولا أقلّ من ذلك منذ الحادث ، وحتى المُكث في عنبر جراحة الرجال في المستشفى الكويتي بالشارقة ، وكانت مأساة. هذا المأساة عشتها وحدي دقيقة بدقيقة ولحظة بلحظة. وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله عز وجل. وكان بلاءً شديداً علم الله! واحتسبت أهاتي والآمي وتوجعاتي عند الله!

وصدقاً ما إن كان الحادث حتّى وَجَدْتَنِي وَحْدِي ، بلا أنيس ، ولا جليس ، سوى الحزن والدمع ، وأسرفْتُ على نفسي في كيفية مُعالِجَةِ الخَطْب ، إلى أن تداركتني رحمةُ الله ، فلم أَعُدْ أشعرُ إنِّي وحدِي ، بل معي ربي سبحانه وتعالى ، ومَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ ، وإنما عَنَيْتُ بِ (وحدِي) تَحَلَّى النَّاسَ عَنِّي. والأصل أن يكون القاصي والداني من المسلمين ، حول المُبتلى في بليته ومحنته ، ريثما يُشْفَى!

---

أَنَا فِي مِحْنَتِي وَحْدِي      أَنَا فِي الدَّجَى لَحْدِي  
وَلَا حَوْلَ ، وَلَا حِجَابَ      وَغَالِي الْفَرْخُ فِي الْبُعْدِ

شُخُوصٌ لَا تَرَى سُهُدِي  
 وَفِيهِمْ قَدْ خَبَا قَصْدِي  
 وَفِي عُسْرِي ثَمَرِي وَأَدِي  
 وَأَشْكَو حُرْقَةَ الْفَقْدِ!  
 أَقَاسِي لَوْعَةَ النَّقْدِ!  
 حَسِبْتُ الْفَصْلَ لِلْعَبْدِ  
 وَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي عَدِّي  
 سِوَى الْخِوَانِ لِلْعَهْدِ  
 يُصَيِّبُ الرُّوحَ بِالْوَقْدِ  
 وَمَنْ فِي الْبَطْشِ كَالْأَسَدِ  
 وَمَنْ فِي الْهُزْءِ كَالْقَرْدِ  
 وَأَبْكِي كَرْبَهَا وَخَدِي  
 وَمَا عِنْدِي سِوَى الْحَمْدِ  
 أَرَى التَّحْمِيدَ كَالْبَرْدِ  
 وَيَمْحُو صَوْلَةَ الرَّعْدِ  
 وَدَنْتُ الصَّخْبَ عَنِ عَمْدِ  
 وَيَحْصِدُ حَسْبَةَ الْجُهْدِ  
 وَيَفْقِدُ طَعْمَةَ الْجَدِّ  
 فَنُوعٌ مَوْرِدُ السَّعْدِ  
 ظَرِيفُ الْحُسْنِ كَالْوَرْدِ  
 وَمَا لِلْخُبِّ مِنْ حَادِّ  
 يُذَيِّبُ الْحَلْمَ فِي الرُّشْدِ  
 وَبِئْسَ النَّادُ مِنْ نَادِ!

وَكُلُّ النَّاسِ مِنْ حَوْلِي  
 وَصَاحِبِي فِي الْأَسَى فَرُّوا  
 فَفِي يُسْرِي أَخْلَانِي  
 وَكَمْ أَبْكِي ، وَلَا سَمْعَ  
 وَكَمْ أَعْدُو عَلَى رَأْسِي  
 وَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي أَمْرِي  
 وَإِنَّ الْعَبْدَ مَخْأُوقٌ  
 فَلَا أَصْحَابَ لِي أَصْلًا  
 بَلَاءُ الْمَرْءِ فِي عَيْنِ  
 كَشَفَتِ الصَّخْبَ يَا عَيْنِي  
 وَمَنْ فِي السَّاحِ مَحْرُورٌ  
 أَعَاتِي مِنْ لُظَى عَيْنِي  
 وَرَبُّ الْخَلْقِ شَأْفِيهَا  
 فَفِي يُسْرِي ، وَفِي عُسْرِي  
 يَصُوبُ الْوُدَّ فِي قَابِي  
 دَعَاؤُ اللَّهِ ، لَمْ أَيَّاسُ  
 أَلَا مَنْ يَصْطَبِرُ يُفْلِحُ  
 وَمَنْ يَعْجَلُ يَنْلُ رِيئًا  
 وَإِنَّ الصَّخْبَ أَنْوَاعٌ:  
 يُزِيلُ السُّهُمَ وَالسُّوَايَ  
 جَوَادٌ فِي الْعَطَا دَوْمًا  
 حَلِيمٌ إِنْ عَوَى كَلْبًا  
 وَنُوعٌ مَالَهُ نَادٌ

فَفِي الْأَفْرَاحِ مَأْسَاءٌ  
عَنِ الْأَنْظَارِ وَالْدُنْيَا  
أَتَعْبَانِ ، وَلَا نَدْرِي؟  
وَكَمْ بِالْغَيْثِ فِي مَدْحِي!  
وَكَمْ أَسْرَفْتُ فِي ظَنِّي!  
يَمِينًا أَنْتَقِي صَحْبِي  
تَجَارِيئًا ، وَمَعِيَّ نَارٌ  
وَأَحْيَا فِي سَنَا صَحْبِي  
وَأَسْمَعِي فِي تَسَامِيهِمْ  
جَوَادُ النَّفْسِ مَعْطَاءٌ  
أَرِيدُ الْخَيْرَ لِلدُّنْيَا  
فَلَيْسَتْ مَطْمَحِي الدُّنْيَا  
وَلَيْسَتْ غَايَتِي (لِيْلِي)  
فَبَانِي أَبْذُرُ التَّقْوَى  
وَأَعْطِي النَّصِيحَ مَنْ حَادُوا  
وَأَقْضِي اللَّيْلَ مُلْتَاعًا  
قِيَامُ اللَّيْلِ نَاقُوسِي  
عَلَى ذَنْبٍ - مَضَى - أَبْكِي

يُعْطَى مِعْوَلِ الْحَقِّ دِ  
فِيَا وَيْلِي مِنَ الْوَعْدِ  
وَكَمْ غَالِيَتْ فِي ذُودِي!  
ظَنَنْتُ الْوَعْدَ لِي زُنْدِي  
خَلَقَ خَلْقَهُ بُرْدِي!  
مِنَ الْأَصْحَابِ بِالْكَدِّ  
بَلَايَئِمْ ، وَلَا صَدِّ  
أَنْجَايَ ذُرُوءَ الْعَجْبِ دِ  
وَتُوبِي الْعِزُّ كَالْبُرْدِ  
«عَزِيْزُ النَّفْسِ» كَالْبَنْدِ  
وَأَرْجُو جَنَّةَ الْخَالِدِ  
وَلَا الْإِفْسَادَ فِي الْبُلْدِ  
لَأَحْيَا فِي جَوَى الْوَجْدِ  
وَعِيْرِي جَدًّا فِي الْحَصْدِ  
وَعِيْرِي جَدًّا فِي الْخَرْدِ  
عَلَى الْأَذْكَارِ وَالْوَرْدِ  
وَعِيْرِي ضَلًّا بِالنَّردِ  
وَلَا أَبْكِي عَلَى (هِنْدِ)



## عمانم الفاشلين

(إنها متاهات الضياع التي يسير فيها الفاشلون الذين لا يدركون قيمة العمر ولا ثمن الحياة. والذكي من أدرك الحق. وعاش في رحابه ، وعمل بمقتضاه! والحقيقة أن الإنسان إذا لم يُخطط لحياته ويُنظمها ويضع لها أهدافها ، فسوف يُخطط لها الآخرون ، ويجد نفسه المرءُ تابعاً ذليلاً لغيره ، من الذين لا يريدون له السعادة ولا الراحة. والإسلام لا يمنع أبداً من تدبير العيش والتخطيط للحياة! قال تعالى: (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)؟ وقال: (كل نفس بما كسبت رهينة). وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى...). والشاعر العربي أبو تمام يقول: في صدر بيت له وقد أصاب: (قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها). والناس يقولون في مثلهم العامي الدارج على الألسنة: (مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة). وإذن فلا بد من استصحاب روح العزم والأخذ بزمام المبادرة ، والبدا في مشوار الألف ميل الذي يبدأ بخطوة! وهكذا مشوار النجاح ، يبدأ بخطوة واحدة تتبعها خطوات ، ولكن إن كانت تلك الخطوات ليست ضمن خطة واضحة المعالم مرتبة العناصر ، فلا مفر من أن ينساب الوقت من بين أصابع المرء ، وينسحب بساطه من تحت قدميه ، فأنى له أن يصل إلى ذروة المجد والتميز والتفوق؟ ولربما كانت المعاناة الشائعة والعميقة التي نواجهها دائماً في إدارة الحياة ، هي المعاناة الصادرة من عدم التوازن ؛ وصاحب ذلك عدم إدراك لقيمة الوقت. فأدوار الحياة متداخلة إلى حد كبير ، حيث يؤثر كل دور في الآخر تلقائياً ؛ لأنها معاً تشكل حياتنا. ولنا الأسوة في الصحابي الجليل الباحث عن الحقيقة أمين سر رسول الله ، سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، حين وصف لأخيه أبي الدرداء - رضي الله عنه - الطريق إلى ذلك فقال: (إن لنفسك عليك حقاً ، ولربك عليك حقاً ، ولضيفك عليك حقاً ،

وإن لأهلك عليك حقًا ، فأعط كل ذي حق حقه) ، ولما بلغ ذلك القول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: صدق سلمان. رواه البخاري. وصاحب عدم تقدير قيمة الوقت ، عدم إدراك الإمكانيات المتاحة والأخرى غير المتاحة. فنشأ الفشل في الحياة هنا كإفراز لأعراض مرض أكبر وأخطر ، وهو الضياع في متاهات الحياة! وأغلب الفاشلين في الأرض اليوم يُلقون باللائمة على الآخرين من حولهم ، فتكون غنائم فجة! وتكون حججاً واهية ، لا رصيد لها أبداً من الواقع!

والموبقاتِ غدتُ للجِـيـلِ مُنْطَقًا  
في غيِّهِ ، وإلى دربِ الشقا سَبَقًا  
وهو الذي بِرُؤى أَعْدَائِهِ وثِقًا!  
كي يستبينَ إلى رَشَادِهِ الطَّرْقًا؟  
وليس يَدْحُرُّهَا إلا إذا صَدَقًا  
فالهزلُ بَدَدَ مجدًا غاب مُنْسَجِحًا  
وأغلبُ الناسِ في جحيمها غَرَقًا  
تلوِّكُ رَدْعَتِهِ بما حوتْ نَزَقًا  
إن السقوطِ إذا قاومتَهُ احترقًا  
وسيفُ همتِهِ من الخَنَا انشرقًا  
والجِدُّ يُهدي الوريَّ مستقبلًا عَبَقًا  
كم في غياهِبِهِ من غبطةٍ وشقا!  
من مات مهتديًا يحيى ، ومَن نفقا  
مَن استقامَ ومَن في غيه انطلقًا  
وآخرُ بسَعِيرِ النَّارِ قَدْ حُرِقًا

غَمَائِمِ الضَّنْكِ إن الخاطرَ اختَنَقًا  
والفاشلونَ فريقٌ سَادِرٌ أَبَدًا  
أواه كم تَذِيخُ الفؤادِ كَبوْثُهُ  
أليس يُبصرُ ما في الدربِ من كدر  
إن الغمائمَ كالحرابِ تطعنه  
يا أيُّها الجيلُ فَمَرِّ في دَعَاوِنَا  
وامهد لنفسك ، إنَّ الفتنةَ اشتعلتْ  
وودَّعَ الفشلُ الذريعَ ، أنتَ به  
وجمِّلِ النفسَ بالأخلاقِ ترفُعها  
والعمرُ مَرَّ مع السفولِ مرتحلًا  
فاز المُجِدُّونَ ، والأوباشُ كم فشِلوا!  
والقبرُ يرقبُ ما تأتيه من عملٍ  
فاعمِلْ ليومِ قيامِ الناسِ مَوْعِدُهُ  
يُحييهمُ اللهُ للحسابِ أجمعهم  
هُمَا فَرِيقَانِ في الجنَّاتِ أوْلَهُمُ

## ثباتاً أيها القلب

(إن لنا في رسول الله - ﷺ - أسوة حسنة وقدوة طيبة في كل أموره ، وبخاصة في مرضه. روى البخاري ومسلم - رحمهما الله تعالى - من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - يحكي عن النبي - ﷺ - حاله مع المرض فيقول: «أَجَلٌ إِنِّي أَوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ». وكان يقول كما روى البخاري: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ». وروى الترمذي من حديث مصعب بن سعد عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ ، حَتَّى يَتْرَكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». وإذن ، فإذا كان هذا حال النبي - ﷺ - ، فما بالنا بنا نحن؟ إنني كلما طالعت الأخبار والأحاديث ، وتذكرت من أحوال الأنبياء والرسول ، ومن أحوال أصحاب النبي - ﷺ - هان عليّ جداً ما أنا فيه ، وناشدت قلبي الثبات وعدم رؤية الأحداث بروح جدّ خائفة يائسة بانسة متأثرة بوسوسة الشيطان ، بل الثبات مطلب عقدي هام الآن ريثما يأتي الله بأمره. والبلاء يُبين مدى تعلق القلب بالخالق القدير ومحبته إياه عز وجل. وبين وسوسة الشيطان وحب الرحمن يكون الحال: فيغلب حب الله كيد الشيطان ووسواسه. والحمد لله ، وهذا من فضله علينا وعلى الناس ، فالقلب لم يُصَبْ. إنَّ القلب ساعة يُبْتَلَى المرء ، يظَلُّ يَخْفِقُ وَيضطربُ لا يهدأ ولا يستقر ، ريثما يُفْرَغَ الله عليه شأبيب الرحمة والصبر والثبات ، ويواقيت الطمأنينة وبرد اليقين. فيأخذ القلب بعد في التحصن بالتقوى ، وأنا أخاطب قلبي في أبياتي الآتية وأقول له: اثبت أيها القلب ولا تجزع ، واحمد الله على كل حال ، والثبات فعلاً في غاية العسر إلا إذا شَرَحَ اللهُ قلب العبد له ، فسبحان من لا يُحْمَدُ على مكروه سواه ، وتبارك الذي لا سَهْلَ إلا بسبب من عنده يصير سهلاً ، وهو سبحانه يجعل الحزن إذا شاء سهلاً. والعبد الصالح الموفق لا يمكن أن يُعْرَفَ إيمانه إلا بالابتلاء! يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (القلوب ثلاثة: قلب حي وقلب مريض وقلب ميت. فالقلب الحي هو السليم. فالقلب السليم الصحيح هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شركٌ بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله. وأما القلب الميت: فهو ضد الأول ، وهو الذي لا يعرف ربه ، ولا يعبد بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه. وأما القلب المريض: فهو قلب له حياة وبه علة ، فله مادتان تمدّه هذه مرة وهذه أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما. ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به ، والإخلاص له ، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات والحرص على

تحصيلها ، والحسد والكبر ، والعجب ، وحب العلو ، والفساد في الأرض بالرياسة ، والنفاق ، والرياء ، والشح ، والبخل ما هو مادة هلاكه وعطبه. نعوذ بالله من هذا القلب. وورعه وتقواه لله - عز وجل - إلا إذا كان في بلاء. يقول الله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) ، والعبء الذي تَسْرَهُ كُلُّ سِرَاءٍ وَتُقَنِّطُهُ كُلُّ ضِرَاءٍ ، قال الله فيه: (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين). قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}. قَالَ قَتَادَةَ - رحمه الله -: "أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وفي الآخرة أي في القبر". وكذا روي عن غير واحد من السلف (تفسير ابن كثير). وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}: أي على الحق. وهذا بين ، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أظلت الفتنة برأسها وادلهم الخطب؟! ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً. ولذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يثابر على الأعمال الصالحة ، وكان أحب العمل إليه أومعه وإن قل. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه. وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته. وأذكر جيداً أنه كان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: (اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على طاعتك). ولهذا سُمي القلب بهذا الاسم: (القلب) ، لأنه يتقلب ويتغير ولا يثبت على حال. وإن المرء ليبصر بأناس لم يكن يتوقع لهم أبداً أن يفتنوا ويضلوا إلى حد عبادتهم للطاغوت من دون الله خوفاً من بطش الطاغوت أو حرصاً على وظيفة ما أو على مال بعينه ، أو طمعاً في متاع الدنيا الزائل. وهم الذين أودوا في الله تعالى أشد الإيذاء. ومنهم من التقى قامات في الإسلام وراء القضبان ، فإذا بهم يتنازلون عن كل ما دانوا الله به بالأمس ليصبحوا اليوم مسخاً مشوهاً: لا دين ولا ملة! ومنهم بعض المرتزقة الذين يفرحون بالماء والكهرباء والمنزل المجاني والتسهيلات الأخرى مقابل العقيدة والتوحيد! إنني أقول لهم: غداً بإذن الله ستكون جهنم مجاناً إذا لم تتوبوا عن عبادة الطاغوت! عندما يسأل أحدكم عن تبليغ رسالة الإسلام (وقفوهم إنهم مسؤولون) ، فلا يُحري جواباً ويسقط لحم وجهه بين يدي خالقه! لطفك يا رب!

يَا فَوَادِي ، إِنَّ الثَّبَاتَ عَسِيرٌ      وَالْأَمَانِي فَوْقَ السَّرَابِ تَسِيرٌ  
كَانَ دَمْعِي فِي حَيْرَتِي يَتَوَارَى      لَسْتُ يَا دَمْعِي مِنْ مَصِيرِي أَصِيرٌ

لَكِنِ الْأَيَّامُ الَّتِي شِوَقْتَنِي  
إِنَّ خَلِيَّ فِي الْمَوْجِعَاتِ كَرْوَبِي  
إِنَّ صَاحِبِي فِي النَّائِبَاتِ سُطُورِي  
صَاحٍ ، لَا تُخْبِرُ بِالَّذِي قَلَّتْ إِنْسَا  
إِنَّ قَلَاكَ الصَّحْبُ الْأَلَى قَدْ أَحْبَوَا  
أَوْ سَلَكَ الْأَهْلُ الْأَلَى لَمْ يَحْبُّوَا  
إِنَّهُ جَبْرُ الْكَسْرِ ، لَا تَتَّوَانُ  
إِنَّ دَمْعَ الْخُزْنِ الْبَغِيضِ عَدُوٌّ  
عَيْنُكَ الْيُسْرَى لَيْسَ بِالْدمْعِ تَحِيَا  
كَيْفَ تَنْسَى بَابَ الَّذِي لَيْسَ يُنْسَى؟  
إِنَّ قَلَانِي رَبُّ الْوَرَى مَن يُدَاوِي  
رَدَّ عَيْنِي أَنْتَ الْمُجِيبُ دُعَائِي  
لَا أَرَانِي بِالْمُسْتَحِقِّ ، وَلَكِنُّ

قَدْ قَلَّتَنِي ، وَالْآنَ قَلْبِي كَسِيرٌ  
لَيْسَ مِنْ جَمْعٍ يَحْتَفِي ، وَيُجِيرُ  
هُنَّ لِي السَّلْوَى ، بَلْ وَهَنَّ الْمَصِيرُ  
إِيَّاهُ قَلْبِي ، إِنَّ الْمَلِيكَ كَبِيرُ  
رَبِّكَ الْمَوْلَى حَسْبُكُمْ ، وَالْمُجِيرُ  
أَنْتَ بِالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ كَثِيرُ  
خُذْ بَخِيرَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ عَزِيرُ  
كَيْفَ تَلْقَى الْأَعْدَا ، وَأَنْتَ حَسِيرُ؟  
إِنَّمَا يُحْيِي الْعَيْنَ سَهْمٌ يَطِيرُ  
إِنَّ مَوْلَاكَ الْحَقَّ نِعْمَ النَّصِيرُ!  
رَبِّ لَا تُخْزِ الْعَيْنَ ، إِنِّي فَقِيرُ  
رَبُّنَا الْمَوْلَى ، إِذْ يَشَاءُ قَدِيرُ  
أَنْتَ يَا رَبِّي بِالْدُّعَاءِ جَدِيرُ

## بضاعتي دموع العين

(إن الداعي إلى الدموع بصورة أساسية ، هو تخلي الرفاق والأصحاب عن رجل كان حديث عهد بمحنة تسبق الحادث بعام تقريباً ، واستمرت المحنة طويلاً حتى كانت قد أعقبت بأخرى أعتى منها. وإلى الله وحده المشتكى ، وعليه التكلان ومنه العون والسادد. ومن هذا المنطلق لم أكن أملك بعد الدعاء والصبر والصلاة سوى دموع العين ، أبدلها تقرباً إلى الله الرؤوف الرحيم. تأتي على الإنسان المُقَصِّر الصادق لحظات ، لا يملك إلا دموعه فيها ، يتقدم بها إلى خالقه الرحيم الرحمن الودود ، يسترحمه بها ، وبياض العين الذي أصابني لَوْنٌ مِنْ ألوان ابتلاء الله ، وكم هو بلاءٌ شديدٌ عاتٍ دامٍ عارمٌ ، لا يعلم مدى شدته وقتامته وعتوه ودمويته إلا الذي قدره وهو الخالق العظيم ، الذي يُفدِّر على عباده ما يريد ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، وسرعان ما يسلم الإنسان لربه.)

كثيرٌ عليكِ الدَمْعُ ، لكنَّه القَدَرُ  
فدَمْعُ المَعَانِي - الآن - يكوي ولا يحنو  
وسيفِ يفتُ الرُّوحَ ، يَسْتَهْدِفُ المَسْعَى  
أَيَا دَمْعَ عَيْنِي ، لا تُمَزِّقْ جراحاتي  
وَمِنْ فِكْرِ أربابِ الحِجَابِ سَقَتْ أشعاري  
ولكنما عينٌ مضتْ في دُجَى حُزْنِي  
وإني الذي لَمَّا وَصَعْتُ الدَّوَا فيها  
وَبَاتَتْ دُمُوعُ الشَّعْرِ تبكي على كربي  
فِيَا لَوْعَةَ حَلَّتْ بِدَارِ الفتى ، رِفْقًا  
وإني لأمرِ اللهِ أَعْلَنْتُ تسليمي

حنانيك يا عيني ، فدمعي له أثرُ  
وقلبي رهينُ الكربِ يبكي ويسنعرُ  
وسهمُ المنايا ليس يبقي ولا يذرُ  
فإني ضعيفُ الحالِ أبكي وأنتحرُ  
تسايحُ عبدٍ مؤمنٍ ، قلبه نضرُ  
فدعني أعزيها بشعرٍ له سحرُ  
ثلاثينَ منَ عُمرِي مَضَتْ كُلُّهَا دُررُ  
وهذا بكأ عيني والدمعُ ينهمرُ  
فيومًا بسيفِ الصَّبْرِ أعلو وأنصرُ  
وإني أحبُّ اللهَ ، والرَّادُ مُدَّخِرُ

## عيناه جرحك غائر

(يقول الله تعالى: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون). وروى البخاري - رحمه الله - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». وروى الترمذي - رحمه الله - من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وروى الترمذي أيضًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللهُ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». وطبعًا على كل قارئ أن ينظر في الأحاديث التي نوردها في مقدمات قصائدنا ، إذ نحن نقدم لقصائد في ديوان شعر على كل حال ، وليس بالطبع ديوان حديث ، وليس هذا نيلاً من الحديث - معاذ الله - فإن حديثاً واحداً صحيحاً من أحاديثه وجوامع كلمه - ﷺ - أفضل من كل ما كتبه بنو آدم من بنيات أفكارهم ، إنما أقصد من كلامي أن أحاديث النبي - ﷺ - تطلب في مظانها ودواوينها ، لا في دواوين الشعر ، ويشكر لشاعر أن يدون بعض الأحاديث في مقدمات قصائده ، ويبقى للحديث رجاله ودواوينه. عندما يُظلم الحال ، ولا يجد المرء من يشكو له ، فإنة يُناجي ربه ، والله لا يملُ حتى يَمَلَّ العبدُ. ولَمَّا كَانَ مِنْ قَدْرِي ذَهَابُ ضَوْءِ عَيْنِي ، خَاطَبْتُهَا بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الدَّمْوِيَّةِ الْكُنْيِيَّةِ الْحَزِينَةِ وَأَنَا أَعِيشُ مَعَ الْآيَاتِ الْعَذْبَةِ مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ الْمَكِّيَّةِ الْمُبَارَكَةِ حَيْثُ قَرَأْتُ: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يَشْرِكُونَ \* أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ \* أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيً وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ \* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ \* بَلِ ادْرَاكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ!) عشت بقلبي مع هذه الآيات الكريمات ، وإذا بي أصبرُّ

عيني وأقول: عينا ، جُرْحِكِ غائِرٌ ، فاصبري. وردت مع عيني المبتلاة بعض آيات قرآنية في الابتلاء فكانت عزاءً لايبارى ، ومنها: قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). وقال: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقال: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ). وقال: (يَا بَنِي آقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ). وقال: (وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). وقال: (وَلَنَبِّئَنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ). وقال الأستاذ أسامة عبد الله خياط في خطبة له قديمة: (ويتنوع البلاء ويتشكل والمحن كذلك تتشكل ، وتتلون الأرزاء ؛ فمن الناس من يبتلئ بفقد الأحبة الذين يكونون له - بعد الله - عُدَّةً وأعاوناً على الشدة من الإخوان والأقربين ، والأبناء والأصدقاء المقربين ، ومن الناس من يبتلئ بالفقر بعد الغنى ، وبالعسر بعد اليسار ، وبضنك العيش وقلة الحيلة بعد ناعم الحياة وخفض العيش وبسطة الرزق وسعة التدبير ، ومن الناس من يبتلئ بكساد تجارته ، أو فساد عشيرته ، أو خراب بيته ، أو تنكر أهله ومن الناس من يبتلئ بالأمراض التي تنغص عليه عيشه ، وتكدر عليه صفو حياته ، وتقعد به عن بلوغ كثير من آماله ، ومنهم من يبتلئ بنقيض ذلك من بسطة في المال ، وحظوة في الجاه ، ورفعة القدر وسعة النفوذ ، والإمداد بمتع الحياة ولذائنها ، والتمكن من بلوغ أقصى الغايات فيها ، كما قال - سبحانه: (فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ). وخير ما يفعل المسلم الصادق أمام كل ابتلاء الوقوف موقف الصبر والاحتساب بما قضى الله - تعالى - ؛ فإن الصبر - كما قال بعض العلماء: ملاك الإيمان ، وزينة الإنسان ، وطريقه إلى المعالي والمكرمات. إليه يسكن وبه يطمئن ، وفي ساحته يستقر ويستريح ، وهو مقام عظيم من مقامات الدين ، ومنزل كريم من منازل السالكين ، وهو في الإسلام له خطرهِ وعِظَمُ شأنهِ. أشاد القرآن بذكره ، ورتب عليه الثواب الجزيل وضاعف لأهله الحسنات ؛ ليحببه إلى القلوب ، ويرغب فيه النفوس ؛ فما من فضيلة إلا وهو دعامتها ؛ فإن كان صبراً على الشهوات سُمي عفة ، وإن كان



على احتمال مكروهه كان رضاً وتسليماً وإن كان على النعمة وشكرها كان ضبطاً  
للنفس وحكمة ، وإن كان في قتال سُمي شجاعة وقوة ، وإن كان بين يدي حماقة  
وسفه سمي حلاً ، وإن كان بكتمان سر سمي صاحبه كتوماً أميناً ، وإن كان عن  
فضول العيش أو الحديث سمي زهداً ؛ فالمرء بدونه في الحياة عاجز ضعيف لا  
طاقة له بما قد يثقله! هـ. وظللتُ حقاً أصبر وأحتسب عند الله وأقول عن العين:

والليل يعدو في يواقيتِ النَّوى  
والقلبُ في آلامِ وجدي قَدْ غَوَى  
هذا فُوادي مِنْ أَسَى الجُرحِ اكْتَوَى  
أواهُ لي ، والكرْبُ مِنْ دَمْعِي ارْتَوَى!  
إلا الهُدَى ، مَهْمَا تَحَدَّاني الجَوَى  
أرَدْتُ فتَى كمْ قد تناعى ، وانزَوَى!  
ورُميتُ في الويلاتِ ، والدربُ انطَوَى  
بلْ كانَ يَرْجُو في بلاويهِ الدَّوا  
والشُّعْرُ مِنْ نيرانِ عَيْنِي انشَوَى  
خارتُ عظامي والحنايَا والقوى  
والجلدُ في أعلاه عانى ، والنَّوى  
لولا المليكُ الحقُّ أرداني الهوى  
أدمتُ فُوادي ، كُنْتُ للكَرْبِ الشَّوَى  
أنتَ الذي ناديتُ موسى في (طوى)  
أنتَ المرَجَّى فيه ياربَّ القوى

عَيْنُ الفَتَى مُلتاعةٌ تُشْكُو الجوى  
والدمْعُ مَحزُونٌ ، يُسَلِّي غَرْبَةَ  
أواهُ مِنْ فَرْطِ اللَّظَى في مَحْنَةٍ!  
صادتُ حبالَ الوهمِ فِكرِي ، والنَّهَى  
عاديتُ في اللهِ الوَرَى ، ما راقني  
والوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لي مِنْ صُحْبَةٍ  
حتى إذا مَزَقْتُ واساني العنَا!  
مَنْ كانَ تُشجِيهِ المَعالي دائماً  
تُدْمِيهِ عَيْنٌ ، جُرْحُها لا يَنْتَهِي  
مِراةَ بَيْتِي كَلَّمَا طالَعْتُها  
أبكي على وَجْهِ مَضَى إشراقه  
والعَيْنُ غارتُ في مَهْاوي حُفْرَةٍ  
في وَجنتي اليُسرى رزايا جَمَّة  
لِلهُمَّ نَوْرَ عَيْنٍ عبدٍ مُؤْمِنٍ  
نابجاكُ كُلُّ الأنبياءِ في كَرْبِهِم

## عين أرداك الجوى

(منذ أصبت في هذا الحادث ، وأنا لا أكاد أكف عن الدعاء والتصبر والكتابة ، حتى أشفقت عليّ الدكتورة / ثريا عبد الله نور الدين ، والتي أشرفت على جراحاتٍ أربع ، أجريتهُ لعيني في المستشفى القاسمي بالشارقة ، بعدما انتقلتُ إليها من المستشفى الكويتي بالشارقة كذلك. فكانت الدكتورة ثريا بوصفها رئيسة قسم العيون تأمرني - بالحاح - أن أدع الكتابة والقراءة ، وأترك الكتاب والقلم ولو لبعض الوقت ، ريثما يأتي الله بأمره ويتم العلاج. فقلت لها فيما قلت: يا دكتورة إنني أعيش على الأمل ، والكتابة والقراءة تزكيان الأمل. والأمل عندما يُداعِبُ خيالَ الإنسان ، يُشعرُهُ بقيمةِ كُلِّ دَقِيقَةٍ يَحْيَاهَا ، حتى إذا انحسرت الأيامُ عنِ نهايةٍ غَيْرِ التي كان يَرجوها وَيُؤمِّلُها وَيَتَمَنَّاها ، فإنه يكتئِبُ ويحزنُ بالفعل ، ولقد أسفرتِ الأيامُ عن نهايةٍ لم تكن تُتَوَقَّعُ أبداً ، نَعَمْ ، لم تكن هذي النهايةُ في الحُسبانِ ولا في الخاطر. والحقُّ أنني بكيتُ مقلتي وابيضتُ عيناَيَ ، وأما قميصُ يوسُفَ فهو الأملُ الذي يُداعِبُ خاطري ، والأملُ الأكبرُ هو النظرُ إلى وجهِ الله في الجنَّةِ. وكان من ردي على الدكتورة ثريا: أن الكتابة والقراءة بالنسبة لي كالماء بالنسبة للسمك ، وكالماء والهواء بالنسبة للكانن الحي! وحياتي بهما وفيهما! فدعتُ لي بخير ، وقدرتُ ما أنا فيه ورثتُ لحالي ، وقالت: إنما هذا مني نصيحة.)

كفاني من دمع عيني حرماتاً  
وأنت الجرح المسلي لي الأنا  
ووجهي يشكو من العين أحراناً  
وزادتني أدمعاً ، بل وأشجاناً  
أيغدو الخير الذي ضاع نُكراناً؟  
أيمسي الحُبُّ الذي ماتَ عدواناً؟  
وقلبي في حاضري باتَ سلواناً؟  
ملأتِ الأحرانَ - باللهِ - إيماناً  
وتشبيهاً للذي في النهى كاناً

ألا يا عينَ الكسيرِ الذي عانى  
فأنتِ الطيفُ المُعتَى ، يُسليني  
وحسبي أن الأمانِي غدتْ وهماً  
ولم ترحمَ حُزنَ وجهي والامي  
ولم أذنبُ ، يا فوادي ، فصارحني  
وعينٌ في الدمعِ باتتْ تعاديني  
أمسي في نائباتٍ ، صارت تُعزيني  
فيا أشباحَ الجوى كفكفي دُعراً  
وحسبي من ربِّنا ردَّ إبصارِي

## دموع الحزن ودموع الفرح

(يقول الناس - والله أعلم بمدى صدقهم -: إن دموع الحزن أشد ملوحة من دموع الفرح. فإذا كانت دموع الفرحة أعذب ، إنني إذن لسعيد بنصيب. إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا أقول ما يغضب الرب. وإنني على فراقك يا عيني اليسرى لمحزون كئيب ، أشتكى إلى الله ربي الحال ، وأحتسب عنده كل زفرة وآهة ودمعة وقطرة دم وحسرة وانكسار. ولما دمعنا عينا رسول الله ﷺ حُزناً على ابنه إبراهيم يوم مات فعل ذات الشيء ، وقال ذات الكلمات ، ولما سئل عن الدموع ، وما إن سئل عن البكاء حتى قال: «إِنَّهَا رَحْمَةٌ قَدْ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ». وإن دموع الفرح ودموع الحزن التي أعني من خلال العنوان ، قد اختلطت في عين واحدة ، ووقت كذلك واحد ، وبسبب واحد ، وحال واحد ، والشعر وعاء يحتفظ بالدموع والعذابات والآلام كلها. وهذا من فضل الله علي! قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات موته ، وكان يدخل يديه في ركوة ماء ويمسح بها وجهه: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات». ولما رأت فاطمة رضي الله عنها ما برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكرب الشديد الذي يتغشاه قالت: "واكرب أبتاه". فقال لها: « ليس على أبيك كرب بعد اليوم». يُروى في الحديث: «أنه ما من أحد يموت إلا ندم إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع واستغفر وتاب». قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا ؛ لم يترك لذي لب فرحاً. قال عمر رضي الله عنه لكعب: أخبرني عن الموت؟ فقال: "يا أمير المؤمنين: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف بن آدم ، وهو كرجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينتزعها". ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال: "لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون ، اللهم إنني أستغفرك من تقصيري وتفريطي وأتوب إليك من جميع ذنوبي ، لا إله

إلا أنت. ثم لم يزل يرددّها حتى مات. ولقد بكى الحسن البصري عند موته وقال: نفس ضعيفة وأمر مهول عظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه ، فقال يا نبي الله: لو اتخذت فراشاً أوفر من هذا! فقال صلى الله عليه وسلم: «ما لي وللدنيا. ما مثلي والدنيا إلا كراكب سار في يوم صائفٍ فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها». والشعر الصادقُ مثلُ الدمع الصادقِ بمعنى أنّ الشعر الذي تولّد عن مُعاناةٍ وتجربةٍ يُشبهُ الدمعَ الذي يُدرّفُ لتجربةٍ ومُعاناةٍ كذلك. والعاقِلُ مَنْ يظنُّ بالله الخَيْرَ وَيصبرُ الصبرَ الجميلَ الذي فيه ثقةٌ بِنصرِ الله ، فينتظرُ الفرج. وَصَدَقَ مَنْ قال يمتدح الصبر والتصبر والمصابرة:

**إني رأيتُ ، وفي الأيام تجربةً      للصبر عاقبةً محمودةً الأثرِ**  
**وقلّ مَنْ جدّ في أمرٍ يُحاولُهُ      واستصحبَ الصبرَ إلا فازَ بالظفرِ**

وأذكرُ أنه جاء رجلٌ إلى ابن عباس ليؤاسيّه - وكان قد فقد بصره في آخر عمره - فقال له ابن عباس وهو يُثني على الله في الأخذ والإبقاء والعطاء:

**إن يأخذ الله مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا      ففي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ**  
**قلبي ذكيٌّ ، وعقلي غيرُ ذي دَخلٍ      وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثور**

والحقيقةُ أنني هنا أحاور في قصيدتي هذي الشاعر الكبير أبا الطيب المتنبي ، وأقف معه وهو يرثي أبا شجاع ، فألتقط من المتنبي البيتين الأوليين ثم أنسخُ على منوالهما ، باكيًا بحرقه ، وراثيًا عيني التي فقدت ضوءها على إثر حادثٍ مُرَوِّعٍ فظيع ، وَوَضَعْتُ عنوائها: دموعُ الحزن - دموع مأساة الحادث هذا - ودموعُ الفرح - دموع الأمل في الله الشافي أن يشفيها. ولا غرو أن يكون الشعر رحماً بين أهله كما أن العلم رحم بين أهله. فليس يعجزني قط أن أبتكر مطلعاً يضاهاه مطلع أبي الطيب أو يتماهى معه! ولكنني أوثر هنا أن أذكر الحقيقة كما

عاشتها. لقد كان ديوان المتنبي بين يدي ، وأخذت بمطلع الرجل ، وهو يرثي أبا شجاع ، فارتأيت أن أجعله في مستهل قصيدتي. وإن لم أبلغ شأو ومنزلة الرجل!

والدمع بينهما عصي طيغ  
هذا يجيء بها ، وهذا يرجع  
بين السُرور وبين كرب يصفع  
إني لعبرة مقلتي أنقطع  
لم يخل لي متنفس أو مضجع  
تتدارك المقهور أو من يفجع  
أمرٌ يحير من له يتسمع  
أخرى تكف بدعوة ، هل يسمع  
سبحان ربك ، أمره لا يسمع  
وتذرعوا بالصبر ، لم يتصوخوا  
في وجه كل معزبٍ يتمع  
ب قميصنا ، أفلم تغوا؟  
أوحى إليك الله حقاً يصدع  
د بياض عينٍ لم يكن يُوقع  
من ولا انتظار ، فيه نفسي تصرع  
عجباً ، ويومًا باب قبرك تفرع  
له الله ربك ، هل بذلك تقنع؟

«الْحُزْنُ يُقْلِقُ ، وَالتَّجْمُلُ يَرْدُعُ  
«يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَاهِدٍ  
يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ تَرَى فَوَادِي حَائِرًا  
هَلَا عَذْرَتِ الْعَيْنِ مِمَّا قَدْ جَرَى  
فَلَقَدْ فَجَعْتُ بِهَا ، وَلَمَّا أَنْسَاهَا!  
لَكِنَّ رَحْمَةً رَبَّنَا مِنْ فَوْقِهَا  
وَالْعَقْلُ فِي أَصْحَابِ (أَحْمَد) ذَاهِلٌ  
عَيْنٌ تُرَدُّ بِدَعْوَةٍ مُلْتَاعَةٍ  
اللَّهُ يَمْنَحُهَا وَيَمْنَعُهَا الضَّيَا  
لَكِنَّمَا أَصْحَابُ (أَحْمَد) آمَنُوا  
يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ قَمِيصُ (يُوسُفَ) آيَةٌ  
يَا إِخْوَتِي: أَلْفُوا عَلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ  
يَا أَيُّهَا الصَّادِقُ ، قَدْ كَانَ الَّذِي  
وَرَأَى بَعَيْنَيْهِ الدُّنَا (يَعْقُوبُ) بَعْدَ  
مِنْ غَيْرِ مَا عَمَلِيَّةٍ يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ  
وَأَبُو شُجَاعٍ مَاتَ ، فِيمَ نَحْيُكُمْ؟  
وَالكُلُّ مَوْتَى لَيْسَ يَبْقَى غَيْرُ وَجْهِ

جريدة الوحدة العربية - يوم 1996/1/7 م

## إغفاءة اليراع

(أخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ فُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ». وقد أخرج البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ الزَّرْعِ ؛ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تَمِيلُهُ ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يَصِيبُهُ الْبَلَاءُ ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ كَشَجَرَةِ الْأَرْزِ ، لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ». وإني أكتب «إغفاءة اليراع» لأكفكف من غلواء الدموع حتى تدعن لقدر الله تعالى ، وتعطي اليراع الفرصة لكي يدون شيئاً من ذكريات البلاء الذي أعيش. فلعل الله ينفع به الناس. إِنَّ الْغُيُونَ - سَاعَةَ الدُّمُوعِ - يَأْخُذُهَا السُّهَادُ. ولذا تُصْبِحُ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابُ الْأَحْزَانِ كَالْحَرَزِّ الْمُلْتَصِقِ هُنَاكَ بِكُلِّ جَفْنٍ ، وَالْحَزْنَ رَهَيْبُ الْأَثْرِ عَلَى النَّفْسِ ، وَالدُّمُوعُ هِيَ عُنْوَانُ الْحَزَنِ. وپِرَاعَةٌ فِي يَدِ الشَّاعِرِ تَعْجَزُ حَقًّا عَنِ التَّعْبِيرِ عَمَّا بَدَاخِلُ النَّفْسِ مِنْ لَوْعَةٍ ، فَتَأْخُذُهَا الْإِغْفَاءَةُ. وَبِالْبَلَاءِ حَقًّا دَلِيلُ الصَّلَاحِ لِكُلِّ مُوَحَّدٍ: وَهَكَذَا نَجِدُ كُلَّ مُوَحَّدٍ يَدْعُو اللَّهَ - تَعَالَى -

وَيَجَارُ إِلَيْهِ فِي مُصَابِهِ. (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ). هـ.

ولقد أصاب الأستاذ أسامة عبد الله خياط في خطبة له بالمسجد الحرام عنوانها الصبر إذ قال ما نصه بتصرف بسيط: (ففي الوقوف أمام الابتلاء موقف الصبر خيرٌ عظيم اختصَّ به المؤمنٌ دون غيره كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر ، إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم. فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط. أي من رضي بقضاء الله النافذ الذي لا رادَّ له فعاقبة ذلك الرضا من الله على عبده ، وأما من سلك سبيل السخط على ربه فيما دبره وقضى به من نكبة وبلاء ، وشدة وعناء فإن عاقبة ذلك السخط من الله ؛ جزاء سوء ظنه بالله ، وعدم رضاه بقدر الله ،

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح ومن يتصبر يصبره الله. وإن مما يعزي النفوس عند نزول الشدائد ، ويصرف عنها موجة الألم لفواجعها ونكباتها الأمل في فرج الله القريب ، والثقة في رحمته وعدله ؛ إذ هو - سبحانه - أرحم الراحمين).هـ. والمرء يجد أن الدموع دائماً سبيل للتفريج عن النفس من الكربات التي تعانيها. كما أنها سبيل للتعبير عند بعض الناس عن الأمجاد التي تدرکها! عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن كعب - رضي الله عنه - «إن الله - عز وجل - أمرني أن أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا) قال: وسماني لك؟ قال: «نعم» فبكى أبي. متفق عليه. وفي رواية: فجعل أبي يبكي. بكى أبي رضي الله عنه فرحاً ، واستبشاراً ، وخشوعاً ، وخوفاً من التقصير في حق الله أو التفريط في جنبه تعالى ، واستحقاراً لنفسه ، قيل: الحكمة في تخصيصها بالذكر لأن فيها {يتلو صحفاً مطهرة} ، وفي تخصيص أبي التنويه به في أنه أقرأ الصحابة. وقال ابن كثير: قرأها عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قراءة إبلاغ ، وتثبيت ، وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، كما قرأ على عمر بن الخطاب سورة الفتح يوم الحديبية. وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال أبو بكر لعمر ، رضي الله تعالى عنهما ، بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها ، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟! قالت: إني لا أبكي أني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ؛ فهيجتُهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم. وإذن فليست الدموع في كل مرة يجب أن تكون قرينة الأسى ، بل لقد تكون قرينة الفرحة! والدموع ولا شك تكشف حقيقة صاحبها إن كان شامتاً حاقداً أم كان محبباً منصفاً! وكثيراً ما أساء قوم تأويل دموع فلان أو فلانة في مناسبة سعيدة سواء له أو لها أم كانت لأحد المعارف أو الأقارب! فقال البعض: إن الذي يبكي في مناسبة سارة إما حاسد أو حاقداً! وأقول: ليس بالضرورة أن يكون ذلك كذلك. لأن الحاسد يخفي مشاعره!

أَيُّهَا الدَّمُوعُ كَفِّى      مُقَلَّتِي دَمِيَّتِ وَفَأ  
ثُمَّ لَا يَزُولُ عَنَّا      بَلْ ، وَلَا يُزَاحِ جَفَا

رَبُّنَا الْكَرِيمُ عَفَا  
 فَاسْأَلِي الْمُجِيبَ شِفَا  
 جَاهِرِي ، كَفَاكَ خَفَا  
 وَاغْمُرِي السَّدْعَاءَ صَفَا  
 إِنَّمَا الْيَرَاعُ غَفَا  
 عِرْقُهُ إِلَيْكَ هَفَا  
 لَكِنَّ الْخُبُورَ جَفَا  
 كُنْتُ فِي الْجَوَى أَسِفَا  
 آهْتِي بَغِيرَ «كَفَايِ»  
 دُونَكَ الْكَتَابَ شِفَا  
 إِنَّمَا اللَّظِي أَنْجَرَفَا  
 وَاطْرَحِ السَّرَابَ شِفَا  
 بَلْ عَلَى الْهُدَى عَكَفَا  
 كَنْ لِمَنْ مَضَى خَلَفَا  
 وَاجْعَلِ الثَّقَى سَأَفَا  
 وَامْلَأِ النَّهْيَ شَغَفَا  
 دَاوِ قَلْبَكَ الْإِلْفَا  
 ثُمَّ تَوَجَّ الشَّرَفَا  
 إِنَّمَا الْجَوَى ذُرْفَا

لَيْسَ فِي الصَّحَابِ عَزَا  
 لَا تُسْأَلِي أَحَدًا  
 أَغْرِقِي الْجُفُونَ دَعَا  
 وَامْلَأِي الصَّلَاةَ رَجَا  
 أَبْشِرِي ، وَلَا تَهْنِي  
 وَامْرَحِي فِدَاكَ دَمِي  
 دَمْعِي شَقِيقَتْ بِهِمَا  
 طَلَمَّا جُرْحَتْ هُنَا  
 لِيَتَّيَّي عَلَوْتُ عَلَى  
 صَاح: لَا تَكُنْ قَلْقَا  
 صَاح: لَا تَكُنْ عَجَلَا  
 صَاح: عَاجِلِ الْأَمَلَا  
 صَاح: فَازْ مَنْ سَمِعَا  
 فَانْتَصِحْ ، بِلا وَجَل  
 وَاسْمُ لِلْغَلَا رَجَلَا  
 لَا تَهْنُ ، وَكُنْ بَطَلَا  
 إِنَّمَا السُّمُوعُ مَضَتْ  
 ضَمَدِ الْإِبْبَاءَ إِذْ  
 لَا تَقْلُ صُؤْبَاتِ جَوَى



## الشكاة الخجلى

(يتعجبُ كثير من زوّاري في المستشفى القاسمي هنا بالشارقة ، من كوني أعمد إلى الشعر بعض الوقت ، ويُعلنونها صراحة: الشعر للغزل والنساء ، والشاعر المبتلى لا يكتب ، وإنما يكتب الشاعر السعيد الهانى. ونسى هؤلاء أن الشعر وليد المعاناة ، وأن سعادة الأدب في شقاء الأديب ، وأن شقاء الأدب في سعادة الأديب. أيها الناس ، إن الشاعر السعيد يأتي شعره في الغالب الأعم تكلفاً ، ولو لم يعان الشاعر ويتعذب لم يخرج من قلبه الشعر ذا روح وجاذبية قط. وحاولتُ كثيراً إقناع الزائرين بوجهة نظري ولكنني عجزت. وفي حياة كل فرد صور وعبر وألوان من المناسبات المتنوعة ما بين الفرح والترح وما بين الحزن والسرور وما بين البهجة والكآبة. إنني عانيتُ كثيراً عندما نظرتُ إلى الحياة فوجدتُ لها صورتين ، الأولى: واضحة المعالم بعين طبيعية ، وأما الثانية: فهي صورةٌ عليها غَبَشٌ كثيرٌ ودُخَانٌ كثيفٌ مُتراكمٌ وغِشاوةٌ مطلّامة كالكتبان الرملية وسحابةٌ قاتمةٌ بعينٍ أثقلها المرضُ وأعيائها الجرح. وأنا في هذي القصيدة أعاتبُ المقلّة هذي البائسة الحزينة الثكلى ، وأرفعُ شكوايَ إلى الله. والحقيقة أن المسلم يجب أن يكون متفانلاً في كل أحواله. إذ التشاؤم يودي بعزة النفس ، ويجعل الإنسان في حيرة واضطراب دائمين! والأستاذ أبي محمد محمود يحدثنا بعنوان: (التفاؤل وحسن الظن بالله) ، فيقول واصفاً حال الجزع المتشائم ، ما نصه: (ففي قاموس المتشائم الموت والسقم والهلاك والفشل والإحباط والسقوط. وذات مرة كان هناك شاعران ، أحدهما متفائل ، والآخر متشائم ، كانا في السجن ، فأخرجنا رأسيهما من نافذة السجن ، أما المتفائل فنظر نظرة في النجوم فضحك ، وأما المتشائم فنظر إلى الطين والوحل فبكى ، ولو قلت لأحد أولئك: هذه غُمة وستنجلي ، ومحنة ربما تكون في طياتها مَنَحٌ ، فسيقول: ما تعدني إلا غروراً ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ لقد تكالب على الأمة الأعداء كما تدعى الأكلة إلى قصعتها. وقد نسي المتشائم قوله تعالى: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا). ولن يغلب عسر يسرين وقد قيل: اشتدّي أزمة تنفرجي ، وقد ينبت الورد في جفن الأعاصير. لو تذكرنا تداعي جموع الأحزاب على المدينة ، والإسلام يومئذ كله بداخلها ، ليس ذولاً شتى ولا ملياراً من البشر كما هو اليوم ، وقد كان حال المسلمين في المدينة يومئذ ، كما وصفه المولى

سبحانه وتعالى في كتابه: (إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا). أقبل الشرّ بخيله ورجله ، فخرجت من الجنوب قريش وكنانة وأهل تهامة ، ووافاهم بنو سليم ، وخرجت من الشرق قبائل غطفان وكذلك خرجت بنو أسد ، واتجهت الأحزاب الكافرة صوب المدينة ، حتى تجمع حولها جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل! جيش يزيد عدده على سكان المدينة رجالاً ونساء ، صغاراً وكباراً! في جُوع منهم شديد ، وبرد وزمهير ، وعدة قليلة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت العصيب يبشرهم بأمر عظيم! قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكيننا ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاء وأخذ المعول فقال: (بسم الله ، ثم ضرب ضربة ، وقال: الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام! والله إني لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع آخر ، فقال: الله أكبر ، أعطيت فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر ، فقال: الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر صنعاء من مكاني).هـ. إن للتفاؤل رونقاً فهل جربناه في المحن؟)

هَلْ مِنْ قَبِيلِ التَّشْفَى بِالْأَبَاةِ  
أَنْ تَسْخَرِي مِنْ دُمُوعِي أَوْ شَكَاتِي؟  
ضَاعَتْ شُمُوعِي ، وَذَابَتْ أَمْسِيَاتِي  
قَدْ بَتُّ أَحْيَا أَعَانِي مِنْ حَيَاتِي  
إِنْ كُنْتُ مِّنْ أَثْقَلْتَنِي مُوبِقَاتِي  
يَا عَيْنُ فَلَاصْبِرِي ، فَالْخَطْبِ عَاتِ  
فِيكَ الرَّجَا ، أَنْتَ رَبُّ الْكَائِنَاتِ  
اللَّهُ رَبِّي جَلِيلُ الْمَكْرَمَاتِ

يَا مُنِّيَّتِي ، فِيكَ حَارَتْ أُمْنِيَاتِي  
أَنْ تَرْتَوِي مِنْ دَمِي ، أَوْ تَذْبِحِيَنِي؟  
أَوَاهُ ، لَمْ تُدْرِكِي آمَالَ فَرْحِي!  
وَالدَّرْبُ عَنِّي تَنَاءَتْ ، يَا فَوَادِي  
اللَّهُ رَبِّي قَرِيبٌ ، يَا جِرَاحِي  
فَاللَّهُ يَعْفُو ، وَإِنْ طَمَّتْ ذُنُوبِي  
فَامْنُنْ أَيَا رَبِّيَا بِالْعَيْنِ تَحِيَا  
رَبُّ عَظِيمٍ قَدِيرٌ ، لَيْسَ يَنْسَى

## ماذا وراء الستار؟

(إنني لأعتذر للقراء عن جُملة القصائد الحزينة الدامعة الكنيبة التي لا حديث فيها إلا عن الشجن المر ، والحزن الثقيل ، والكرب الموجه ، ذلك أنني هذه الأيام لا أملك غير الدعاء والدموع. والشعر المنبثق من بين الدعاء والدمع لا بد وأن يكون غارقاً في دموعه بعد أن غرقت عين شاعره في دمائها. وأسأل ماذا وراء الستار بعد أن نما إلى علمي همس الأطباء حول حل للمقلة المبتلاة تلك وهو استبدالها بأخرى صناعية زجاجية. إذ لا أمل في إيقاف نزيها الداخلي ، وقتها حزنت جداً. عندما لا يجد الإنسان مَصْرِفًا لأحزانه وآلامه فإنه يضرب ستارًا من الآمال من حوله ، لعله يجد شيئاً من السلوى والعزا ، وفي نهاية المطاف تُسفرُ الأيامُ عما بداخله من القدر المخبوء. وعمومًا ، أعتقد أن الأمل الخاوي أفضل من الصديق الخائن ، وكذلك الوحدة خير من الجليس السوء ، والخيال الجامح خير من التعامل مع النفاق والمنافقين. والله غالب على أمره!)

عَيْنَاهُ ، صَبْرًا ، فَإِنَّهُ الْأَمَلُ  
وَالْمَرْءُ يَصْنُبُو إِلَى مَارْبِهِ  
يَلْهُو وَكَثِيرًا ، وَلَا يَرَى نُذْرًا  
كَانَتْ جُفُونِي تُدَاعِبُ الْقَمَرَا  
وَالْيَوْمَ وَارَى لِأَجَلِ عَلْتِهِ  
فِيمَ ادَّعَاءِ التَّقَى ، وَأَنْتَ كَذَا؟  
بَاتَ التَّمَنِّي فِرَاعَ مُرْتَقِبِ  
إِنَّ الرِّضَا يَمْلَأُ الْقَلُوبَ تَقَى  
لِلَّهِمَّ فَاشْفِ التِّي غَدْتُ أَلْمِي  
أَنْتَ الْعَظِيمُ الَّذِي عَلَوْتَ عَلَى  
يَخْدُو بِنَاتَارَةً ، وَيَعْتَدِلُ  
تَوَاقُةَ رَوْحُهُ ، وَتَنْفَعِلُ  
يَسْمُو بِهِ حُلْمُهُ ، فَيُرْتَحِلُ  
قَدْ كَانَ يَسْعَى بَعَيْنِهِ الرَّجُلُ  
كُلَّ الْمُنَى ، وَالسَّتَارُ يَنْسَدِلُ  
قَدْ كُنْتَ تَرْجُو ثَوَابَ مَا فَعَلُوا  
أَوَاهُ طَالَ الْفِرَاعُ ، وَالْوَجَلُ!  
فَإِذَا التَّقِيُّ الْمُجَاهِدُ الْبَطَلُ  
لَا تُخْزِمَنَّ ذَا عَلَيْكَ يَتَكَلَّمُ  
كُلَّ الْوَرَى ، فَيُكِّ رِبْنَا الْأَمَلُ

## نجوم الليل

(عندما أخبرتني الدكتورة / ثريا عبد الله نور الدين ، استشارية العيون ،  
ورئيسة القسم في المستشفى القاسمي بالشارقة بقرار الجراحة المزمعة لعيني ،  
انتابني هاجس خلعها (أي العين) ، فانزعجت كثيرًا ، وأخذت أبتهل إلى الله وأجد  
في الدعاء الممزوج بالدموع أن يمن عليّ بمعجزة ، ورحت ألح في الدعاء أكثر  
بصالح أي عمل تقربت به إلى الله وتقبله الله عني. سَهَرْتُ - ليلتي - على سرير  
المَرَض ، وبقيتْ سُويَعَاتٍ على نارِ القلق والارتقَاب وسؤالِ المجهول ماذا وراء  
الحُجُب ، ولم تُعَدِّ إلا ساعاتٍ على جراحةٍ سوف تُجرى لعيني ، ونامَ الناسُ حولي  
وهذا الخَلانقُ ورحتُ أنظرُ إلى نُجومِ الليل ، وكانت هذه القصيدة حديثاً إليها.)

إِنِّي فِي الخَطْبِ آثَرْتُ السَّلَامَةَ  
إِنِّي حَصَّنْتُ نَفْسِي بِالكَرَامَةِ  
لَسْتُ مَن يَهْوَى تِرَانِيمَ السَّامَةِ  
فِي سَبِيلِ الحَقِّ أَسْعَى بِالصَّرَامَةِ  
إِنَّمَا الأَصْنَامُ هَذِي والنَّدَامَةُ  
وَالأَصِيلُ الحُرُّ تُبْكِيهِ المَلَامَةُ  
ثُمَّ فِي أَحشَانِهِ أَرَسَى حُسَامَهُ  
إِنَّهَا - فِي الوَجْهِ - يَا عُدَّالُ شَامَةَ  
يَا فَوَادِي ، قَاتَلَ اللهُ الدَّمَامَةَ  
مَاسَةً تَعْلُو جَبِينِي ، وَارْتَسَامَةَ  
لَوْحَةَ سَمْرَا ، وَأخْرَى كَالثَّغَامَةِ  
رَبُّنَا الخَلِيقُ ، وَالرُّجْعَى عِلَامَةَ

يَا نُجُومَ اللَّيْلِ ، مَا هَذِي المَلَامَةُ؟  
وَالَّذِي يَأْوِي إِلَى مَوْلَاهُ يَنْجُو  
لَيْسَ تُرْدِينِي خُطُوبِي ، فَاسْمَعِينِي  
إِنَّمَا تَقْوَى إِلَهِي أَمْنِيَاتِي  
لَيْسَ يُرْضِينِي رِيَاشٌ أَوْ فُلُوسٌ  
غَيْرَ أَنِّي - يَا نُجُومَ اللَّيْلِ - بَاكِ  
غَاصَ فِي عَيْنِي سَهْمٌ لَمْ يَصْنُهَا  
أَه ، مَا أَقْسَى بِيَاضًا يَحْتَوِيهَا!  
إِنَّهَا عَيْنِي ، وَأَعْلَى مِنْ مَتَاعِي  
جَنَّةٌ هَذِي ، تُحَلِّي كُلَّ صَدغٍ  
كُلُّ أَضْوَاءِ السَّنَا فِي لَوْحَتَيْهَا  
بُورِكَ المَوْلَى الَّذِي سَوَى وَحَلَّى

## يا سائلي عن مقلتي

(إن عالم الشعراء عالم بديع غريب عجيب جدًا ، وعندما يحل عليهم ضيقًا قارئٌ عادي يلمس من تلك الغرابة ، وذلك الإبداع ، وذلك العُجب ، الشيء الجم الكثير ، فإذا حل ضيقًا على الشعراء شاعر مثلهم ، قد ألان الله له فنون البيان بمدد من عنده ، فماذا هل عساه أن يجد عند الشعراء؟ إنه ولا شك سوف يلمس ما لم يلمسه غيره ، ويحس بما لم يحس به غيره ، بل وينهل ما لم ينهله غيره ، ويقع على ما لم يقع عليه غيره. إن عالم الشعراء - إن كانوا مؤمنين موحدين قد التزموا أدب العقيدة والتوحيد في أشعارهم - سيكون فيه من الذي ذكرت الشيء الكثير ، فإذا كانت لأحدهم هنة فإنها تغتفر في بحر حسناته وعطاءاته التي سبقت. وما إن كانَ مُصابي في عَيْني ، حتى وَجَدْتُ القومَ أَنوًا يَتَوَافِدُونَ عَلَيَّ ، ما بينَ مَكْتَبِ صادِقٍ لِمَا حَلَّ بي ، وما بينَ شامتٍ مُصْطَنِعٍ للْحُزنِ ، وفريق ثالث كانَ عَوَانًا بَيْنَ ذلك ، حيثُ لم يتبين لي حاله ، أهو صادقٌ أم كاذب ، وسُبْحانَ رَبِّي العَظيمِ عَلامِ الغُيوبِ ، فأخذتني عَفْوةٌ مَعَ بعضِ الشُّعراءِ ، فولد هذا النص.

**حيث عشتُ مع الشاعر العباسي بشَّار بن بُردٍ في بيتٍ له عن الشكوى يقولُ فيه:**

ولا بد من شكوى إلى ذي مُروءةٍ      يُواسِيكَ ، أو يُسَلِّيك ، أو يتَّوجعُ

**وعشتُ مع بيتين رائعين لابن المعتز عن الشماتة في مصاب الآخرين يقول:**

يا عاندًا قد جاءَ يشمَتُ بي      قد زدتَ في سَقَمي وأوجاعي  
وسألتُ لَمَّا غِبتَ عن خبري      كم سائلٍ لِيُجيبَه النَّاعي!

**وعشتُ مع بيتين ظريفيين لظالم الدُولي يحذر فيهما من اليأس يقول فيهما:**

فلا تُشعِرَنَّ النفسَ يأسًا فإنما      يعيشُ بجدٍ حازِمٌ ، وبليدٍ  
ما طالَ عهدُ اليأسِ في قلبِ امرئٍ      إلا استبانَ على الجبينِ حُطوطُ

وَعِشْتُ مَعَ بَيْتَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ بَدِيعِينَ لِعَمْرٍو بْنِ يَكْرِبَ بَيِّنِ قِيَمَةِ النَّصْحِ يَقُولُ فِيهِمَا:

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا      وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي  
وَلَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ      وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ

فتأثرتُ جدًّا بهذه الأشعار وهي تتوارد على ذهني وأنا في مصابي ، فأنشدتُ:

يَا سَائِلِي عَنْ آهْتِي وَدَمِي      عَيْنِي يُعْزِيهَا ضِيَا قَلَمِي  
أَنْظُرْ لَهَا تَخْزَنَ ، لِحْسَرَتِهَا      إِنِّي كَسِيرٌ أَشْتَكِي أَلَمِي  
كَفَيْكَفَ أَسَى نَفْسٍ مُعَذَّبَةٍ      أَحْزَانُهَا فِي الْقَلْبِ كَالْحَمَمِ  
بِالْأَمْسِ كَانَتْ تَنْتَشِي طَرْبًا      وَالْيَوْمَ عَانَتْ ، وَالْمَصِيرُ عَمِي  
مَا ضَرَّهَا فِي عَيْشِهَا رَمَدٌ      لَمْ تُؤْذِ عَيْنِي . قَطْ . مِنْ سَقَمِ  
وَالْيَوْمَ أَسْقَامَ . بِهَا . كَثُرَتْ      يَا لَيْتَ شِعْرِي ، مَنْ لِيذِي نَدَمِ؟  
يَا مَنْ سَأَلْتَ الدَّمَعَ مَنْحَدْرًا      فِيمَ الدُّمُوعُ . الْآنَ . يَا نَعْمِي؟  
وَاللَّوْمُ فَوْقَ الْخَدِّ مِعْوَالُهُ      وَالْعَيْنُ تَحْتَ الْجَفْنِ كَالصَّانِمِ  
أَوَاهُ يَا عَيْنِي وَنَائِبَتِي!      فِي الْقَلْبِ دَمْعٌ مِنْكَ ذُو ضَرَمِ  
يَا سَائِلِي عَفْوًا ، وَمَعَذْرَةً      إِذْ مَقَلْتَنِي مُهْتَاجَةً الرَّمَمِ  
إِنِّي لِأَمْرِ الْعَيْنِ فِي تِرَةٍ      وَالشَّعْرُ فِي الْقِرْطَاسِ كَالْعَدَمِ  
زَادَتْ عَلَيَّ مَائَةً قِصَايْنِهَا      تَبْكِي عَلَيَّ مَحْبُوبَتِي وَدَمِي  
الدَّمْعُ مِنْ أَبْيَاتِهَا وَجَلَّ      وَالصَّدْقُ فِيهَا دَامِعُ الْقِيمِ  
أَوَاهُ لِي ، وَخُدِي أَسَاطِرُهَا      نَارًا عَلَيَّ عَذْلِي وَذِي عَشَمِ!  
لِلْهُمِّ رُدَّ الْعَيْنِ ، ذَا أَمَلِي      ذَنْبٌ أَنَا ، وَالرَّبُّ ذُو كَرَمِ

## مضى الزمان أيها القلب

(في وقت من الأوقات عصيب ، ألقى الشيطان في أمنيتي أنه لا أمل البتة في شفاء هذه العين ، وأنها قد ذهبت إلى غير رجعة ، وأنه ستكون مكانها عين أمريكية أو ألمانية زجاجية شاخصة مكانها ، فانفطر قلبي وانقبضت أساري ، واضطربت جوانحي ، واهتاجت خواطري ، وفزعت إلى الدعاء والشعر فكانت هذه الآهة الشعرية: «مضى الزمان أيها القلب» ، أعزي بها قلبي ، وكلي أمل في الله أن تعود ، وقدّر ربي ولطف. دائماً وأبداً يُلقي القلب باللائمة على غيره ، أو على القدر ، وأنا هنا أخاطب قلبي بالألوم الغير ولا القدر. بل يحسن الظن بالله!)

فانشد - بمقلتك - الجنان  
أنت المعوض في اللسان  
وكذاك قد حرم البيان!  
وتراه يسعى في المكان  
وطغنت - بالألم - الكيان  
يهتاج في دمها الحنان  
والشعر منقلاث العنان  
ولكل نيران دخان  
أبداً يُعرقني الهيوان  
لمن اعتدى ، يا للجان!  
من يلعن - اليوم - الزمان  
من كل عيب أو طعان  
فاصمُد ، وقد آن الأوان

يا قلب قد دار الزمان  
وارض الحياة بمقالة  
كم من بصير لا يرى  
والكؤون ماض حواله  
يا قلب: قد حطمتني  
أنا قد كتبت قصائدي  
وتعدب الذكرى سدى  
أمضي ، ويس بقني الجوى  
إلا جسيم كوارثي  
والخيل باع صداقتي  
يا قلب ، ليس بمخلص  
إن الزمان مبرؤ  
والغيب فينا ، يا فتى

## اصبر وأنت البصير

(قليلة تلك القصائد الشعرية التي كنت قد نقشتها على البحر العروضي المتدارك (فعلن/ فعلن/ فعلن) ، ذلك البحر الذي كان الأخفش تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي قد استدرك به على معلمه الخليل. وعمومًا ، قَلَّتْهَا عند شاعر بسيط مثلي في أول الدرب لا يزال يخطو أولى خطواته المتعثرة ليست تضر كثيرًا وذلك أن هذا البحر المتدارك لم يكن له النصيب الأوفر الأوفى ولا الحظ الأكبر في شعر العرب الأوائل ولا الأواخر. وباستقراء الشعر العربي من امرئ القيس بل حتى قبل امرئ القيس إلى يوم الناس هذا ، نجد فعلاً أن القصائد التي كُتبت على البحر المتدارك أقل بكثير من التي كتبت على البحور الأخرى ، فهل كان عُرُوفُ الشعراء الأوائل والأواخر عنه لعدم الاعتراف به أم لصعوبته - وهو سهل يسير - أم لعدم إدراك الموسيقى فيه - وكله موسيقى - أم لعدم كتابة العرب الأقدمين عليه؟ والجواب: لا علم لي به. غير أنني أعلن أن لي عزاءً في كوني لم أكتب عليه كثيرًا من قصاندي. إن قصيدة: «اصبر وأنت البصير» أنقشها اليوم على المتدارك ، لتكتمل الرؤية التي أصبو إليها ، من إهداء ديوان على كل بحور الشعر العربي أهديتها لعيني الجريحة تلك. إِنَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ الْمَرِيرِ الْعَسِيرِ الْعَاتِي أَنْ يُمَسِيَ الْمَرْءَ بِكَلْتَا حَبِيبَتَيْهِ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ فَقَدَ إِحْدَاهُمَا ، وَأَمَّا الْآخَرَى فَقَدْ رُبِّطَتْ عَلَيْهَا ضَمَادَةٌ ، وَبَاتَتْ لَا تَرَى غَيْرَ الظَّلَامِ الْمُحْلَوْلِكَ الدَّامِسِ مِنْ حَوْلِهَا ، وَلَقَدْ عَشْتُ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ)** ، وقوله: **(وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ)** ، وقوله: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)**. وعشتُ مع قول النبي ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ». وأخذتُ أسترجعُ شِعْرًا أَحْفَظُهُ فِي الصَّبْرِ وَالتَّصْبِرِ وَالتَّحْتِسَابِ وَالتَّاسْتِرْجَاعِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَمِنْهُ: قَوْلُ ابْنِ الصَّلْتِ فِي التَّنَاءِ عَلَى الصَّبْرِ وَأَنَّهُ وَسِيلَةٌ: **الصَّبْرُ أَفْضَلُ شَيْءٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الزَّمَانِ إِذَا مَا مَسَّكَ الضَّرْرُ** وعشتُ مع بيتِ آخَرَ لِلشَّاعِرِ الْعِرَاقِيِّ الْمَحْتَرَمِ جَمِيلِ صِدْقِي الزَّهَاوِيِّ يَقُولُ فِيهِ: **تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ كَرْبَةٍ فَلَا عُسْرَ إِلَّا سَوْفَ يَعْقُبُهُ يُسْرٌ** وعشتُ مع بيتِ آخَرَ لِلشَّاعِرِ أَحْمَدِ شَوْقِيِّ فِي الصَّدْقِ وَالتَّالْتِمَازِ بِالْقَوْلِ الَّذِي يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَقُولُ بِهِ ، وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ إِذَا تَكَلَّمَ شَوْقِي الْفَذَّ عَنِ الصَّبْرِ:



## والمرءُ ليس بصادقٍ في قوله حتى يؤيد قوله بفعله

وتذكرتُ أني قلتُ (اصبر) لكلِّ مُصابٍ ، فرجعتُ وقلتُ: أعملُ هنا بقولي وألتزمه ،  
وقلتُ لقلبي: اصبر ، وأنتَ البصير. ولا شك أن الصبر دواء ناجع لكل مبتلى!)

واخمد ، واسترجع ، لا تفرك  
«إبليس» عليكم ، هل يضحك؟  
أمر البلى ليس بمربك  
إن الله مفرج كربك  
وذلك ، لا تقتل قلبك  
عجباً منك ، أتشكو ربك؟  
وذلك سممك في عسرك  
استغفرت - الآن - لذنبك؟  
كثب السنة تملأ بيتك  
أسرفت - الآن - على نفسك  
تحتاج لمعجزة عينك  
من شيء ، فلماذا نشرك؟  
لا تغلوا في الأمر المهلك  
هو من شق البصر ، وأسأك  
وارزقنا الإبصار بأمرك

كفكف دمعاً ، واشكرك ربك  
أنت المؤمن ، أنت الواعي  
والمؤمن - دوماً - في بلوى  
فلمأذا اليأس ، ألا تعقل؟  
فأرحم نفسك ، لا تقتلها!  
يا صاح ، أدم ذكر الرجعى  
في يسرك تشكو ، وتعاني  
إن الله لمعجزة  
وتقول تعيش بلا خل  
وتقول تموت من البلى  
ويقول الناس على جهل  
ما كان الله ليُعجزه  
أنتم أسباب ، يا قومي  
وشفاء العين من المولى  
أنتم رب الكون النعمى

## ألا يا عين صبراً

(خرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَصَابَ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا - حَتَّى  
ذَكَرَ الشُّوْكَةَ - إِلَّا لِإِحْدَى حَاصِلَتَيْنِ ، إِمَّا لِيُغْفَرَ اللهُ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ ذَنْبًا لَمْ يَكُنْ لِيُغْفَرَ لَهُ  
إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ ، أَوْ يَبْلُغَ بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ لَمْ يَكُنْ لِيُبْلَغَهَا إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ». إن صبر المسلم  
بلسم شافٍ من كثير من الهواجس العاتية التي تستأسر بعقله وقلبه وجوارحه ، وأنا  
في هذه القصيدة أناجي عيني ، وأوصيها بأن تصبر وتحاسب ، فبالصبر والاحتساب  
يهون الخطب الجلل المتداعي. والصبرُ يفتحُ المغاليق. طالما سَمِعْنَا هذه الكلمة  
الطيبة ، ولكنَّ النفسَ العَجَلَى اللَهْفَى تُريدُ حلاوةَ الصبرِ ذونما تَصْبِرُ ، كَالَّذِي يُرِيدُ  
أَنْ يَجْنِيَ ثَمَارَ زُرُوعٍ لَمْ يَزْرَعْهَا مِنْ حَيْثُ الأَصْلِ ، وَأَنَا - هُنَا - فَعَلًا أَقُولُ لِعَيْنِي:  
اصْبِرِي ، وَقَدَّرَ اللهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ. والدموعُ قد أخذتْ بِثَأْرِهَا مِنْ عَيْنِ دَامِيَةِ مَنْكُوبَةٍ  
بَرِيئَةٍ ، وَإِنَّ فَعْلَى صَاحِبِهَا الصَّبْرُ وَالتَّصَبُّرُ وَالاحتسابُ رِيثًا تُجْرَى جِرَاحَاتُهَا ،  
ويفعلُ اللهُ رَبَّنَا مَا يَشَاءُ. ذلك أن مستقبلها في الرؤية والإبصار بيد الله وحده!)

والمنايا تداعتُ تَرْتَوِي مِنْ نُوَاجِي  
مُؤْمِنٍ ، وَالرَّزَايَا أَفْقَدْتِنِي صَلاحي  
كُنْتُ عَقَا ، وَرَبِّي غَافِرٌ لِي جُنَاحِي  
لَمْ أَنَافِقْ ، وَكَمْ فِي سِيرَتِي مِنْ صُرَاحِ!  
مَا لِلَّيْلِ الْهُدَى يَا صَاحِبِي مِنْ صَبَاحِ!  
كَمْ عَلَى زُورِقِ الدَّاعِي تَرَى مِنْ رِيَاحِ!  
سَآخِرًا مِنْ لِيَالِ دَامِيَاتِ الجِرَاحِ  
ثُمَّ مَا أَجْرًا الأَحْزَانَ تَطْوِي رِمَاحِي!

عَيْنُ صَبْرًا ، فَإِنَّ الدَّمْعَ أَدَمَى جِرَاحِي  
ثَابِتٌ ، وَالأَمَانِي مُقْبِلَاتٌ تُعَانِي  
لَمْ أَخُنْ ، بَلْ ، وَلَمْ أَرْمُقْ بَعِينِي حَرَامًا  
غَيْرَ أَنِّي مُحِبٌّ لِلْهُدَى وَالمَعَالِي  
وَالْهُدَى شَانِكٌ ، كَمْ فِيهِ مِنْ تَضَحِيَاتِ!  
مُفَعَّمٌ بِالبَلَا ، دَاعِي الْهُدَى لَا يُبَالِي  
إِنَّهُ يَرَقُبُ الفَجْرَ الَّذِي ظَلَّ يَهْذِي  
أَهْ مَا أَصْعَبَ الأَلَامَ تَسْبِي سُرُورِي!

## يا غادتي يا مقلتي

(إن كانت العرب تطلق لفظ «الغادة» على المرأة الجميلة ، ولكنني أرى غادتي الجميلة هي هذه المقلّة المبتلاة ، وإنني لأرجو أن يردها الله عليّ ، لا يقدر على ذلك سواه ، أقول ذلك في مرحلة من مراحل العلاج يانسة عند أهل ذكر هذا العلاج. وأما عندي ، فإن الأمل في الله لم ولن ينقطع أبدًا ، (إن ربي لطيف لما يشاء). العينُ غادةٌ مَلِيحةٌ في وَجْهِ كُلِّ إنسان ، وكانَ عَدْلًا أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَعْدِلُ الْعَيْنَ إِلَّا عَيْنٌ مِثْلَهَا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عَفْوٌ وَتَصَافِحٌ وَاكْتِفَاءٌ بِالذِّبَةِ. ألا وإنه عندما يذهب الأذى بالعبد مذهبَه ، وفي بَوْتَقَةِ الْحُزْنِ وَالضَّجْرِ يَعْمُدُ الْعَبْدُ الْمُوحَّدُ إِلَى قُرْآنِ رَبِّهِ لِيَجِدَ السَّلْوَى وَالْعِزَاءَ وَالتَّصَبُّرَ وَالْعِوَضَ وَالسَّلْوَانَ. والأطباء يسرفون على أنفسهم عندما يقطعون في أمر مستقبلتي الحكم فيه لله العليّ القدير ، دون أن يعلقوا كلامهم بمشيئة الله! أيها الأطباء في الأرض كل الأرض (فوق أي أرض ، وتحت كل سماء): أنتم أسباب ، فلا تنسوا أنكم أسباب ، واعلموا أن الله تعالى بيده الأمر كله ، وإليه وحده يرجع الأمر كله!)

عن الماضي الذي بات جُرْحًا يحتويني  
ولم ترحمَ عذابي ، ولم تَعُدِّرْ شُجُونِي  
وقد غارت ولم تحتملِ بَأْسَ الْأَيْنِ  
وظني أن تعودي قريبًا ، تُسعديني  
وراحت تشتكي من بلاويها ظُنُونِي  
فلم أقنط ، لأنَّ الْهُدَى يُقْرِي عُيُونِي  
وغنى السعد حولي ، وناجاني حنيني  
وإني صابرٌ ، أبتغي أجْرَ الْمَنُونِ

أَلَا يَا بَهْجَةَ فِي ضَمِيرِي ، حَدِيثِي  
وَعَنْ عَيْنِي الَّتِي أَوْغَلْتُ فِي التَّيْهِ دَهْرًا  
وَعَنْ إِشْرَاقَتِي فِي دُرُوبِ الْكُونِ عَيْنِي  
أَيَا عَيْنَاهُ صَبْرًا ، فَلِرَحْمَنِ أَشْكُو  
لَأَنِّي كَلَّمَا أَتَخَنْتُ نَفْسِي جِرَاحِي  
تَذَكَّرْتُ الْقُرْآنَ الَّذِي أَتْلُوهُ دَوْمًا  
وَتَاهَتْ فِي سَنَا فَرْحَتِي آهَاتُ قَلْبِي  
وَعَيْنِي - الْآنَ - غَابَتْ ، وَرَبِّي لَيْسَ

## وشجّ الطرس عيني

(أخبرتني الدكتورة / ثريا ذات يوم بأن هذه العين المبتلاة قد تمزقت من الداخل بصورة لا يمكن تخيلها ، فضلاً عن أن تكون واقعا. وسألتها: لماذا؟ فأجابت: لأن شبكيتها كانت بين حين وآخر بين أصابعي شرايح مبللة بالدم القاني ولا أمل في إعادتها مكانها سليمة أبداً ، كما أنني وجدت العضلتين الهدبيتين اللتين تحملان عدسة العين ممزقتين بصورة لا توصف. وأردفت الطيبة الاستشارية مكررة: لا أمل. فعقبت على كلامها قائلاً: الأمل والشفاء ، وإعادتها كما كانت بيد الله - تعالى - وحده ، فهو المستعان. إنه إذا اقتحمت شجرة عَيْنٍ أَحَدِنَا ، فكم يكون حَجْمُ هذا العذاب والمُصَاب؟ وتظلّ العينُ بعد ذلك تَدْمَعُ وتَحْمُرُ حَدَقَتُهَا ، وتضيقُ وتتسعُ ، ويأتيها لونٌ ، ويذهبُ عنها لونٌ آخر. وأنا أتألمُ وأعاني وأكابُدُ ، فما بالنا إذا تمزقت العينُ بقطعٍ مِنَ الرَّجَاجِ حَادَةِ مَاضِيَةٍ ، تخرقُ جَفْنَ العَيْنِ ، وتقطعُ القَرْنِيَّةَ ، وتستقرُّ هناك عِنْدَ الشَّبَكِيَّةِ؟ لا شك أنه مُصَابٌ لا يعلم مَدَاهُ ومقداره وَحَجْمَهُ إِلَّا الَّذِي قَدَّرَهُ ، المَلِيكُ الخَالِقُ المَدْبِرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.)

أنتِ - يا عيني - المصابيخُ في أيامهِ  
أنتِ أقباسُ الصُّبَا ، أنتِ مِنْ أَحْلَامِهِ  
وَأَسْتَحَالَ الكونُ كَالقَبْرِ مِنْ إِظْلَامِهِ  
وَالدَّمُ المِغْدَاقُ كَالبحرِ فِي أَنْسَامِهِ  
يَحْمَدُ المَوْلَى ، وهذَانِ مِنْ إِسْلَامِهِ  
وَالأَمَانِي شاقها الذكْرُ فِي أَنْغَامِهِ  
أَسْرَفُوا ، بل مات يا ناسُ مِنْ أَوْهَامِهِ  
وارحم القلبَ الَّذِي باتَ فِي آلَامِهِ

إِيهِ ، يا عَيْنَ الَّذِي بَاتَ فِي آلَامِهِ  
أنتِ فِي دَرْبِي الضَّيَا فَاطرِحِي عَنكَ العَنَا  
مُرَّقَ الجَفْنِ المَعْنَى فَأَمَسَتْ ظِلْمَةٌ  
ثُمَّ شَجَّ العَيْنَ طِرْسٌ قَوِيٌّ جَلْمَدٌ  
ثُمَّ فَاضَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِ قَلْبِي سَاجِدًا  
يُعْلِنُ التَّوْحِيدَ قَلْبِي ، ولم يَنْسَ الرِّضَا  
بِالْعَوَا ، إِنَّ لَمْ يَمُتْ سَوْفَ يَهْدِي عُمُرَهُ  
رَبِّ فَاهِدِ النَّاسِ كَمْ ذَا يُضِلُّونَ الوَرَى!

## عيناه كُفِّي الدمع

(خرَجَ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَجْرَةً فَهَزَّهَا حَتَّى تَسَاقَطَ وَرَقُهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتَسَاقَطَ ، ثُمَّ قَالَ: «لَلْمُصِيبَاتِ وَالْأَوْجَاعِ أَسْرَعُ فِي ذُنُوبِ ابْنِ آدَمَ مِنِّي فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ». وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْمُصِيبَةُ تُبَيِّضُ وَجْهَ صَاحِبِهَا يَوْمَ تَسْوَدُّ الْوُجُوهُ». وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ لِيُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ ، كَمَا يُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ دَهَبَهُ بِالنَّارِ ، فَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ ، فَذَلِكَ الَّذِي حَمَاهُ اللهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ دُونَ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَشُكُّ بَعْضُ الشُّكِّ ، وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ ، فَذَلِكَ الَّذِي افْتَتِنَ». إِنِّي أَنَاشِدُ عَيْنِي أَنْ تَكْفَأَ عَنِ الدَّمْعِ الَّذِي أَذْهَبَ نَوْمِي ، وَأَطْلُبُ إِلَيْهِمَا أَنْ تَحْتَسِبَا وَتَصْبِرَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ. إِنْ حَيَاةَ الْمَرْءِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَسْفَامٍ وَأَوْجَاعٍ وَكَوَارِثٍ وَهُمُومٍ لَا تُسَاوِي دَقَائِقَهُ الْأُولَى فِي الْقَبْرِ. وَأَنَا أَهْدِي أَيْبَاتِي تِلْكَ إِلَى مَقَلَّتِي الَّتِي - مِنْذُ كَانَتْ مُصِيبَتُهَا - زَالَتْ نَضَارَتُهَا ، وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ بُكَائِهَا وَانْتِحَابِهَا. وَكُلَّمَا نَظَرْتُ فِي الْمَرْأَةِ أَخَذْتَنِي حَسْرَةً عَاتِيَةً ، وَانْتَحَبْتُ وَبَكَتُ مَعِي مَقَلَّتِي وَانْتَحَبْتُ. وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَقُولُ حَالَ النَّظَرِ فِي الْمَرْأَةِ: اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خُلُقِي ، فَحَسِّنْ خُلُقِي وَحَرِّمْ وَجْهِي عَلَى النَّارِ ، أَصْبَحْتُ تُضَيِّفُ إِلَى الدَّعَاءِ قَوْلَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَالَّذِي يَدْفَعُ الثَّمَنَ الْأَكْبَرَ هُوَ سَائِرُ الْجِسْمِ. وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ كَرِهْتُ الْبُكَاءَ وَالدَّمُوعَ ، وَبَاتَ مِنْ أَبْغَضِ الْحَلَالِ عِنْدِي النَّظَرُ فِي الْمَرْأَةِ ، وَكَأَنَّ الْمَرْأَةَ شَبَّحَ مُخِيفٌ حَقًّا. وَعِشْتُ مَعَ الْقَبْرِ وَظِلْمَاتِهِ فَتَذَكَّرْتُ حَدِيثَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ». وَتِلْكَ حَقِيقَةُ نَبْوِيَّةِ رَانِعَةَ! تَقَرَّرْتُ فِي غَيْرِ مَا مَوْقِفٍ وَحَدِيثٍ! وَمِنْ لَطِيفٍ وَظَرِيفٍ الْقِصَصِ ، مَا جَاءَ عَنِ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِخَرِيمِ النَّاعِمِ: صِفْ لِي الْعَيْشَ ، فَقَالَ: الْأَمْنُ ، فَبَانِي رَأَيْتَ الْخَائِفَ لَا يَلِذُ عَيْشًا ، قَالَ: زِدْنِي ، قَالَ: وَالْعَافِيَةَ ، فَبَانِي رَأَيْتَ الْعَلِيلَ لَا يَلِذُ عَيْشًا ، قَالَ: زِدْنِي: قَالَ: وَالشُّبَابَ ، فَبَانِي رَأَيْتَ الشَّيْخَ لَا يَلِذُ عَيْشًا ، قَالَ: زِدْنِي: قَالَ: لَا مَزِيدَ. وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ ضَوْعَ عَيْنٍ وَأَبْقَى الْأُخْرَى صَحِيحَةً مَعَافَاةً. وَأَيْضًا بَقِيَتْ

الصحة البدنية برمتها. فله الحمد على ما أخذ للابتلاء ، وأبقى أيضا للابتلاء. فهل تفكرنا في نعمة الصحة والعافية؟ إنها نعمة جلية جميلة يتمناها من حُرْم منها ، وليس يدركها إلا المرضى ، خاصة المرضى بالأمراض المزمنة. فهم يتمنون أن يتمكنوا من النظر بعيونهم ، لأنهم مصابون بالعمى بسبب حوادث أليمة ، أو لا يقدرّون على المشي لمرض نزل بهم ، فهم يتمنون العافية ليعيشوا حياة طبيعية كسائر الناس ، فمن الخطأ بعد هذا أن ننعص على أنفسنا بقلّة الرضا والنظر إلى ما في أيدي الناس ، دون النظر إلى النعم من حولنا ، والتي نتقلب فيها ليل نهار. إن من ابتلي بحادث كالذي أصبت فيه ، عليه أن يتذكر أن سواه قد أودى الحادث بحياته كلها ، وحمل من مكان الحادث إلى خشبة الغسل ، ثم إلى المسجد للصلاة عليه ، ثم إلى القبر منزله الأول من منازل الآخرة ، وليس مثواه الأخير على حد ما يتشددون! قال عليه الصلاة والسلام «انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم». ومع قلّة الرضا سينظر الواحد منا للحياة بنظرة سوداوية مأساوية ولن يرضينا أي شيء ، وهذا منافٍ لما أمرنا به من حمد الله والثناء عليه وشكره على النعم ، وبالرضا سنعيش حياة طيبة مستقرة مليئة بحمد الله والثناء عليه. ذلك أن الرضا يجعل المرء يدرك جيداً أن ما أصابه من الخير أو الشر لم يكن ليخطأه ، وأن ما أخطأه وكان لغيره من الناس لم يكن ليصيبه ، لأنه ابتداء ليس له. ولي يرزق مقام الرضا إلا عبد رباني طائع! وإنه لجميل من العبد المؤمن أن يرضى بقدره كله! ولقد عشتُ بعضَ الخواطر الشعرية حول القبر وعِظة الموت ، وأخذتُ أردّد بعضَ الأشعار، والتي منها مثلاً: **قولُ الإمام الفقيه ، الأديب ، الشاعر العملاق**

**محمد بن إدريس الشافعي وهو يتحدث عن القبور وصمّتها وصمت أصحابها:**

مَا لِلْمَقَابِرِ لَا تُجِيبُ إِذَا دَعَاهُنَّ الْكَنِيْبُ  
فِيهِنَّ وِلْدَانٌ وَأَطْفَالٌ ، وَشَبَابٌ وَشَيْبُ  
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي بِفُرْقَتِهِ تَطِيْبُ!  
غَادَرْتُهُ فِي بَعْضِهِنَّ مُجْنَدَلًا وَهُوَ الْحَبِيبُ  
وَسَلَوْتُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا عَهْدِي بِرُؤْيَيْتِهِ قَرِيبُ

**وعِشْتُ كَذَلِكَ مَعَ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - مُتَحَدِّثًا عَنِ الْقَبْرِ وَالْحَيَاةِ مَعًا:**

وَاللّٰهُ لَوْ عَاشَ الْفَتَى فِي ذَهْرِهِ أَلْفًا مِنْ الْأَعْوَامِ مَالِكٌ أَمْرِهِ

مُتَلَذِّدًا فِيهَا بِكُلِّ عَجِيْبَةٍ      مُتَمَتِّعًا فِيهَا لِغَايَةِ عُمْرِهِ  
لَمْ يَعْرِفِ الْأَسْقَامَ فِيهَا مَرَّةً      أَيْضًا ، وَلَا خَطَرَ الْهُمُومِ بِفِكْرِهِ  
مَا كَانَ هَذَا كَأَنَّهُ بِجَمِيعِهِ      بِمَبِيتِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ

**فترحمتُ على الشافعي وأنشدتُ من شِعري هذي القصيدة: وتذكرتُ حديثاً للنبي**

صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة: (أكثرُوا ذكرَ هاذمِ اللذاتِ ، يعني الموتِ).  
رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن. (أكثرُوا ذكرَ هاذمِ اللذاتِ). قال السيوطي في  
حاشيته على جامع الترمذي بالذال أي قاطعها ، وفي التحفة لابن حجر الهيتمي: هو  
بالذال أي مزيلها أي من أصلها. وشبه وجود اللذات ثم زوالها بذكر الموت ببنيان  
مرتفع هدمته صدمات هائلة حتى لم تبقى منه شيئاً (يعني الموت) هذا تفسير لهاذم  
اللذات! (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه) وما أعذب الذكرى بالموت وسكراته.)

نَامَتِ الْأَحْزَانُ فِي عَيْنِ الشَّاعِرِ      لَمْ يَكُنْ فِي مَبْتَغَاهَا مِنْ رَاجِرِ  
وَاللَّظَى فَوْقِي يُغْطِنِي غَابِئًا      يَا لِكْرَبِي ، أِهْ مِنْ سَيْفِ بَاتِرِ!  
خَيَّمَتْ - فَوْقِي - خُطُوبِي ، يَا لِلْأَسَى      لَمْ تَرِدْ هَذِي الْمَنِيَا فِي خَاطِرِي  
إِنَّهَا أَقْدَارُ رَبِّي ، يَا سَانِلِي      رَبُّ قَلْبٍ مِنْ سَنَا الْبَلْوَى عَاطِرِ  
عَيْنِ كُفِّي الدَّمْعُ قَدْ حَانَ الْمُنْتَهَى      رَبُّ خُدِّ مِنْ أَسَى الشُّكْوَى صَاعِرِ  
بَلَّلْتُ أَبْيَاتِ شِعْرِي عِبْرَاتُهَا      بَاتَ يَبْكِيهَا يَرَاغُ الشَّاعِرِ  
إِنِّي حَصَّنتُ أَيْبَاتِي بِالنَّقَى      أَبْتَغِي السُّلْوَانَ فِي عَيْنِ الْخَائِرِ  
إِنَّهَا فِي الضِّيقِ نِبْرَاسٌ مَشْرِقِ      يَرشُدُ الْحَيْرَانَ فِي التِّيهِ السَّادِرِ  
وَهِيَ عَيْنِي بَعْدَ عَيْنِي ، يَا صَاحِبِي      تَبْصُرُ الْأَضْدَادَ فِي الْجَيْلِ الْغَابِرِ  
أَكْتُبُ الْأَبْيَاتَ ، أَهْدِيهَا مُقَلَّتِي      سَطَّرْتُ بِالْدَّمْعِ يَسْرِي فِي نَاطِرِي  
أَرْقُبُ النُّورَ الَّذِي وَلَى مَدْبِرًا      فَإِذَا بِي فِي دُجَى عَاتٍ غَائِرِ  
وَالْوَرَى - وَيَحِ الْوَرَى - إِذْ لَمْ يَرْحَمُوا      رَبُّ فَارْحَمْ ضَعْفَ مَحْزُونٍ تَائِرِ

## جحيم الأشجان

(لا تزال الأشجان بالإنسان ، حتى تصور له أنه لا أمل البتة في إصلاح أو علاج. والأشجان جحيم ليس يطاق ، وعذاب لا يتحمل ، إلا أن يَهْوَنَ الله برحمة منه هذا الجحيم ، فيصبح جنة ، وهذا العذاب ، فيصبح راحة. والمؤمن يرضى بما قسم الله له في كل شيء ، وذلك حتى يصبح برضاه هذا أغنى الناس قلبًا وقلبًا ، وعندها ، يهون عند المسلم كل شيء في ذات الإله ، وليس يقبل الاسترسال مع الشجن ، وإن هو تعذب وتألم. والرضا بقضاء الله وقدره ركنٌ ركينٌ من أركان العقيدة في الله. والأمر - من الناحية النظرية - مقبولٌ عند كثير من الناس. ولكن ساعة ينزل القضاء يتميز الراضي بالقضاء والقدر من المتضجر منهما الساخط عليهما ، ولقد صدق الشافعي الإمام الشاعر إذ يقول:

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ      وَطَبِّ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ  
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي      فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ  
وَكَنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا      وَشَيْمُتِكَ المَرُوءَةُ وَالْوَفَاءُ  
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبِرَايَا      وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ  
تَسْتَرُّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ      يُعْطِيهِ - كَمَا قِيلَ - السَّخَاءُ  
وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطْ ذُلًّا      فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ

وفي مقالة بعنوان: (الحنن في المنظور الإسلامي) للدكتور أحمد السعدي ضمنه تحقيقاً لغويًا وآخر شرعيًا فقال ما نصه: (يقال في اللغة: حزن الرجل حزنًا وحزنًا بمعنى اغتم ، وكنب الرجل أي تغيرت نفسه ، وانكسرت من شدة الهم والحزن. (القاموس المحيط). ويُعرف ابن مسكويه الحزن بأنه: ألم نفساني يعرض لفقد محبوب ، أو فوت مطلوب. والحزن - بهذا المعنى - محنة وبلاء من الله بمنزلة المرض والهم والغم ، وهو ليس من الصفات المحمودة والمطلوبة. لكن هذا لا يعني أن الحزن لا يكون من المؤمن ، بل قد يوجب المؤمن على الحزن لما يدلُّ



عليه حزنه من رحمة وصدق وحرص على هداية الناس. فالمؤمن يحزن لحال المسلمين ، ويهتم لأمرهم ، ممّا يؤلّد عنده نوعاً من القلق ، وزيادة في الحرص ، ويكون ذلك وقوداً له ليدفع عن المسلمين الأذى ما استطاع إليه سبيلاً ، وليحرص على هداية غيرهم ، ببذل جهده في دعوتهم للحق ، حرصاً على نجاتهم وسعادتهم. غير أنّ هذا الشعور الذي يعرض له بين الفينة والأخرى ، لا يتملّكه أبداً ، ذلك لأن الحزن إذا غلب على الإنسان أصبح اكتئاباً ، وإذا كان كذلك لم يعد وقوداً ، بل على العكس ، يصبح مانعاً من السعي في عمارة الكون وتصحيح مسار الحياة ، ولذا أنكر ابن القيم على المتصوّفة جعلهم الحزن مقاماً مقصوداً ، ووصفه بأنه غير مسير ، أي أنه متبّط. إذن إذا قلنا إن الحزن ليس مطلوباً فلا يعني ذلك إنكاراً للحزن ، وإنما هو إنكار لجعله قرينة في حدّ ذاته). هـ. (ألا وإنني أوجّه هذه القصيدة لمقلتي البائسة متحدثاً عن جحيم الأشجان ، موصياً بالصبر والاحتمال ، فإن الأمر لله من قبل ومن بعد . وإن علامة الإيمان بالقضاء والقدر هي التسليم المطلق لكل ما يصنعه الله بالعبد ابتغاء رضا الله والجنة. إن هذه القصيدة تضرب على ذات الوتر بنفس الوتيرة ، وتبين أن الإنسان ليس مخيراً أبداً فيما يقع له في هذي الحياة. أنشدت من شعري ، مستعيناً بالله وحده أقول:

وأحزانٌ يُسليها ضوؤُ فَجْرِي  
ومقتولٌ فُوادي في جَوْفِ صَدْرِي  
وفيمَ الفَرْحِ ، والدُّنيا ليس تُغْرِي  
وأدْمِي كلَّ يومِ أشواقِ عُمْرِي  
وليسَ الأمرُ يا عيني كانَ أمرِي  
رضاً قلبي بكلِّ المقدورِ سِرِّي  
وغَطّاني الأسي . لَيْلي . بَلْ وظَهْرِي  
ولو خَيْرْتُ ، لم أختَرِ سوى الخيرِ  
وربِّي قد تَعَالَى عن كُلِّ جَوْرِ

تَرانيمٍ تُناجِي في الكَرْبِ صَبْرِي  
وأوجاعٌ تُناغي دمعَ الحنايا  
وإنِّي لمَ أدقُّ فَرْحاً مُنذُ كَرْبِي  
أخْبِي مِنْ جَمِيعِ الأَقْوامِ عَيْنِي  
وعَيْنِي في جَحِيمِ الأشجانِ تَبْكِي  
فَضَاءَ اللَّهِ . هذا . فوقَ البرايا  
ولمَ أجزَعُ ، ولكنْ كَرْبِي طَوَانِي  
ولو روجعتُ ، ما اخترتُ الوهمَ دَرْباً  
ولكنْ أمرُ رَبِّي ، يا ربِّ فالطَّفُ

## عين أنت المنى

(خَرَجَ الطبراني بإسناده أن رسول الله - ﷺ - قال: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي فَصُبُّوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا. فيحمدُ اللهَ ، فيرجعونَ فيقولونَ: يَا رَبَّنَا ، صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا كَمَا أَمَرْتَنَا ، فيقولُ: ارْجِعُوا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ».) وخَرَجَ الطبراني أيضًا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ بِمَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ فَكَتَمَهَا وَلَمْ يُشْعِرْهَا إِلَى النَّاسِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ».) وخَرَجَ الطبراني كذلك أن شبابًا من قريش دخلوا على عائشة - رضي الله عنها - وهي بمنى وهم يضحكون ، فقالت: ما يضحكم؟ قالوا: فلان خر على طنْب فسطاط ، وكادت عنقه أو عينه أن تذهب ، فقالت: لا تضحكوا ، فإنني سمعت رسول الله - ﷺ - قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشَاكُ بِشَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا حَطِينَةٌ».) وروى ابن أبي الدنيا عن أبي بردة قال: كنت عند معاوية ، وطبيب يعالج فُرحة في ظهره وهو يتضور ، فقلت: لو أن بعض شبابنا فعل هذا كُفينا ذلك عليه ، فقال: ما يسرني أني لا أجده ، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى فِي جَسَدِهِ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِحَطَايَاهُ».) وما في شك أني عانيت لمصابي. لكثرة ما كنت أرثي ما نزل بي ، كنت أشعر بين الفينة والفينة أنني أتحدث إلى فتاة حَجَلِي هِيَ عَيْنِي. نعم ، كنت أشعر أنني أمام وجدان حي وإحساس نابض وشعور منتفض فِعْلًا ، وقلب يتدفق بالحياة بحق ، وحنايا دافقة بالحُب ، وبين ثنايا هذه الحنايا يبتسم الحنانُ والحبُّ. والحقيقة أن بني آدم على وجه العموم والشمول لا يدركون ما أنا فيه إلا مَنْ كان في مثل ما أنا فيه ، أو كان قَدْ كَفَّ بصره فلم يَعُدْ يرى مِنَ الحياةِ والأحياءِ سِوَى الظلامِ الدامسِ. ومعنى أن يكتبَ يراعَ في يدي مِنْ قريحةِ فكري ومن جحيمِ مُعاناتي ومن سُويداءِ مُحنتي ومن بؤرةِ صرختي هذا الكَمَّ مِنَ الأشعارِ المختلفةِ البُحورِ ، وكذا الأوزانِ والقوافي والإيقاعاتِ والتراكيبِ والمعانيِ والتصوراتِ ، لِيَدُلَّ دلالةً قاطعةً على غَمِّ ما أنا فيه. والصَّحَّةُ تاجٌ على رُءوسِ الأصحاءِ ، لا يُدركُه إلا المرَضَى. وكذلك العيونُ يواقيتُ في وجوهِ المُبصرين لا يُدركُها إلا العُميانُ الأكفَاءُ ، علم ذلك عَنِّي مَنْ عَلِمَهُ ، وجَهَلُهُ عَنِّي مَنْ جَهَلَهُ. غيرَ أني أسطر ذلك بقلمِي أمامَ

التاريخ ، وبعد تجربة مريرة ثمنها مقلّة كانت بفضل ربي أَبْصَرَ للأشياء مِنْ زرقاءِ اليَمَامَةِ ، ولكنّه قَدَّرَ اللهُ الغالب. ولا زلت أذكر الأيام التي كنت أبعث فيها برسائلي البريدية للدكتور عدنان النحوي ليعطيني رأيه وليوافيني برده ، وكنت أنتظر الردود على أحر من الجمر! والدكتور عدنان هو الآخر عانى ثقل الأمراض وكانت له جراحة خطيرة في القلب ونجحت بفضل الله ، فكان الرد فيه تجربة! واستمتعت بسعة صدره وعذب أفكاره وجميل نصحه وطيب نقده ونقاء أبوته!

يَا فَتَاتِي ، وَأَنْتِ الْفَرْحَةَ الْحَجَلَى  
أَنْتِ - فِي وَجْهِ مَنْ يَهْوَاكِ - أَسْرَارٌ  
أَنْتِ فِي وَجْنَتِي الْيُسْرَى تَرَانِيمِي  
أَنْتِ سَيْفُ الْهُدَى فِي حُجَّتِي دَوْمًا  
عَيْنٌ صَبْرًا ، فَإِنِّي فِي جِرَاحَاتِي  
مَا لَنَا فِي قَضَاءِ اللَّهِ مِنْ قَوْلٍ  
كَمْ دَهْنْتِي خُطُوبٌ ، لَمْ أَكُنْ أَسَى!  
كَمْ طَحَنْتُ الْعَنَا ، وَالآلَةَ التَّقْوَى!  
كَمْ غَشَيْتُ الْوَعَى ، مَا كَانَ لِي نِدًّا!  
عَيْنٌ أَنْتِ الصَّبَا ، وَالْحُبُّ وَالْمَنْجَى  
عَيْنٌ لَا تَجْزَعِي مِنْ نَكْبَةٍ حَلَّتْ  
حَبًّا الْعَيْنَ إِحْسَاسِي بِالْأَمِي  
أَسْرَفْتُ فِي التَّمَادِي أَهْتِي الْحَرَى  
رَبِّ أَدْرِكْ مُصَابِي ، إِنِّي عَبْدٌ  
أَهْ مِنْ حَيْبَةِ تَسْتَهْدِفُ التَّقْوَى

أَنْتِ نُورٌ يُجَلِّي بَسْمَتِي الْعَجَلَى  
أَنْتِ وَهْجُ السَّنَا فِي نِعْمَةٍ فَضْلَى  
أَنْتِ يَا عَيْنُ نُورِ الْفِكْرَةِ الْمُتَلَى  
أَنْتِ مَوْتُ الْعِدَا ، وَالطَّغْنَةَ النَّجَلَى  
وَالخُطُوبُ انْجَلَتْ ، وَالنُّوبَةَ الْحَجَلَى  
غَيْرَ حَمْدٍ وَصَبْرٍ ، دُونَمَا «لَوْلَا»  
بَلْ طَرَحْتُ الْأَسَى ، وَالْقَلْبُ كَمْ أَبْلَى!  
كَمْ صَدَمْتُ اللَّظَى ! وَالصَّبْرُ لِي أَخْلَى!  
لِي دَرُوبُ الْعُلَا ، لَا الْغَابَةَ السُّفْلَى  
أَنْتِ كُلُّ الْمُنَى ، قَدْ كُنْتِ لِي أَهْلَا  
جُرْحُهَا فِي الْحَشَا أَرْدَى الْفَتَى كَهْلَا  
سِرْتُ فِي حَيْرَتِي ، مَا قَلَّتْ لِي مَهْلَا  
قَدْ عَلْتَنِي دُنُوبِي ، صِرْتُ فِي الْقَتْلَى  
ثُمَّ خَطْبِي عَلَانِي ، بَاتَ لِي خِلَا  
رَبِّ فَاجْبُرْ فَوَادِي ، نُورِ الْحَجَلَى

## ما عن العين صبر

(اعتدت كلما شاهدت الأعمى أن أدعو بما علمناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :-  
«الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه ، وفَضَّلني على كثير ممن  
خَلَقَ تَفْضِيلاً». وأدركت اليوم قيمة هذا الدعاء عندما قرر الأطباء لفَّ المقلة في  
ضمادة ، ومنع الأخرى من النظر في الضوء الشديد. والعينُ جوهرة غالية لا  
يُدرِك قيمتها إلا مَنْ فَقَدَهَا ، وهي نِعْمَةٌ عظيمة ، وأعظمُ منها نِعْمَةُ الإسلام ، تلك  
التي لا تُقَارَنُ بغيرها أبداً. ولقد أُوذيتُ في مالي فاحتسبتُ ، وأوذيتُ في أصحابي  
فَحَلُمْتُ ، وأتى دَوْرُ الإيذاءِ في النَّفْسِ فاحتملتُ. فالله المستعان على كل حال!)

اصبري صبرَ النَّقِيِّ النَّابِئِهِ  
إِنَّمَا الصَّبْرُ دَوَاءُ الْكَارِهِ  
حَيْثُ لَا إِفْلَاتَ مِنْ أَقْدَارِهِ  
وإصبري ، فالصبر من نعمائه  
إِنَّمَا الْمَقْدُورُ مِنْ بَلَوَائِهِ  
قَدَّرَ الْقِيَوْمُ فَحَوَى شَأْنَهُ  
إِنَّ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ آلَائِهِ!  
إِنَّمَا الْمَكْتُوبُ فَوْقَ رَأْسِهِ!  
أَنْتَ مَرْبُوبٌ لَهُ ، تَحْيَا بِهِ!  
وَاسْتَمِ بِالْتَوْحِيدِ فِي مَعْرَاجِهِ  
وَإَتَهُمْ قَلْبًا سَعَى فِي غَابِهِ  
فَاسْتَفِدْ - يَا قَلْبَ - مِنْ أَخْطَائِهِ  
ظَالِمٌ نَفْسِي بِذَنْبِ شَأْنِهِ

إِيهِ يَا عَيْنَ الْغَرِيبِ التَّائِبِهِ  
لَيْسَ غَيْرُ الصَّبْرِ عِنْدِي ، فَاعْلَمِي  
وَحَدِي مَوْلَاكِ - لَيْلًا - وَالضُّحَى  
وَاحْمَدِي الرَّحْمَنَ فَجْرًا وَالْمَسَا  
كَفَكْفِي الدَّمْعَ ، كَوْتِي عِبْرَتِي  
إِنَّ عُمَرَ الْمِرْعَ فِي هَذَا الدُّنَا  
فَلَمَّاذَا الْحُزْنَ - دَوْمًا - وَالْبُكََا؟  
وَلَمَّاذَا الْكَرْبُ - دَهْرًا - وَالْأَسَى؟  
وَلَمَّاذَا - فِي الْبَرَايَا - تَشْتَكِي؟  
فَالْتَرَمِ تَقْوَاهُ تَسْعِدُ أَبَدًا  
سَائِلِ الْجِيلِ طَوِيلًا ، وَاهْجِهِ  
عِنْدَهَا تَعْلُو وَتَسْمُو فِي الْوَرَى  
رُدِّ يَا مَوْلَايَ عَيْنِي ، إِنِّي

## إنك ميت وإنهم ميتون

(لفرط حبه للنبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بعض الصحابة يتصور أنه سيموت. وهذا عمر الفاروق يوم توفي النبى - صلى الله عليه وسلم - يُعلنها: إنه ذهب كما ذهب موسى لميقات ربه وسيعود ، ألا من زعم أن رسول الله قد مات ، أضرب عنقه بسيفى هذا. حتى هدأت سورة عمر عندما خطب الصديق الناس واستهل بقوله: أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت. وتلا الصديق الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين). عند ذلك يهدأ الفاروق ويقول: لكأنى بهذه الآية قد نزلت لتوها. وإذن ، فكل مصيبة بعدك يا رسول الله هينة لا تقارن بمصاب الأمة المسلمة فيك يوم فارقتها. حديث للنبى - صلى الله عليه وسلم - معناه: أن من أراد أن تهون عليه مصيبتة فليذكر مصيبتة في. أي: فيه صلى الله عليه وسلم. ولما كانت إصابتي في مقتلتي تذكرت المصاب الأعظم الذي هو موت النبى - صلى الله عليه وسلم - . ثم عشت مع أبيات للمشاعر العملاق العظيم حسان بن ثابت شاعر الرسول - رضى الله تعالى عنه - ، يرثي فيها النبى - عليه السلام - رثاء لا عجباً دامعاً باكياً ، يتحفنا فيه بقوله:

ما بال عينك لا تنام كأنها	كحلت مآقيها بحل الأرمـد
جرعاً على المهديّ أصبح ثاوياً	يا خير من وطئ الحصى لا تبعـد
وجهي يقيك التراب ، لهفي ، ليتني	غيبت قبلك في بقيع العرقـد
بأبي وأمي من شهدت وفاته	في يوم الاثنين النبى المهدي
وظللت بعد وفاته متبلاً	متلداً ، يا ليتني لم أولـد
أقيم بعدك بالمدينة بينهم؟	يا ليتني صبحت سـم الأسود!

أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا      فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي عَدِ  
فَتَقُومُ سَاعَتَنَا ، فَتَأْتِي طَيْبًا      مَحْضًا ضَرَائِبَهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ  
يَا بَكْرَ أَمْنَةَ الْمُبَارِكِ بِكَرْهَا      وَلِدْثُهُ مُخْصَلَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ  
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا      مَنْ يُهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارِكِ يَهْتَدِ  
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا      فِي جَنَّةِ تَنْثِي عُيُونَِ الْحُسَدِ  
فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ فَارْتَبِّهَا لَنَا      يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعَلَا وَالسُّودِ

وعندما تذكرت هذا المقطع من دالية حسان تحركت في نفسي هذه الخاطرة ، وتذكرت النبي - صلى الله عليه وسلم - عند وفاته ، وكيف أثر الرفيق الأعلى ، وعبر شريط سمعته منذ عشرين سنة للشيخ القطان عن وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول في مطلعته: (إنه نداءً إلى من عظمت مصيبته في موت حبيب من أحبابه ؛ ليذكر مصيبته في المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، يوعك عليه الصلاة والسلام كوعك رجلين ، ومع ذلك ما يمنعه ذلك من أن يمتثل أمر ربه في أن يودع أصحاب البقيع ويستغفر لهم ، النبي صلى الله عليه وسلم يودع أهل البقيع ويستغفر لهم ، ولا يمنعه مرضه من أن يوصي أمته بوصايا مهمة في مرض موته ، ثم بعد ذلك يختار الرفيق الأعلى ، وقد قرت عينه بإبلاغه لأمرته الوصايا المهمة في دين الله. يُخْرِجُ النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوف الليل وتتبعه أم المؤمنين عائشة ، ويتبعه خادمه أبو مويهبة قائلاً: (إلى أين يا رسول الله؟ فيقول: أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِشُهَدَاءِ وَمَوْتَى الْبَقِيعِ ، وَيَصِلَ إِلَى مَوَاقِعِ الشُّهَدَاءِ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ يَدْعُو دَعَاءً طَوِيلًا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَقُولُ: لِيَهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ) ، يهنئ الشهداء بما أصبحوا ، أصبحوا وأرواحهم في حواصل طير خضر ، ترتع في أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، هناك عند أرحم الراحمين: (لِيَهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ..). بماذا أصبح الشهداء؟! (لشهادة عند الله سبع خصال: يُغْفَرُ لَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ. وَيَرَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ. وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَيَأْمَنُ الْفَرْعَ الْأَكْبَرَ. وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. وَيُزَوَّجُ بِأَنْثَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. وَيُشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَابِهِ). (... أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ - وَهُوَ يَدْعُو لِلشُّهَدَاءِ

يحدث من حوله- أقبَلتِ الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، وآخرها شر من أولها ، يا أبا مويهبة! إنني خُيِّرْتُ بين الخلود في الدنيا وكنوزها ، وبين لقاء الله والجنة ، فاخترتُ لقاء الله...). إن الذي يريد أن تهون عليه مصيبته وكأنها لم تكن ، فليتذكر البلية العظمى التي كل مصاب دونها فهو جلل ، إنها موت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - . قال صاحب الظلال في التعليق على الآية: (كل نفس ذائقة الموت) ما نصه: (هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء. فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي ، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته في ربه ، ورجائه في رحمته. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير. كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهانجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذلل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع ، وما يثيرانه من شهوات وأطماع!). هـ. لقد تذكرتُ وفاة النبي – عليه السلام - فتولد في أسارىري فوراً هذا المطلع ، وداعبتُ خاطري هذه الكلمات ، وأكملتُ بعدها هذي القصيدة:)

وَعَيْنِي هَذَا الْمُـ الْوَدَاعِ	أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ أَنْ التَّيَاعِي
وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِنْ بَعْضِ انْطِبَاعِي	وَيَكْفِينِي مُصَابِي فَيْكَ حَقًّا
وَسُنَّةِ (أَحْمَدٍ) زَادَ الْجِيَاعِ	وَدِينُكَ نُورٌ عَيْنِي ، بَلْ حَيَاتِي
ذَهَابُ (مُحَمَّدٍ) ، هَذَا اقْتِنَاعِي	يَهْوُونَ مِنْ ذَهَابِ الْعَيْنِ عِنْدِي
فِذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي خَيْرَ دَاعِ	أَجْبُوكَ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا

وَإِنِّي مَا رَبِّيْتُكَ فِي قَرِيضِي  
 بِمِثْلِكَ لَمْ أَصَبْ أَبَدًا ، وَرَبِّي  
 وَمَوْثُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَرَبِّ  
 وَسُنَّةَ رَبِّنَا مَوْتُ الْبَرَايَا  
 سَيُذِرْكُنَا الْمَوَاتُ ، وَلَوْ بَعْدَنَا  
 وَمَا دُمْتُ ابْنَ آدَمَ سَوْفَ تَمْضِي  
 مُصَابِي فِيكَ أَذْهَبَ حُزْنَ عَيْنِي  
 رَسُولَ اللَّهِ ، لَسُنْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو  
 وَقَدْ عَلَّمْتَنِي أَدْعُو إِلَهِي  
 حَدِيثُكَ هَزَّ أَعْمَاقِي فَجَادَتْ  
 عَلَيْكَ سَلَامٌ مَوْلَانَا تَعَالَى  
 وَنُورٌ يَا إِلَهَ الْخَلْقِ عَيْنِي

لِأَنَّكَ فَوْقَ تَأْلِيفِ الْيَرَاعِ  
 بِكَيْثِكَ طَالَمَا صَاعًا بِصَاعِ  
 بُلَيْتُ بِهِ ، كَمَا بُلَيْتُ بِقَاعِي  
 لَكُمْ فِي عِلْمِ ذَلِكَ خَيْرُ بَاعِ  
 وَإِنْ كُنَّا بِأَبْرَاجِ الْقِلَاعِ  
 وَتَنْعِيكَ الْدِيَارُ ، وَكُلُّ نَاعِ  
 لِفَقْدِكَ قَدْ حَيِينَا فِي ضَيَاعِ  
 وَلَيْسَ الشَّرْكَ - قَطْعًا - مِنْ طِبَاعِي  
 وَذَلِكَ دِيْدَنِي مِنْذُ الرِّضَاعِ  
 شَمُوسُ الشُّعْرِ تَسْرِي كَالشُّعَاعِ  
 كَثِيرًا دَائِمًا دُونَ انْقِطَاعِ  
 وَتَوَجُّجًا بِالْهَنَاءِ كُلِّ الْمَسَاعِي

[جريدة الوحدة العربية - 1996/1/2 م]



## رؤيا وأمل

(روى البخاري أن الرسول ﷺ قال: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ».)  
وفي كتاب «منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية» للأستاذ/ محمد عبد العاطي بحيري ص 377 ، وتحت عنوان: آداب الرؤيا يقول: «الرؤى والأحلام التي يراها الإنسان في منامه ، إنما تصدر عن العقل الباطن ، حين ينام المرء نومًا عميقًا ، فهي إما أن تكون تعبيرًا عما يدور في خواطر الإنسان أثناء يقظته ، أو تكون مبشرات له أو محذرات ، وإما أن تكون مجرد تخيلات وإرهاصات ، لما يقوم به صاحبها أثناء يقظته في ليله أو نهاره. وهناك فرق بين الرؤيا والحلم ؛ فالرؤيا يراها المسلم السوي ، فيتذكرها ولا ينسى منها شيئًا إذا استيقظ ، ولا تكون أحداثًا حدثت في اليقظة ، وأما الحلم فهو ما يراه النائم ، ولا يستطيع أن يتذكر أحداثه حين يستيقظ. والرؤيا من الله تبشر الرائي ، أو تحذره ، أو تفسر له أمرًا غامضًا ، أو ترشده إلى ما ينبغي فعله أو تركه ، لذلك كان للرؤى مكانتها في الإسلام». اهـ. وأحيانًا يرى الإنسان - فيما يرى النائم - كل الذي يشتهي ويتمناه. فيُصْبِحُ مِنْ لَيْلَتِهِ عَلَى مِثْلِ الْأَمَلِ أَنْ تَتَحَقَّقَ كُلُّ الْأَمَانِي الَّتِي رَأَاهَا فِي مَنَامِهِ ، وَيُبْخُلُ بِقِصِّ رُؤْيَاهِ عَلَى كُلِّ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَحْبَبَهُمْ فِي اللَّهِ. وهذي الرؤيا التي سوف نَرَى مِنْ حَبْرَهَا ، وَنُطَالِعُ بَعْضَ جَوَانِبِهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْقَادِمَةِ ، رُؤْيَا حَقِيقِيَّةَ رَأَيْتُهَا ، وَكَمْ فَرِحْتُ بِهَا جَدًّا ، حَيْثُ إِنَّهَا جَاءَتْ فِي أَعْقَابِ جِرَاحَةِ الْعَيْنِ الثَّانِيَةِ ، وَالْأَمَلِ فِي اللَّهِ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّفْسِ وَالدُّنْيَا وَالْكَوْنِ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً قل كل يعمل على شاكلته فربكم

أعلم بمن هو أهدى سبيلاً). (لا يسألم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيؤوس قنوط ، ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ، وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وتأى بجانبيه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض). نعم ، إن المرء حال الرخاء يكاد ذكره الله يندر على لسانه ، وإذا النعيم شفووة ، إذ يكون صارفاً عن الله تعالى وشرعه ودينه والجهاد في سبيله سبحانه. وفي تناوله لموضوع حسن التفاؤل وحسن الظن بالله يرى الدكتور أباي محمد محمود أن دين الإسلام يحب التفاؤل وحسن الظن وقول الكلام الطيب المفعم بروح الأمل ، فهذه الجملة أصلها حديث نبوي شريف رواه مسلم في كتاب البر ، وأبو داود في الأدب ، بلفظ: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم». قال أبو إسحاق راوي الحديث: لا أدري ، أهلكهم بالنصب ، أو أهلكهم بالرفع. ومما قال أهل العلم في معناه: أنه في أولئك الذين يؤيسون الناس من رحمة الله ، ويوجبون لهم الخلود بذنوبهم ، وأنهم ليسوا كذلك ولا هلكوا إلا من قول القائل نفسه ، قال ابن الأمير في شرح الجامع الصغير: «يعني من حكم على الناس بالهلاك فهو أشدهم هلاكاً ، لإقراره على نفسه بالهلاك من جملتهم ، ولأنه تجارى بتهلك من لم يعلم هلاكه ، إذ رب مستور ناج لا يعرفه ؛ ولأن هذه الكلمات غالباً لا تصدر إلا عن تعجبه نفسه ، ويرى لها الحق على الناس ، وأنه ناج مما يخاف على غيره ، يزكي نفسه والله أعلم بمن اتقى وهذا على رواية ضم الكاف. ويروى بفتحها: أي فهو صيرهم هالكين بإيقاع ذلك عليهم وتقنيطهم من رحمة الله ، فعليه إثم من أهلك الناس جميعاً» ، وما أكثر أولئك الذين يقولون مثل ذلك ، ويحسبون الشر لا خير بعده وأنه ضربة لازب ، وهذا من التشاؤم كما قال عائض القرني فهو: «النظر إلى

الكون بِكْرِهِ ، والتطلع إلى الدنيا بِمَقْتٍ ، المتشائم يرى كل شيء أسود ، والزهرة عنده شوك ، والسنبلة عنده قنبلة ، والنخلة حنظلة ، والمطر نار ، والمتشائم معقود الجبين ، كالح الوجه ، ضيق الصدر ، فليس عنده أمل ولا رجاء ولا فرج ولا يسر فهو يرى أن الليل سوف يبقى وأن الفقر سوف يستمر ، وأن الجوع سيدوم ، وأن المرض لن يزول).هـ. والأصل أن نتفاعل ونروح عن أنفسنا ونحسن الظن بالله تعالى. عن حنظلة الأسيدي - رضي الله عنه - قال: (لقيني أبو بكر ، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة ، قال: سبحان الله ، ما قلت؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين! فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات ، ولكن يا حنظلة: ساعة ، وساعة). وعن أبي حذيفة - رضي الله عنه - قال: (أخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء - رضي الله عنهما - ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال له: كل. فقال: فإني صائم ، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل ، قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال: نم ، فنام. ثم ذهب يقوم فقال: نم. فلما كان من آخر

الليل ، قال سلمان: قم الآن ، فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ،  
ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي -  
صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -:  
(صدق سلمان). فكان سلمان - رضي الله عنه صحح المسار! والآن لنعش في  
ظلال قصيدتنا: رؤيا وأمل. ولنحاول أن نسري عن أنفسنا! والسهر في طلب العلم  
أو مداعبة الأهل أو إصلاح ذات بين المسلمين مما هو محبوب في شريعتنا. تحت  
عنوان: (السهر في الليل) يقول الأستاذ إبراهيم بن محمد الحقييل حفظه الله ما  
نصه: (لقد كان الناس قديماً ينامون في أسطح المنازل وأفنية الدور ، ويبردون  
حرها بالماء يرشونه فيها قبيل الليل ، فما يصلون العشاء الآخرة إلا ورؤوسهم  
تخفق من شدة التعب والنعاس ، فيصلون وينامون نوماً عميقاً ، ويقوم أهل الليل  
في ثلثه الآخر يتهددون ، فيصلي الناس الفجر في المساجد صغاراً وكباراً ، فمن  
نام بعد الفجر منهم أو لم يستيقظ للصلاة أيقظه حر الشمس ، فلا يأتي الضحى إلا  
والأرض تدب بالناس ، ولا أحد منهم في فراشه ؛ فالرجال في أعمالهم ، والنساء  
في المنازل تدبرها ، والأطفال مع أقرانهم ، والبيوت مفعمة بالحوية  
والنشاط).هـ. وإن المعين الباعث على هذا التصبر - كما قال الإمام ابن القيم -  
رحمه الله ؛ (ملاحظة العبد لحاله مع الله فإنه على حسب ملاحظته والوقوف به  
ومطالعة يخف حمل البلاء لشهود العوض ، وهذا كما يخف على كل من يتحمل  
مشقة عظيمة حملها لما يلاحظ من لذة عاقبتها وظفره بها ، ولولا ذلك لتعطلت  
مصالح الدنيا والآخرة ، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة لثمرة مؤجلة  
فالنفس موكلة بحب العاجل ، والقصد أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر  
فيما تتحملة باختيارك وغير اختيارك ، قال: وتهوين البلية لأمرين ، الأول: أن  
يعد نعم الله عليه وأياديه عنده ، فإذا عجز عن عداها وآيس من حصرها هان عليه

ما هو فيه من البلاء ، وراه بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه كقطرة من بحر ،  
 الثاني: أن يذكر سوائف النعم التي أنعم الله بها عليه ، فهذا يتعلق بالماضي  
 وتعداد أيادي المنن يتعلق بالحال). هـ. رحمك الله يا ابن القيم كم أصبت! وكم!

والليل أقبل من دهليز الرّحام  
 مُسْتَسْلِمًا ومُتَارِكًا أَبَدًا يَنَام  
 وكَمَا تَرَى يَصْحُو ، سَيُبْعَثُ لِلْقِيَامِ  
 وَيَكُونُ مَا كَتَبَ الْمَلِيكُ ، فَلَا نُضَامُ  
 أَوْ فِي السَّعِيرِ ، عَذَابُهُ صِدْقًا عَرَامُ  
 يَا فَرِحْتِي - بِاللَّهِ - مَا أَحَلَّى الْقِيَامُ!  
 وَأَحَالَنِي - فَوْقَ السَّرِيرِ - كَمَا الرُّكَامُ  
 مُتْرَنَمًا ، يَا رَبِّ بَارِكْ الْإِبْتِسَامُ  
 دَلَلْتُهُ ، حَتَّى تَعْتَنَاهُ النَّيَامُ  
 وَمَسَحْتُ بِالْيَمْنَى جِرَاحَاتِ الْهُمَامِ  
 أَبْكَى عَذَابَاتِ الْأَسَى وَسَطَ الرِّحَامِ  
 وَأَمْتَّعَ الذِّكْرَى بِإِيقَافِ الْكَلَامِ  
 مُتْرَنِّحٌ ، سَيْنَامُ إِنْ حَلَّ السَّلَامُ  
 أَبْكَى رَحِيلَ الدِّينِ عَنْ هَذِي الطَّعَامِ  
 وَأَخَافُ أَنْ تُرْمَى كَمَا يُرْمَى الْخَطَامِ  
 عَفْوًا بُنْيَ ، فَمِنْ يَدِي أَنْقَلْتَ الزَّمَامِ  
 وَطَرَحْتُ رَاحَتِي ، وَمَزَّقْتُ الْخَطَامِ  
 وَدَعَوْتُ رَبِّي يَجْعَلُنْ فِيهِ الْوَيْتَامِ  
 أَطْفَأْتُ مِصْبَاحِي الْحَسِيرَ الْمُسْتَضَامِ

الْحُزْنَ أَدْلَى سِثْرَهُ فَوْقَ الْهُمَامِ  
 وَكَمَا يَمُوتُ الْمَرْءُ فِي هَذِي الدُّنَا  
 تَطْوِي نَهَارَ الْمَرْءِ صَيِّحَاتُ الْكَرَى  
 آمَنْتُ بِالْبُعْثِ الَّذِي هُوَ آيَةٌ  
 إِمَّا إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ ، فَالْهَنَا  
 جَاءَ الْمَسَاءُ ، فَقُلْتُ: أَحْيِي لِيْلَهُ  
 لَكِنَّ ثَقُلَ النَّوْمُ أَدْمَى رَغْبَتِي  
 وَإِلَى يَمِينِي نَامَ طِفْلِي بِاسْمًا  
 دَاعِبْتُهُ ، نَاجِئْتُهُ ، نَاعَيْتُهُ  
 وَقَرَأْتُ مِنْ قُرْآنِ رَبِّي رُقِيَّةً  
 نَامَ الصَّغِيرُ ، وَلَمْ أَنْمُ ، وَحَدِي هُنَا  
 أَمْسَكْتُ كَفَّ الطِّفْلِ أَنْشُدُ دِفْنَهَا  
 نَمْ يَا صَغِيرِي ، إِنَّ قَلْبِي سَاهِرٌ  
 أَنَا سَاهِرٌ ، وَالدمْعُ يَغْمُرُ وَجْنَتِي  
 إِنَّ الْخُطُوبَ عَلَيْكَ تَتْرَى ، قُلْتُ: نَمْ!  
 وَالْأَمْرُ أَكْبَرُ مِنْ أَبِيكَ حَقِيقَةً!  
 أَلْفَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ سَيْفِي مُكْرَهًا  
 طَرَحَ الصَّغِيرُ غَطَاءَهُ ، غَطَيْتُهُ!  
 وَأَتَى عَلَيَّ النَّوْمُ ، سُنَّةَ رَبَّنَا

وَذَكَرْتُ رَبِّي ، ثُمَّ نِمْتُ كَمَا الدَّمَى  
وَالْقَلْبُ يَبْكِي ، وَالخُطُوبُ كَثِيرَةٌ  
وَالكُلُّ حَوْلِي نَامَ لَمْ يَعْبَأَ بِمَا  
نَامُوا كَكُلِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَخَّرُوا  
إِخْوَانَهُمْ فِي كُلِّ صُقْعٍ عَذَبُوا  
الْكُلَّ بُغْيَتُهُ النُّقُودُ ، وَلَا سِوَى  
مَا نِمْتُ ، بَلْ أَمْسَكْتُ قِرْطَاسَ الْجَوَى  
لِكَيْمَا رَبُّ الْأَنْبِيَاءِ أَنْبَأَنِي  
وَرَأَيْتُ فِي نَوْمِي الْعَجَابَ بَعِينِهِ  
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ شِعْرِي صَادِقٌ  
فَرَأَيْتُ - وَاللَّهُ الْعَزِيزُ - كَأَنَّي  
وَأَخَذْتُ أَحْكِي عَنْ جِرَاحَاتِي لَهُمْ  
وَإِذَا بَعِينِي - عَبْرَ تَكْلِيمِي - تَرَى  
وَكْتَمْتُ عَنْهُمْ مَا أَرَى مِنْ فَرْحَتِي  
لِتُؤَوَّلَ الرُّؤْيَا ، فَذَلِكَ فَفَهَّهَا  
لِكَيْمَا طَرَحَ الصَّغِيرُ غَطَاءَهُ  
رَبَّاهُ ، فَاجْعَلْهَا حَقِيقَةً مُقَلَّتِي

وَالعَيْنُ دَامِعَةٌ تُمزِقُهَا السَّهَامُ  
وَالْأَنْفُ رَاشِحَةٌ تَعَاوَرَهَا الزُّكَامُ  
قَدْ حَلَّ بِي ، أَوَاهٍ مِنْ فِعْلِ النَّامِ!  
مَا عَادَ يَنْقُصُهُمْ سِوَى الْمَوْتِ الزُّوَامِ  
وَغَدَاً - وَرَبِّ النَّاسِ - يَطْوِينَا الْحِمَامِ  
وَالدِّينِ أَوْلَى عِنْدَ أَقْوَامِ كِرَامِ  
وَيِرَاعُ فِكْرِي ، كِي يَفِيقَ لِي النَّيَامِ  
فَسَعِدْتُ أَنِّي نِمْتُ خَمْسًا بِالنَّمَامِ  
أَعْلَى مِنَ الْيَاقُوتِ هَذَاكَ الْمَنَامِ  
مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، صِدْقُهُ حَدُّ الْحَسَامِ  
مَعَ رِفْقَةٍ لِي بَادِلُونِي الْإِهْتِمَامِ  
وَالوَجْهَ مُتَّجَةً إِلَى ذَاكَ الْإِمَامِ  
فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّذِي بَرَأَ الْأَنْبِيَاءِ  
وَهَرَعْتُ أَخْبِرُ زَوْجَتِي أَزْكِي الْعَرَامِ  
أَبَدًا ، وَتَعْبِيرُ الرُّؤْيِ عِلْمٌ يُرَامِ  
فَصَحَّوْتُ مِنْ نَوْمِي ، وَأَحْزَانِي الْجِثَامِ  
أَنْتَ الْمُرْجَى فِي الْعَذَابَاتِ الْعِظَامِ

## مناظرة مع أبي ذؤيب

(إن روح المناظرة مع أهل الفن الواحد متعة لا يشعر بها إلا من ناظر أرباب صناعته وفنه ، وقد ناظرت كثيرين مناظرات كلامية ، كان الفوز حليف خصمي مرة وكان حليفي مرة والأيام هكذا دول. والمتناظران بالخيار ، إن شاءا كفا عن هذي المناظرة ، وإن شاءا أكملها. ومناظرة الشعراء هي من أحلى المناظرات ؛ إذ تُفضي في الغالب الأعم إلى معارضة شعرية عظيمة تُثري الشعر والأدب معًا. وهناك في كلية الآداب بجامعة المنصورة كانت لي مناظرات ومحاورات مع عدد ليس بالقليل من الشعراء الذين أذكر منهم ، الشاعر / حامد سعيد الجمال ، من الطويلة (مدينة قريبة من المنصورة). وأيضًا الشربيني عاشور الشربيني ، وهذا شاعر فذ من أجواء المنصورة (مدينة الشعر والقيم).  
أَمِنَ المَنُونِ يَنهَارُ الإنسان؟ بالطبع لا. وذات يومٍ رثى أبو ذؤيب أولاده في قصيدةٍ طويلةٍ بكائيةٍ جَنَانِيَّةٍ ، فلَمَّا طالعُها بعد جراحَتين أُجريتَا لي في عيني ، رُحْتُ أَنَاظِرُ أَبَا ذؤيب ، فاستَعَرْتُ مِنْهُ بَيْتَهُ الأول ونسجتُ على مُنواله ، وكان ميلادُ قصيدتنا هذي. ونَسْتَمِعُ لمطلع أبي ذؤيب أولاً ثم نطالع قصيدتنا المعارضة:

أَمِنَ المَنُونِ ورِيهَها تَتَوَجَّعُ؟	والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أَمَامَةً: ما لَجِسْمِكَ شاحِبًا	مُنْذُ ابْتَدَلْتَ ، ومثل مالِكَ يَنْفَعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافعَ عنهمُ	وإذا المنيَّةُ أَقبلتْ لا تُدْفَعُ
وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أطفارَها	أَلْفِيَّتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ
فالعينُ بَعْدَهُمْ كأنَّ جُفونَها	كُحِلَّتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عورٌ تَدْمَعُ
وتَجَلَّدِي للشامتين أريهَهمُ	أَنِّي لَرِيْبِ الدهرِ لا أَنْضَعُ
حتى كَأَنِّي لِلحوادثِ مَرْوَةٌ	نِصْفَ المُشَقَّرِ كلَّ يَوْمٍ تَقْرَعُ

ثُمَّ يَصِلُ أبو ذؤيب الهذلي إلى الحكمة الشهيرة الجهيرة التي يُردها الناس:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُردُّ إلى قليل تَقْنَعُ  
وهكذا عشتُ مع قصيدة أبي ذؤيب الرثائية وتأثرتُ بها ، ثمَّ أنشدتُ على غرارها  
مُقْتَبِسًا البيتَ الأولَ مِنَ المرثية. وكما قلنا لا يعيب الشاعر تأثره بشاعر آخر!

والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ  
أوليسَ - بَعْدَكَ - سَوْفَ يَأْتِي مُوجَعُ؟  
خَدَيْكَ ، والقَلْبُ المُرْوَعُ يَدْمَعُ  
حتى متى في مُقْلَةٍ تَتَضَعَعُ  
ولئن جَزَعْتَ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ  
وَنَرَاكَ فِي جَوْفِ المَخَازِي تَرْتَعُ  
وتقولُ لي: أَمِنَ القَضَا تَتَوَجَّعُ؟  
عَدَمُ الرضا بقضائه لا يَنْفَعُ  
عَ العَيْنِ يَغْلِبُ كُلَّ مَنْ يَتَشَجَّعُ  
وأعرتَ سَمْعَكَ للذي يَتَقَطَّعُ  
واللهُ يُبصرُ مَدْمَعِي ، ويسمعُ  
ع كبحتها ، إذ أنني مُنرَفَعُ  
بِ حَاطِنِي ، هَلْ أَمْرُ رَبِّكَ يُدْفَعُ؟  
ماتوا ، وأمرٌ مِثْلُ هَذَا مُفْجِعُ؟  
فأنا بها أولى ، لربِّي أضرَّعُ  
فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَطْمَعُ

«أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ؟  
فِيمَ البِكَاءِ ، وَلَسْتُ أَوْلَ مَنْ بَكَى  
كُفَّ الدُّمُوعَ ، فَإِنَّهَا قَدْ أُحْرِقَتْ  
والمُقْلَةُ البِضَاءُ لا تَحْفَلُ بِهَا  
أنتِ القَوِيُّ ، لِأَمْرِ رَبِّكَ فَاصْطَبِرْ  
سِيضِيعُ دَرْبِكَ ، ثُمَّ تَسْقُطُ فِي الشَّقَا!  
أَبَا ذُوَيْبٍ: مُقْلَتِي وَحَبِيبَتِي  
إِنَّ الرِّضَا بِقَضَا الإِلهِ سَاحِيَّتِي!  
أَسَدُّ أَنَا فِي مِخْنَتِي ، لَكِنَّ دَمِي  
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ سَمِعْتَ تَوَجُّعِي  
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرًّا أَبْكَى مُقْلَتِي  
لو كُنتِ أَمَلِكِ كَبِجِ تَسْكَابِ الدَّمِ  
لَكِنَّمَا قَدَرُ المَلِيكِ (أَبَا ذُوَيْبٍ  
أَبَا ذُوَيْبٍ: مَا دَهَى أَوْلَادِكُمْ؟  
وَكَمَا تَجَلَّدُ للمَنُونِ أَبْوَهُمْ  
لِلْهَمِّ رَدِ العَيْنِ هَذَا ، وَاهْدَاهَا



## محاورة شعرية

(ما أحلى الحوار إذا كان مع الشعراء! إنه ليُثري الأدب والشعر معاً كما ألمحنا في قصيدة أخرى ، وعلى مدى التاريخ الأدبي كله ، في فترات قوته ، وفي فترات ضعفه ، نجد أن المحاورات التي كانت تتم بين الشعراء ، والمناظرات والمعارضات والمجادلات ، كانت في كل مرة في صالح العربية شعراً ونثرًا. وأحاول في حوارٍ هذا ، أن أعيش مع من اخترته مادة للمناظرة ، وأجعل القارئ يدرك معي ، كيف تكون التصورات والمبادئ ، إذا كانت بعيدة عن شاطئ الهداية وساحل العقيدة الصحيحة. وكم من قصائد صاغها الشعراء الأوانل يمتدحون في أغلبها القتل والسلب والنهب والغصب والهبجاء والإغارات على القبائل وسفك الدماء وهتك الأعراس بغير حق! إن مناظرتي في سبيل القيم والفضائل. والحوار الشعري يختلف عن أي حوارٍ في أنه حوارٌ ذو لغةٍ تُخاطبُ العاطفة والحسَّ والشعور. ولقد كان مُصابي هذا فاتحةً خير وانطلاقةً جادةً في عالم الشعر والشعراء بالنسبة لي.

**لقد عشتُ مع أبي الطيب المُتَنَبِّي مَثَلًا وهو يَشْحَدُ وازع الهمم ويثير انتباه العزائم والنوايا ويداعب المشاعر الجياشة بقوله:**

على قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعِزَائِمُ      وتأتي على قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ  
وتكْبُرُ في عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا      وتَصْغُرُ في عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ

**وعشتُ مع شاعرٍ آخر يضرب على ذات الوتر فيرفع الخاطر والعاطفة فيقول:**

وما النفسُ إلا حيثُ يجعلُها الفَتَى      فَإِنْ أَطْمَعْتَ تَأَقَّتْ ، وَإِلَّا تَسَلَّتِ  
وكانتُ على الآمالِ نفسي عَزِيْزَةً      فَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي عَلَى التَّرْكِ وَلَّتِ

**وعشتُ مع ثالث يُقَوِّي العزيمة ويثير روح التحدي والبسالة في النفس بقوله:**

لأستسهلنَّ الصَّعْبَ أو أدرك المُنَى      فما انقادتِ الآمالُ إلا لصَابِرٍ

**وآخر يضرب على ذات الوتر من استجاشة النفس نحو الاستبسال فيقول:**

حُبُّ السَّلَامَةِ يُثْبِي عِزَمَ صَاحِبِهِ      عَنِ المَعَالِي وَيُعْرِى المَرَّةَ بِالمَكْسَلِ

**وخامس يقول مُتحدِّثًا عن أصحاب الهمم العالية والعزم الراقى والروح الفذة:**

وَلَمْ أَجِدِ الإِنْسَانَ إِلا ابْنَ سَعِيهِ      فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالمَجْدِ أَجْدَرًا  
وَبِالهِمَّةِ العُلِيَاءِ تَرَقَّى إِلَى العُلَا      فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرَ  
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا      وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرًا

وفي قصيدة طويلة للمُهَلِّهِلِ التَّغْلِبِيِّ يرثي أخاه كُليبيًا - ومعروفٌ أنَّ المُهَلِّهِلِ التَّغْلِبِيَّ شاعرٌ جاهليٌّ تُوفي سنة 531م - نلاحظ أنه رفع كليبًا فوق ما يُوصف! فليكن حزن على موت أخ ، ولكن ليس بالحد الذي يستمر أربعة عقود من القتل والنهب والسلب! يجلي لنا حقيقة الحزن في الإسلام الدكتور أحمد السعدي إذ يقول: (الحزن في المنظور القرآني عاطفةٌ سلبيةٌ يقصدُ الإسلامُ إلى رفعها - أو التخفيفِ منها على الأقل - وهي انفعال لا قبل للمرء برده ؛ فذلك لا يتعلَّق به لذاته ثواب ولا عقاب ، لكن قد يكون مُثابًا عليه بما يدلُّ عليه من سلامة الصدر وصدق النية إن كان حزنًا على تفويت طاعة ، أو فواتِ ثواب ، أو اغتنامٍ من حالٍ لا يكون الإسلامُ فيها على ما يرجو المؤمنُ ، كضلالِ النَّاسِ وابتعادِهِم عنه. لذلك نجد القرآن يُخَفِّفُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم أجزائه الناشئة عن حرصه على هداية الناس وإيصالهم إلى الخير مع إعراضهم من مثل قوله سبحانه: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} ، وقوله له أيضاً: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا}. وإشارة القرآن لحزن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم دليلٌ على أنَّ الحزن كما أنه ليس مطلوباً لذاته ، كذلك هو ليس مرفوضاً لذاته ، وإلا لم يقع به الأنبياء ، بل إنَّ القرآن قد أظهر لنا بعض الأنبياء وقد أخذ منهم الحزن كلَّ مأخذ ، انظر لقوله سبحانه عن سيدنا يعقوب عليه السلام: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}. وهذا كله يشير إلى أنَّ الحزن شيءٌ طبعيٌّ ينتاب الناس جميعاً حتَّى الأنبياء ، والمهم أن لا يكون دافعاً لسلوكٍ يتنافى مع العبودية لله سبحانه ، ولا مانعاً من عملٍ يُشارك فيه الإنسان في عمارة الكون وخدمة الإنسانية). هـ. جرى الله خيراً الدكتور السعدي على هذه النفحة البيانية البديعة التي إن دلت على شيء

فإنما تدل على عمق فهم السعدي للإسلام! وعلى مدى تمكنه من اللغة العربية. والمهم أنني رُحْتُ أحاور المهلهل التغلبي من فوق سرير المرض ، وأنا أقرع الحُجَّةَ بالحُجَّةِ ، وأبين له عظمة ديننا في وسطية الحزن والتعبير عنه ، وأوضح له الاعتدال في الأمور وضبط العاطفة بالعقيدة الإسلامية ، واستعرتُ بيتهُ الأول:)

هُدُوْعًا ، فَالْدُمُوْعُ لَهَا أَنْهَمَارُ»  
أَكْبَانَ كَلَيْبُ غَطْرِيفًا يَغَارُ؟  
وَقَوْلٌ مِثْلُ قَوْلِكَ لَا يُدَارُ  
تَوَلَّى أَمْرَكُمْ فَيَكُمُ حِمَارُ  
وَمَا عَقْلٌ بِأَمْرِكُمْ يَخَارُ  
وَلَمْ يَنْفَعَهُ حَجٌّ ، وَلَا اعْتِمَارُ  
فَدَمَعُ الْعَيْنِ غَالٍ ، ثُمَّ عَارُ  
فَمَا مِنْ صُحْبَتِي أَحَدٌ مُثَارُ  
وَهُمْ فِي مِعْصَمِ الْأَعْدَا سُوَارُ  
وَدُنْيَاهُمْ تَعَثَّتْهَا الْبَوَارُ  
فَإِنَّ شَقِيْقَةَ نَعْمِ الْمُشَارُ!  
وَإِنِّي قَدْ رَضِيْتُ ، وَلَا خِيَارُ  
وَأَيْلِي طَالُ ، وَالنَّقِيَا النَّهَارُ  
فَإِنَّ غَضِبَ الْمَهْمِيْمُنْ فَالْخَسَارُ  
فَإِنَّ الْعَيْنَ لِلْمَرْءِ الْمَنَارُ  
وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْعَيْنِ الْيَسَارُ

«أَهَاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الْأَدْكَارُ  
لَمَّاذَا يَا مُهْلَهْلُ كُلُّ هَذَا  
فَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَطْرَبْتَ سَمْعِي  
تَحَوَّلْتَ الرَّجَالَ إِلَى نِسَاءِ  
تَحَيَّرَ فِي بُكَائِكَ كُلُّ فِكْرِي  
كَلَيْبٌ فِي التَّرَابِ ، وَلَا يُسَاوِي  
فَكَفَكَفَ يَا مُهْلَهْلُ دَمْعَ عَيْنِ  
وَإِنِّي قَدْ فَكَّدْتُ ضِيَاءَ عَيْنِي  
وَمَا عَرَفُوا لِبَيْتِي مِنْ طَرِيْقِ  
وَقَدْ شَمَمْتُوا ، وَبَاعُوا كُلَّ حَقِّ  
وَمَحْظُوظِ كُلَيْبٍ كُلَّ حَظِّ  
لَكُمْ أَحْزَانُكُمْ ، وَلِيَّ اصْطِبَارِي  
وَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْجَايِ  
وَلَيْتَ اللَّهُ يَرْضَى بَعْدُ عَنِّي  
وَيُسْعِدُ مُهْجَتِي بِشِفَاءِ عَيْنِي  
وَإِنَّ اللَّهَ ذُو سَعَةٍ وَيُسْرِرُ

## إليك وحدك يا شريد

(لا يُدرك معاناة الشريد مثل المغترب المبتلى. فإلى كل شريد جنت عليه قوى الشر أتوجه بهذي القصيدة ناصحًا وواعظًا. وموصياً إياه أن يستعين بالله على البلاء. وأن يوقن جيداً (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين). وليوقن وليصدق كذلك: (ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون.)

قصوراً مريراً قد يقود إلى الردى  
فَحَتَّى مَتَى تَبْقَى طَرِيداً مَهْدداً؟  
وتزري ببأسٍ كان بالأمسٍ موقداً  
وَمَنْ يَحْتَمِلُهَا يَتَحَدِرُ سَعِيَهُ سُدى  
ألا فأنطلق يا خِلُّ ، واقتحم المدى  
هَوَانٌ ، وإن الدَّربَ بات مُحدداً  
وإن تخذل المولى ستحيا مشردا  
وبعدُ اتبع في كلِّ شأنٍ (محمدًا)  
فحتى متى تحيا حبيساً مُقيداً؟  
يوجِّجها من قد تطاول واعتدى  
إذا لم نكنُ نحنُ القرابينَ والفدا  
وقد أصبح الأمرُ المعمى مفندا  
وأمرُ التشفي بات فيها مؤكداً  
ولا يغلب المفتونُ من قد تمردا  
فقرآنا خيرٌ معيناً وموردًا

أراك قصرت عن مواجهه العدا  
تجلدُ ، وواجهُ ، ثم فرَّقْ صُفوفَهُم  
ألا إنما الأوهامُ تُغْتالُ عزيمة  
ومن يتبع الأوهامَ يحصدُ هزيمة  
تمادى الأعادي في النكاية ، وافتروا  
ولا تتعلل بالقصور ، فإنَّه  
وإن تنصُرِ المولى فحتمًا ستتنصرُ  
عليك بتقوى الله ، تلك انطلاقة  
وخذ من جنى القرآن ما يدفع الخطا  
وهذي رحي التَّشريدِ عاتٍ أوارها  
ولن تطفئ النيران يومًا دموعنا  
فحققُ ، وفندُ يا شريدُ الذي ترى  
فهذي - على الإسلام - حربٌ أكيدة  
ونحنُ الصَّحَايا إن فتنَّا بهولها  
إذا ما أردنا النصر - يومًا - على العدا

## حقوق البخل محفوظة

(عندما يصبح البخل ديدناً وطبيعة وجبلةً ، ودمًا يجري في عروق صاحبه ، تكون حقوق البخل محفوظة ، ويكون لها رقم إيداع ، بل ويكون هناك دور نشر وتوزيع تقوم بنشر البخل والشح في العالمين مبتغيةً بذلك الترويج لأهل الشح والبخل ليسود كل منهما! ويكون هناك ترقيم دولي للحقوق! بحيث ينتقل البخل من طور المحلية إلى العالمية! والناس خلان الكرماء! والأسخياء أجود الخلق!)

والبخلُ داءٌ عُضالٌ يُوجبُ النِّقْمَا  
والخِذْلُ يُردي الذي يبعضه اتَّهما  
فَعَنَتُ أَحترمُ التَّقَاةَ وَالكَرْمَا  
وأقْبِحُ الناسَ هم بين الوري هِمما  
يسمو بأفضلهم ، ويبلغ النِّجْمَا  
والشُّحُّ يزدردُ الأخلاقَ والقِيَمَا  
وخالطتُ نطفاً ومُضغَةً ودمَا  
ولن ترى مُمَسِكًا يَستدرجُ الشِّمْمَا  
خزائنُ الله ليست تشتكى العَدمَا  
وامنحُ خِيورك تغدُ الدهرَ مُحترِما  
والجودُ شمسُ السجايا ، تمحقُ الظلْمَا  
إن السخاءَ يُبيدُ البؤسَ والنقْمَا  
أزال عنه السخاءُ الدمعَ والألْمَا  
حتى أتاه غنى ، فأخمدَ الحُمْمَا  
رضا الرحيم يُبيدُ الهم والسقْمَا

مَن كان يبخلُ في وقت السخا ندما  
جِبِلَّةٌ خَبُئْتُ ، وخاب صاحبُها!  
صاحبُ خَلْفًا ، مليكُ الناسِ يعلمُهم  
وعشتُ أحتقرُ الضُّلالَ والبُخْلَا!  
إن السخيَّ كرامُ الخلقِ صُحْبَتُهُ  
والجودُ بالمالِ يُعلي شأنَ باذله  
سِجِيَّةُ الجودِ في الأمشاجِ قد خلقتُ  
والبُخلُ عازٌّ به الأرائلُ التحفوا!  
فجُدْ بما خصَّكَ المَنانُ محتسبًا!  
وابراً من الشح ، واهتكِ وُدَّ من بخلوا  
وانصخُ لمن بخلوا كي يصبحوا كرمًا  
واضرب بسيف السخا شُحَّ الألى بخلوا  
كم مُعسرٍ مُعدمٍ أعيته حاجتهُ!  
وكم فقيرٍ سعيرٍ الفقرَ أحرقةُ!  
والأجرُ عندَ إله الناسِ مُدخَّرُ

## أغرقت جفني الدموع

(ألا ما أبطأ الأيام! إذ يصاب الإنسان بالمكروه وما تغير شيء في الأيام. فالיום كما هو اليوم أربع وعشرون ساعة لم تنقص دقيقة واحدة ، وإذن ، فما الذي أبطأ الأيام؟ والجواب: أن شعور المرء بمرور الأيام هو الذي جعلها بطيئة ، وإلا ، فهي كما هي ، لم تتغير قط. وإذا تذكر الإنسان فراقه لهذه الحياة لم يبك عليها طرفة عين. إن كل شيء في الحياة لينبئ أن الإنسان إلى زوال ، وإلا فأين من سبقوه إلى هذه الأرض واستعمروها رداً من الزمان؟ أليسوا منذ زمن بعيد تحت أطباق الثرى نسيًا منسيًا ، وعظامًا نخرة ، وترابًا فوق التراب وتحت التراب؟ والجواب: بلى. ولقد أغرقت الدموع عيني حزنًا وألمًا تستقرئ الغيب المخبوء ، ماذا خبأ لها المقدور؟ لم يكن يسيرًا عليّ إظلام عيني ، وسيري بها وهي هكذا شانهة وسط الناس ، وذلك انتظارًا مني لجراحة أخيرة مصيرية بها ، بعدها تُسفر الأيام عن مخبونها. وبينما كنت أنتظر أحد الفحوص ، أخذت أستذكر بعض أبيات من الشعر الذي كان لي به ولع أيام صباي ، وكنت أتغنى به كثيرًا ، كقول أبي نواس متحدًا عن الابتلاء:

يا رب وجهه في التراب رقيق      ويا رب حُسنٍ في التراب عتيق  
فقل لقريب الدار: إنك راحلٌ      إلى منزلٍ نائي المحلٍ سحيق  
وما الناس إلا هالكٌ وابن هالكٍ      وذو نسبٍ في الهالكين عريق  
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت      له عن عدوٍّ في ثياب صديق

**وتذكرت شاعرًا آخر يُعزِّي نفسه ، وله تقسيم بديع ، فقلت أنا بالعزاء أولى:**

ثمانية قام الوجودُ بها فهل      ثرى من محيصٍ للورى عن ثمانية  
سُرورٌ وحُزنٌ واجتماعٌ وفرقة      وعُسْرٌ ويُسرٌ ثم سُقمٌ وعافية  
بهنَّ انقضت أعمارُ أولادِ آدم      فهل من رأى أحوالهم مُساوية؟

**وعشت مع الشافعي إذ يلقي باللائمة على نفسه ، فيلومها لوماً شديداً ، ويدرك**

**أنها كم جرته إلى المعاصي ، فيتوجه إلى الله تعالى بالدعاء مُدينًا نفسه فيقول:**

إلهي لا تُعذِّبني فإني  
ومالي حيلة إلا رجائي  
فكم من زلة لي في البرايا!  
إذا فكرت في ندمي عليها  
يظن الناس بي خيّرًا ، وإني  
مقرّ بالذي قد كان مني  
وعفوك إن عفوت وحسن ظني  
وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنّ  
عصفت أنامي ، وقرعت سني  
لشرّ الناس ، إن لم تعف عني

**وتذكرت ابن الأحنف الذي يفترض في الناس من يعيره عيناً ليبيكي بها فيقول:**

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها  
أرأيت عيناً للبكاء تُعَارُ؟

**وتأثرت بهذا البيت جدًّا وجعلته مطلع قصيدتي مع تصرف يسير لفرط إعجابي:**

(من ذا يُعيرك عينه تخيا بها  
وإذا أعيرت هل ترى مثل الذي  
ياليت شعري ، كيف هذي العين با  
قدر المليك ، وأي شيء بعده  
لو كنت أدري ، كيف أبتلع البكا  
ما زغت - يومًا - عن قبول مصيبتني  
إنني احسبت دماغها وجراحها  
ياسانلي عمن يُعير حبيبة  
لو شاء ربك أن تعود ، فأمره  
أنا لست أبحث لحظة عمن يُعير  
فيم التارجح بين آراء الورى؟  
فادع المليك ، ولا تكن متحرصًا  
يا صاح ، أوقات الدعاء كثيرة

أرأيت عيناً للحياة تُعَارُ  
كانت ترى الأولى ، ولا تحنار؟  
تت تشتكي؟ صعب عليها الثار!  
كيف القضاء يرده الإصرار؟  
أو كيف هزئتني به الأشعار  
ولما تغشئتني بها الأخطار  
عند الرحيم ، وإنها أقدار  
العين قابضها هو الجبار  
«كوني» ، تعالى ربنا القهار!  
رحببية ، والأمر فيه يسار  
لا ، لن تُفيدك هذه الأفكار  
إنّ التخرص في الأمور دمار  
فاحرص ، وحسبك هذه الأسفار

## مداعبة شعرية

(البارودي ، وما أدراك ما البارودي ، ذلك الشاعر الفحل الذي الشعرُ فنه وسيفُهُ ، ومن سماه فارس السيف والقلم أو رب السيف والقلم ، أراه لم يكن قد بالغ قط. إنَّ شعر البارودي يدل دلالة قاطعة على تمكُّن من الشعر منقطع النظير ، هذا ولقد كانت لي جولة مبكرة مستفيضة في شعر البارودي ، فألفيته شاعراً قديراً بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وأثرت في قلبي بانيته التي نقشها ونحتها في المنفى ، على صخور الغربة والنفي هناك في سرنديب ، ولقد أصبحت من عيون الشعر العربي في العصر الحديث ، ولو لم يُسرف البارودي في التعصب للطين ، لكان له باعٌ ومكانة بين الشعراء الإسلاميين. ولكن القومية حجّمتها! قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في التعليق على حديث: (إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) ما نصه: (قالوا: يا رسول الله كيف يكون غريباً؟ قال: كما يقال للرجل في حي كذا وكذا: إنه لغريب. وفي رواية: أنه سئل عن الغرباء؟ قال: الذين يُحيون ما أمات الناس من سنّتي. وجملة المعنى فيه من جهة وصف الغربة ما ظهر بالعيان والمشاهدة في أول الإسلام وآخره: وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل ، وفي جاهلية جهلاء ، لا تعرف من الحق رسماً ، ولا تقيم به في مقاطع الحقوق حكماً ، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها ، وما استحسنته أسلافها ، من الآراء المنحرفة ، والنحل المخترعة ، والمذاهب المبتدعة. فحين قام فيهم - صلى الله عليه وسلم - بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فسرعان ما عارضوا معروفه بالنكر! وغيروا في وجه صوابه بالإفك. ونسبوا إليه - إذ خالفهم في الشرعة ونابذهم في النحلة - كل محال ، ورموه بأنواع البهتان ، فتارة يرمونه بالكذب وهو الصادق المصدوق ، الذي لم يجربوا عليه قط خبراً بخلاف مخبره ، وأونة يتهمونه بالسحر وفي علمهم أنه لم يكن من أهله ولا ممن يدعيه. وكرة يقولون: إنه مجنون مع تحققهم بكمال عقله وبرأته من مس الشيطان وخبله. وإذا دعاهم إلى عبادة المعبود بحق وحده لا شريك له ، قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) ، مع الإقرار بمقتضى هذه الدعوة الصادقة: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين). وإذا أنذرهم بطشة يوم القيامة ، أنكروا ما يشاهدون من الأدلة على إمكانه ، وقالوا أنذا متنا وكنا



تراباً ذلك رجع بعيد). وإذا خوفهم نقمة الله ، قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ، اعتراضاً على صحة ما أخبرهم به مما هو كائن لا محالة. وإذا جاءهم بآية خارقة ، افترقوا في الضلالة على فرق ، واخترقوا فيها بمجرد العناد ما لا يقبله أهل التهدي إلى التفرقة بين الحق والباطل. كل ذلك دعاء منهم إلى التآسي بهم والموافقة لهم على ما ينتحلون ، إذ رأوا خلاف المخالف لهم في باطلهم رداً لما هم عليه ، ونبذاً لما شدوا عليه يد الظنة ، واعتقدوا إذ لم يتمسكوا بدليل أن الخلاف يوهن الثقة ويقبح جهة الاستحسان ، وخصوصاً حين اجتهدوا في الانتصار بعلم فلم يجدوا أكثر من تقليد الآباء). هـ. رحم الله القرطبي إذ جلى لنا معالم غربة الإسلام وأهله. وعموماً كثيرة هي الأشعار التي قيلت في الغربة وجراحاتها ، وعبر خلوة مع النفس رُحْتُ أعيشُ مع أشعارٍ أذكرها في أثر الغربة في نفس الشاعر ، وعلى سبيل المثال قول بعضهم يبين سلوك المغترب في دار غربة أهلها غير محترمين:

إِن تَرَمِكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعْشَرٍ      قَدْ جُبِلَ الطَّبَعُ عَلَى بُغْضِهِمْ  
فِدَارِهِمْ ، مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ      وَأَرْضِهِمْ ، مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

**وكذلك قول شاعر آخر في الاغتراب ولواعجه وكيفية معاملة أهل دار الغربة:**

لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ      قَلَّمَا يُرْعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ  
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ      خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنِ

**وكذلك قول شاعر آخر يحرص على البقاء بسلام وسنط أغراب قد لا يقدرونه:**

وَإِذَا نَزَلْتَ بَدَارِ قَوْمِ دَارِهِمْ      فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطَانِ

**وكذلك قول الشافعي الشاعر الفقيه في مدح الغربة والاعتراب يحبذهما لطالب العلم:**

سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ      وَأَنْصَبُ ، فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ  
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ      إِنَّ سَالَ طَابَ ، وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ  
وَالشَّمْسُ لَوْ بَقِيَتْ فِي الْأَفْقِ وَاقِفَةً      لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

وقول الشافعي في مدح الغربة وذلك في طلب المعالي مبيناً فوائد السفر والغربة:

تغرب عن الأوطان في طلب العُلا      وسافر في الأسفار خمس فوائد  
تفرج همّ واكتساب معيشة      وعلم وادب وصحبة ماجد

وعشت مع البارودي في منفاه في سرنديب وبكيت عيني ، فكانت قصيدتي هذي  
ترجمة لهذا الهاجس النفسي ، وكنت قد اقتبست بيته الأول وسرت عليه:

«لكل دمع جرى في مقلّة سبب  
العين تُدمعها الأحزان لأعجة  
والقلب داعب شعراً يانعاً ألقاً  
طلعت ما كتبت يُمناك في دعة  
لولا انسكاب دمي ما هزني ألمي  
والقوم أعجب بهم دمع وتضحيتي  
في غربتي شقيت نفسي وأمنيته  
أواه من رفقة ماتت ضمائرهما  
أين الكتاب - إذن - والسنة انتصروا؟  
مالي هنا أحد ، والله مُطلِع  
أبكي مكابدي في القوم منقظاً  
«بارود» مُنتبة ، يرنو لمن رحلوا  
أما أنا فلَمِن أبكي المصاب هنا  
لله خالقها أَدعو يُنورها

وكيف يملك دمع العين مكتتب»  
بل ، والهوان ، وما قد حلّ ، والنوب  
حتى رأيت دموع القلب تلتهب  
أحسنت أن بكائي هزه الأدب  
إني لفي أسف ، أبكي وأنتحب  
والنفس دامية ، تشكو وتضطرب  
بالناس وانتحرت لكربتى الكُتب  
كلّ إلى جهة لَمّا دعا الأرب!  
أم أنكم بهم؟ أو أنكم خشب؟  
إني لَمّا فعلوا آسي وأحتسب  
غابت حنيفتنا ، والقوم والعرب  
يؤذيه ما فعلوا ، يأسى لمن هربوا  
والعين في كمد ، في جرحها تجب  
كم قد شقيت بها ، وجرحها السبب!

## ليل الهموم

(فن المعارضة الشعرية لا يدل على ضعف الشاعر كما يصور بعض النقاد ، ولا يزال الشعراء على ذلك. عارض امرؤ القيس - الذي يعتبر أمير الشعراء في العصر الجاهلي بعد زهير بن أبي سلمى - غيره من الشعراء. إنني هنا أتحدث عن ليل الهموم الذي اجتاحني على حين غرة وعلى غير تدبير مني. إن ليل امرئ القيس الذي كان مع الصيد سواء صيد الطباء أو النساء ، ليلٌ موغلٌ في الجاهلية زماناً واعتقاداً. ولكن الليل الذي أعنى فهو يحمل همومي في المصاب الذي أودى بالمثقلة المبتلاة ، ومصابي في الأمة المسلمة التي بليتتها ليس لها حدود ، إنها تخرج من محنة إلى محنة أشد وأنكى ، والله المستعان على كل حال. وامرؤ القيس سلّمٌ أصعد عليه ، ونافذة أطل منها على الأحداث ، وآلة تصوير أنتاول بها الأمور وأصورها. إنه الليل الذي أظلمت عيني اليسرى فيه لأول مرة. وتذكرت ليل امرئ القيس - الشاعر الجاهلي المعروف - واستعرت بيته الأول وجعلته مستهل قصيدتي. وبعد قليل تذكرت من هو أفضل من امرئ القيس ديناً وخُلُقاً وفضلاً ونوراً وشاعرية وشعوراً ، إنه الإمام شمس الدين ابن القيم الجوزية ، حيث يقول في ميميته مُحذراً الغفلة وليل الهوى وضياح الوقت فيما لا فائدة فيه:

فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى	صريع الأماني ، عن قريب سنندم
أفق قد دنا اليوم الذي ليس بعده	سوى جنة أو حر نار تضرم
وبالسنة الغراء كُن متمسكاً	هي العروة الوثقى التي ليس تُفصم
تمسك بها مسك البخيل بماله	وعض عليها بالنواجذ تسلم
ودع عنك ما قد أحدثت الناس بعدها	فمرتغ هاتيك الحوادث أوخم
وهيئ جواباً عندما تسمع النداء	من الله يوم العرض ماذا أجبتُم؟
به رسلي لما أتوكم فمن يكن	أجاب سواهم سوف يخزي ويئد

وَحُدِّ مِنْ تُقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمَ  
 وللأمانة وللتاريخ تأثرت بأبيات ابن القيم رحمه الله، ولكن كان تأثري بامرئ  
 القيس أقوى من ناحية الصياغة. أما أبيات ابن القيم فأعطتني الإيحاء والفكرة!  
 في مقالة عن السهر في الليل ، يقول الأستاذ إبراهيم بن محمد الحقييل ما نصه:  
 (إن الأصل في السهر أنه مذموم إلا لمصلحة راجحة ، وبشرط أن لا يخل بشعيرة  
 واجبة ؛ لأن عمومات القرآن دالة على أن الله تعالى جعل الليل للسكن والنوم ،  
 وجعل النهار للحركة والانتشار ، ثم جاءت السنة النبوية تعزز هذه الآية الربانية  
 في البشر لتجعلها وفق الفطرة السوية. فعَنْ أَبِي بَرزَةَ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثُ بَعْدَهَا» (متفق  
 عليه). وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا" (رواه أحمد). فهذا هديته الدائم عليه الصلاة  
 والسلام ، وما نُقِلَ من سهره وحديثه بعد العشاء فهو عارض لحاجة دعت لذلك.  
 ولذا كان صلى الله عليه وسلم يذم السهر ويعيبه ؛ كما روى أحمد عن ابن مسعود  
 رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْدِبُ لَنَا السَّمَرَ بَعْدَ  
 الْعِشَاءِ" أي: يعيبه ويذمه. ولم يرخص صلى الله عليه وسلم في السهر إلا لمن  
 له حاجة تدعو للسهر كمن يصلي أول الليل يخشى أن لا يقوم آخره فيقدم الوتر ،  
 أو من كان مسافراً ؛ لأن المسير في الليل أبرد وأهون ، وفيه تطوى الأرض ،  
 ويقل العطش ، أو لحديث يذكر بالآخرة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام غير  
 مرة ، أو لعمل لا بد منه كحراسة أو نحوها من مصالح المسلمين ، أو لعمل لا  
 يمكن إنجازه إلا في الليل ، أو لا يحتمل التأخير ، أو لتفقد أحوال الرعية من  
 الإمام المسلم أو نوابه ، أو لحفظ الأمن والأعراض من أهل الحسبة والشرط  
 ونحوهم).هـ. فقلت منشداً من شعري جاعلاً بيت امرئ القيس مفتحاً لقصيدتي:

«وَأَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ  
 نَعْمَ أَعْرَقْتُ قَلْبِي الدَّمَاءَ غَزِيرَةً  
 عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِيَّ»  
 وَقَدْ حَمَشْتُ وَجْهِي وَلَمَّا تَرَقَّ لِي  
 وَإِنَّ الدَّمُوعَ الْهُوجَ لَمْ تَتَحَمَّلِ  
 وَعَيْنِي تَحَدَّتْهَا الدَّمَاءُ فَسَأَمْتُ

وَهَبَّتْ رِيَاخُ الْوَهْمِ تَمَسَّحُ دَمْعَتِي  
وَرَبِّي يُحِبُّ الْعَبْدَ يَحْتَمِلُ الْأَذَى  
أَبَا الْحَارِثِ: اِكْتَمَهَا فَايُنْكَ مُنْتَهَى  
أَرَاكَ اعْتَلَيْتَ الْمَتْنَ مَتْنٌ جَوَادِكُمْ  
فَمَا رَدَّكُمْ بِأَسْ الْقَوَارِعِ مَرَّةً  
فَهَلْ يُبْكِيَنَّ اللَّيْلُ مِثْلَكَ لِحِظَةً  
وَهَلْ لَيْلُكَ الدَّاجِي سَيُرخِي سُذُولَهُ  
وَفِيمَ ابْتِلَاءِ اللَّيْلِ؟ أَنْتَ عَضَّنَقَرَّ  
وَيَا أَيُّهَا الْكِنْدِيُّ كُفَّ عَنِ الْهَوَى  
وَلَوْلَا الْإِلَهِ الْحَقُّ ضَايَعِنِي الْهَوَى  
وَأَنِّي ، وَإِنْ لَمْ أَصْطَبِعْ بِمَرَارِهِ  
أَبَا الْحَارِثِ: انْجَابَ الْكُرَى بِمُحَمَّدٍ  
هَدَانِي إِلَهُ الْكُونَ ، لَسْتُ بِفَاسِقٍ  
وَلَكِنْ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ وَمُؤَحَّدٌ  
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْجَاهِلِيَّةِ حِقْبَةٌ

بِمُنْدِيلِهَا ، وَالدمع في كل منزل  
وَأَنِّي ضَعِيفٌ قَدْ جَفَانِي تَحْمَلِي  
وَسَاعَاتُهُ سَيفٌ عَلَى الْمَتْرَهْلِ  
وَتَصْطَادُ فِي الْبِيدَاءِ مِنْ كُلِّ قِصَمَلٍ  
فَأَنْتُمْ عَلَى بَأْسِ الْعِدَا كَالْجَحْفَلِ  
وَعَبْرَ الدُّجْنِ السَّيفِ فِي كُلِّ مِفْصَلٍ؟  
عَلَيْكَ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي؟  
فَهَتَّكَ سُذُولَ اللَّيْلِ لِيْلِكَ ، وَارْحَلْ  
فَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ ضَانِعٍ مُتَبَدَّلٍ!  
وَأَبْسُنْ بِقَلْبِ مَنْ دَجَى الشَّرِّ مُثْقَلٍ!  
وَلَكِنْ طَوَانِي فِيهِ بَعْضُ تَرْهَلِي  
عَلَى دِينَ (إِبْرَاهِيمَ) لَمْ يَتَّخَوْلْ  
وَلَا آهَةَ (الْكِنْدِيِّ) تَعْلُو بِمَحْفَلِ  
وَقَرَأَنُ رَبِّي فِيهِ كُلُّ التَّفْضَلِ  
وَعَمَّتْ فَوَادِي هَمَّةَ الْمُتَبَدَّلِ

جريدة الوحدة العربية في 1996/1/3م

## وتسألني عن الحال

(المسلم عندما يُسأل عن حاله يجيب بالحمد ، ويوقن أن الله اختار له الخير على كل حال. وإذا هو تأمل حاله في الدنيا فإنه يدرك أنه راحل عنها يوماً. وإن المؤمن مسافر مهاجر إلى الله (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ، (وقال إني مهاجرٌ إلى ربي) ، «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ، وإذن فهو حقاً مسافر دائم السفر. يقول ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (235): «العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار وهو مسافر إلى ربه ، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له ، فالعمر هو مدة سفر الإنسان إلى ربه في هذه الدار. ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره ، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل ، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر. فالكيّس الفطن هو الذي يجعل كل رحلة نُصب عينيه ، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا ، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه ، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه ، ويمتد أمله ، ويحضر بالتسويف والوعد والتأخير بل والمطل بل يُعدّ عمره تلك المرحلة الواحدة ، فيجتهد في قطعها بخير». ا هـ. والقلب السليم معين ولا شك. وقد تأتي على القلب ساعات يُعاني من الصدا ، فيكونُ جلاءً ذلك الصدا ذكر الله تعالى ، ولكن عندما يُلقِي الشيطانُ بجرانه على قلب عبدٍ تكونُ المأساة والملهأة والحزنُ معًا ، وصدق أستاذنا سعدُ البريك حيث يقول: «... إنَّ طمأنينةَ النفس وسلامةَ القلب وانسراحَ الصدر من أعظم وجوه السعادة ، هذا إن لم تكن السعادة بعينها ، ولئن اختلفت مذاهبُ من قالوا في السعادة أقوالهم الماثورة وفي معانيها ، فإنَّ الحالَ والواقعَ يُكذبان حقيقة كلِّ معاني السعادة الموهومة في المال والجاه والمنصب ما لم تكن مبنية على طاعة الله واتباع رسوله ﷺ. ولقد بينَّ الله عزَّ وجلَّ أنَّ طمأنينة القلب موقوفةٌ على ذكره جل

شأنه ، حيث قال سبحانه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب). وعلى ذلك فجديرٌ بكل مسلم ومسلمةٍ العِلْمُ بأنَّ الذَّكَرَ هُوَ مادَّةُ السعادة وسببُها ، والذَّكَرُ هُوَ حصنُ النفس من نَزَعَاتِ الشيطان ووسوستِهِ ، قال جلُّ شأنه: (وإما ينزغَنَّك من الشيطان نَزْغًا فاستعذ بالله إنه سميعٌ عليم). لكنَّ الذَّكَرَ الذي هُوَ سلاحُ المؤمن وجُنَّتُهُ لا ينفَعُ إلا مَنْ تَيَقَّنَ أثرَهُ ومنفعتَهُ ، أما أولئك الذين يُردُّون الذَّكَرَ ترديدَ المُجَرَّبِ والمُتَشَكِّكِ في نفعه مِنْ عَدَمِهِ فذاك لا ينفَعُهُ الذَّكَرُ ولو شَعَلَ ليلُهُ ونهارُهُ بِهِ...»هـ. وما أَظُنُّ الأستاذَ البريكَ إلا صادقًا فيما ذهب إليه ، فكتبتُ هذي الأبيات ترغيمًا للشيطان الذي يحول بيني وبين الذَّكَرِ! وأحطم بها سيوفَ الحزن وسرايِبَ الإحْنِ المُخيمَةَ على قلبي وقلبي وشعري ، وكُلِّي أملٌ أنْ تنقشَعَ هذه الغيَاهِبِ. وأسألُ الله أن يرزقني الرضا بالقدر! في مقال له عن الرضا يقول الأستاذ هاني ضوّه ما نصه: (الرضا جنة المؤمنين. فيها يستريحون من هموم الدنيا ومشاغل النفس وضيقها. ففي الرضا بقضاء الله وما قسمه لك غنًا في النفس وراحة للبال ، على عكس من لا يرضى بما قسمه الله فإنه يكون على الدوام في شد وجذب مع نفسه وفي كدر وضيق. والرضا هو سرور القلب بمر القضاء ، وهو نعمة غالية وعبادة قلبية تغيب عن الكثير ، من يفتقدها يشعر بالسخط والضجر ولا يتلذذ بما أعطاه الله من نعم. وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ". والرضا هُوَ قبول حكم الله في السراء والضراء ، والعلم أن ما قسمه الله هُوَ الخير كله ، لذا قال سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي - رضي الله عنهما -: "من اتكل على حسن اختيار الله تعالى ، لم يتمن غير ما اختار الله له". وليس الرضا هُوَ الاستسلام لواقع يمكن تغييره بالسعي والأخذ بالأسباب كالتداوي من مرض أو السعي وراء الرزق أو دفع ضرر ما ، لأن الاستسلام هُوَ الانهزام وعدم بذل

الجهد والأخذ بالأسباب لتحقيق الهدف. أما الرضا فهو استفراغك الوسع وبذل الجهد والأسباب في تحقيق الهدف ، لكن لم توفق إليه ، فترضى بما قسم الله لك من غير جزع ، أو ضجر ، أو سخط ، كالذي تزوج ولم يرزق الولد رغم سعيه للعلاج ، والذي أصيب بمرض لم يستطع دفعه بالدواء ، والذي ابتلاه الله بالفقر وضيق ذات اليد ، فاجتهد في تحصيل الغنى فلم يوفق. هنا يأتي التحلي بصفة الرضا بما كتبه الله وقدره ، فتحيل القلب إلى سرور دائم ، وتشعر النفس بنعيم مقيم. ويبين لنا هذا الموقف معنى الرضا بما قسم الله. وإن إنساناً كان يطوف حول الكعبة يقول: يا رب هل أنت راض عني؟ وكان يطوف وراءه الإمام الشافعي فقال له: يا هذا ، هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك؟ فقال الرجل له: يا سبحان الله! كيف أَرْضَى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ قال الإمام الشافعي: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله. فالرضا بمكروه القضاء من أرفع درجات اليقين. أن يمتلئ القلب رضىً عن الله في السراء وفي الضراء ، في الغنى وفي الفقر ، في الصحة والمرض ، في الزواج وفي عدم الزواج. وفي بعض الأوقات يكون منع النعمة أو الخير فيه خير كثير وحكمة بليغة لا يفهمها إلا أولى البصائر).هـ. من أعظم أسباب السعادة في الحياة أن يكون الإنسان راضياً بحياته مقتنعاً بها ، ومن الكلمات الجميلة التي مرت عليّ «ينظر الناس لما في أيدي غيرهم ، ولا ينظرون لما في أيديهم» ، وهذا بسبب عدم الرضا ، فقبل أن نكثر من التذمر والتشكي ، علينا أن ننظر في نعم الله وفضله علينا ، فإننا سنجد أن الله أكرمنا بعافية عظيمة. هل نظرنا إلى بعض البلدان وكيف يعيش الناس فيها؟ انعدم عندهم الاستقرار فأصبحت الحياة كغابة يعيش فيها عدد كبير من الضواري التي تفترس الضعيف وتأكله ، فواقع هذه البلدان كالجابة المليئة بالوحوش ، لا يأمنون على أنفسهم ولا أولادهم. وإن فالأمن والأمان يتحققان



بتطبيق الإسلام والإيمان! (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهو مهتدون)! وكان الأمن والأمان إفراس من إفراسات تطبيق الإيمان والإسلام! وتلك حقيقة بدهية تأكدت على مر الدهور وكر العصور! ومن هنا أنشدت أقول:

قد أصابته المنايا بسهمِ جاءه  
ثم شجَّ العينَ هذي ، وربِّي شاءه  
بل ، ولم يقنط ، وقد مزقت أحشاءه  
والسنَّ في دمه يشتكِّي إغفائه  
يبتلى عبداً ، يجاري ويُفري دأه  
فاز من حلى به جاهدًا إغفائه  
ثم إن المرء يسدي هنا أمعائه  
مدعٍ إسلامه ، يبتغي إشغائه  
نحن حمقى حيث نكوي به أشغائه  
غير أنني لم أجد من يرى آفائه  
إن إنسا - دونها - فاقد إحيائه  
جنب اللهم نفساً تُعاني سوءه  
غير أن العمرَ يجري ، ويذري مائه  
إن بدمعي أو قيامي ، وأنمي شياؤه  
لا تُخبِّب بين هذي البرايا رجاءه

مُسْتَكِينُ الْحَالِ قَلْبِي لِمَا قَدْ سَاءَ  
مَرَّقَ الْأَحْشَاءَ ، أَدْمَى جِرَاحَاتِ بِهَا  
ثُمَّ عَبْدٌ قَدْ تَسَامَى ، وَلَمْ يَجْرَعْ لَهَا  
قَوْلُهُ رَبِّي وَصَبْرِي وَذِكْرِي دَائِمًا  
يَا دُمُوعَ الْعَيْنِ هَذِهِ جِرَاحَاتُ الْمُنَى  
يَا سَيْوْفَ الْحُزْنِ هَذَا ثَبَاتُ الْأَتْقِيَا  
إِنَّ فِي صَمْتِي كَلَامًا وَوَعظًا جَامِعًا  
ثُمَّ لَا يَلْقَى سِوَى شَامِتٍ أَوْ مُعْتَدٍ  
أَهٍ مِنْ قَيْدِ الْخِدَاعِ الَّذِي فِي دَرْبِنَا  
كَمْ تَمَنَيْتُ الْإِحْيَاءَ الَّذِي أَحْيَا بِهِ!  
رَبِّ رُدِّ الْعَيْنَ إِنِّي مُرِيدٌ نَوْرَهَا  
إِنَّ فِي إِظْلَامِ عَيْنِي تَرْدِي فَرْحَتِي  
لَسْتُ أَدْرِي: مَا لِطُوفَانِ عُمْرِي مُنْتَهَى  
يَا إِلَهَ الْكَوْنِ إِنِّي مُحَلِّ دَعْوَتِي  
يَا إِلَهِي إِنَّ عَبْدًا أَتَى مُسْتَرْجِعًا

## كل يبكي على ليلاه

البكاء من خشية الله سمتُ الصالحين ودأب كل مؤمن موحد ، ومدح الله قومًا قال فيهم: (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) ، وأنكر على قوم عدم البكاء ، فقال: (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون)؟ وروى الترمذي أن النبي ﷺ قال: «لا يلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع». ومن السبعة المظلّين في الحديث المتفق عليه: «ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضت عيناه». وروى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يُصلي، ولجوفه - أي صدره - أزيز كأزيز المرجل من البكاء. إن بكائي على ما حل بي هو: هل مصابي ابتلاء أم عقاب أم هما معاً؟ وأحتسب على الله أن يغفر لي ويصبرني. وعلى سرير المرض أخذتُ أعاتبُ النابغة الذبياني ، ذلك الشاعرَ الجاهليَّ المعروف ، وهو يُعاتبُ معشوقته أُميمة. غير أنني كنتُ أبكي عيني ، لا أبكي أُميمة. وتذكرتُ قول أحدهم:

فما في الأرض أشقى من محبِّ      وإن وجدَ الهوى حلوا المذاقِ  
تراه باكيًا في كل حين      مخافةً فرقةً أو لاشتياقِ  
فببكي إن نأوا شوقًا إليهم      وببكي إن دنوا خوفَ الفراقِ

## وتذكرتُ قولَ شاعرٍ آخرٍ يمتدحُ العفافَ ويختاره سمتاً ، وينسفُ الغُهرَ:

عَفَوا تَعَفَّ نساؤكم في المحرم      وتجنبوا ما لا يليق بمُسْلِمِ  
إنَّ الرِّزى دِينٌ ، فإن أقرضته      كان الوفا من أهل بيتك فاعلم  
من يزن في بيتٍ بألفي درهمٍ      في بيته يُزنى بغير الدرهمِ  
يا هاتكًا حُرْمَ الرِّجالِ وتابعا      طرُقَ الفسادَ تعيش غيرَ مُكْرَمِ  
لو كنتُ حُرًّا من سُلالةِ ماجد      ما كنتُ هتاكًا حُرْمَةَ مُسْلِمِ

**وأعود للنابغة وأميمة حيث أنسج على مطلع قصيدته مورداً بيتيه الأوليين.**

وعموماً بكائي وليلي يختلفان عن بكاء وليل النابغة! قال صاحب (تطريز رياض الصالحين) في باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه ما نصه: (قال الله تعالى: (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً). أي: يزيدهم سماع القرآن إيماناً وخضوعاً لله عز وجل. قال تعالى: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً). وفي الحديث: «حرمت النار على ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله». قال تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون \* وتضحكون ولا تبكون). يخبر تعالى عن المشركين أنهم ينكرون القرآن ، ويستهزئون به ، ولا يبكون ، بخلاف المؤمنين ، فإنهم إذا سمعوا القرآن زادهم إيماناً واقشعرت جلودهم ، ولانت قلوبهم ، وبكوا لما فيه من الوعد والوعيد. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اقرأ عليّ القرآن!» قلت: يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمع من غيري». فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت إلى هذه الآية: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً} ، قال: «حسبك الآن» . فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه. قال البخاري: باب البكاء عند القرآن ، وأورد الحديث. قال النووي: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين ، وشعار الصالحين. قال الحافظ: بكى - صلى الله عليه وسلم - رحمة لأُمَّته ، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يُفْضِي إلى تعذيبهم ، والله أعلم. وفي الحديث: استحباب عرض القرآن على الغير ، وجواز الأمر بقطع القرآن للمصلحة).هـ. وكما قلنا من قبل: لا يزال الشعراء يأخذ بعضهم من بعض ، ويعارض بعضهم بعضاً ، ويتطفل بعضهم على بعض ، ولا مشاحة في ذلك ، فإذا كان العلم رحماً بين أهله ، فكذلك الشعر رحمة بين أهله! ولو عاش النابغة إلى زمان شوقي وحافظ ، لم يكن بعيداً ولا مستهجناً ولا مستغرباً أن يعارضهما ، أو ينسج على منوالهما لعلوا شأنهما!

---

«كَلَيْبِي لِهَمِّ ، يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ»  
«تَطَّأُولَ حَتَّى قَلْتُ: لَيْسَ بِمُنْجَلٍ      وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيْبِ»

وجاملتُ عيني بالقريضِ المُعاضِبِ  
ووارتُ شبابي كل أوهامِ حاصبي  
ولكنْ تَلْظِي في سَعِيرِ المَصَائِبِ  
وتُمْسِي وفي عَيْنِكَ العَازِ عَائِبِ  
وترعى نُجُومَ الليلِ؟ يا للأعاربِ!  
ونابغةُ العِشاقِ في ذي المصائبِ  
حَنَائِكَ في هذي النُفوسِ الكَوَائِبِ  
وإنَّ المَنايَا أوغَلتْ بِمَخَالِبِ  
وحقُّ الذي زانَ النَّسا بِالذَّوَابِ  
ولا عنْ عشيقٍ في جَمالِكَ لَاعِبِ  
عَفافاً يُواري في الحِوَارِ مَعايِبِي  
فَلِي هِمَّةٌ فوقِ الهوى والرغائبِ  
ستطوي بِرَغَمِ الأنفِ بَعْضَ مَناقِبِي  
يُريدُ الذي يرضاه عُرفُ الأجدابِ  
وعنوانهم في الحيِّ لَيْسَ بِغَائِبِ  
وربُّ الوَرى كافِيكَ بِطَشَّةِ غَالِبِ

ألا يا (ابنَ دُبَيانٍ) تَمَضَّتْ صَبابَتِي  
تَوَارَتْ دُمُوعِي خَلْفَ صَبْرِي ومحتني  
بَكَائِي قَرِيضِي لَمْ يَكُنْ لِي مُخَذَّلاً  
وأنتَ الذي تَبكي (أَمِيمَةَ) سَاهِراً  
عَجيبٌ ، أَتَشْكُو الليلَ عِنْدَ «أَمِيمَةَ»  
وفي عِزِّها الحَاني تَنامُ (أَمِيمَةَ)  
أَيَا طالِبَ ماءٍ زلالاً بِجَمْرَةٍ  
وَرَفَقاً ، فَإِنَّ الجُرحَ عاتٍ وغانرٌ  
وعيني بِمِلءِ الأرضِ مِنْكَ (أَمِيمَةَ)  
وَلوْلا التَّقَى ما ذُدْتُ عَنْكَ فَصَدَّقِي  
وإنِّي لَعَفٌّ في مُحاورَةِ النَّسا  
وإنْ داهمَتْني آهتِي بِتَحَسُّرِ  
فلا تَنْبِشِي سَاعاتِ عُمري ، فَإِنَّها  
وأما (ابنَ دُبَيانٍ) ، فَبَادِ عِوارُهُ  
فَقُومِي إلى الأحنافِ فَوَراً ، وأَسْلِمِي  
دَعِي عَنْكَ هَذا الجاهليِّ وحِزْبَهُ

جريدة الوحدة العربية - يوم 1996/1/8م

## قراءة في أوراق الماضي

(مُنذُ كانتُ إصابتي في مُقلتي اليُسرى هذه وأنا أقارنُ بينَ أوراقِ الماضي السحيقِ الوريثِ ، والحاضرِ الرقيقِ الأسيِّفِ. أقرأ هنا مرة ، وهناك أخرى ، وأحزنُ في نفسي. والحزنُ رفيقُ الكنيبِ وصديقُ المطعونِ ، ولذا نَحَلَّ الجِسمِ وذابَ الشعورُ فعلاً. واللهُ يُفَرِّجُ الهمَّ والغمَّ ، (وما بكم من نعمة فمن الله) ، (واللهُ غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)! وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وفي الحقيقة ، لم يكن لي وَلَعٌ بِمَا يُسَمَّى - هذه الأيام - بالشعر الحر أو الشعر المنثور ، أو النثر المشعور - ذلك أنَّ الشعرَ العربيَّ الأصيلَ براءً كلِّ البراءة من شيء يُنسَبُ إليه ويحملُ اسمه ما لم يكن على قواعده وأصوله وضوابطه ونهجه وأوزانه وقوافيه وجماله ووحدته ونسقه ومنواله وألفاظه. كتب محمد عباس عرابي ■ بتاريخ 2016/01/11م مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية العدد 55 في التعليق على كتاب (الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته تأليف / الدكتور عدنان النحوي) ما نصه: (وأما عن ظروف تشكُّل الشعر العربي الحديث ، فلقد عُرف الشعر العربي الحديث - وهو لمَّا يَزَلْ حَدَثًا يحبو في دنيا التأسيس - في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة بعدة تسميات أبرزها: (شعر التفعيلة ، والشعر الحر ، والشعر الحديث ، والشعر المنطلق ، والشعر المرسل ، والشعر الجديد ، والشعر المنثور ، والنثر المشعور). وقد تناسلت مجموعة من الظروف والعوامل التي تفسر الإبدالات التي مسَّت بنية هذا الفتح الشعري الجديد لعل أبرزها: أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وما رافقها من حركات تحرر ترنو إلى التحرر والديمقراطية والعدالة ، ثم ضياع فلسطين زمن نكبة 1948م ، الذي جعل الشاعر المعاصر يحدق في اليقظة المفزعة والحقيقة المرة ، التي حملتها رياح الأزمات والحروب والأوضاع السياسية المتأزمة على المنطقة العربية ، بالإضافة إلى انفتاح الشاعر على الآداب العالمية والثقافات الغربية ، والاعتراف من الروافد والأيديولوجيات والأفكار والفلسفات المختلفة سيِّما الاشتراكية والوجودية ، وكذا الشعر العالمي (توماس إيليويت ، لوركا ، ماياكوفسكي ، ناظم حكمت..). والملاحم والأساطير اليونانية والبابلية (جلجامش ، العنقاء ، سيزيف ، عشتار..). والموروث السِّيري والصوفي الإسلامي والعربي كل هذه العوامل القديم (سيرة عنتره ، أبي زيد الهلالي..)/ الحلاج ، ابن عربي..).

أسهمت في تشكّل تصور جديد للشعر العربي ، يؤسس لبدائل تعبيرية جديدة **Le répertoire du texte** جاءت لتستفزّ السّجل النصي للقارئ الواعي! وتجعله يستنفر كل خزائنه الذهنية والفكرية لتأويل المنجز النصي الجديد ، وفك رموزه ومكوناته اللغوية والدلالية (وعلى رأسها العنوان باعتباره بوابة النص ولبنة من عتباته ، تستثير القارئ لاكتشاف محتواه من حيث التركيب والدلالة والإحالات المرجعية حسب ليوهوك. والقرائن الزمنية والمكانية والحالية وقرائن الإرسال والاستقبال ، والوظائف والموضوعات والإشارات النوعية والإغرائية حسب جيرار جنيت). وتقوم هذه البدائل على تحولات إيقاعية وفنية ودلالية ، تجاوزت القصيدة القيمة في بنيتها الإيقاعية والتركيبية والدلالية ، وكسرت نمطها الصارم وبنيتها من حيث المعالم الشكلية ، ونظام القافية والروي الموحد وأسست لشعر التفعيلة ، الذي يتيح للشاعر آفاقاً رحبة قادرة على استيعاب المستجدات والمعطيات الحضارية والفكرية والواقعية للعصر ، عكس القصيدة الشطرية التي تقيد الشاعر بشكلها الهندسي الصارم - الذي لا يصح الخروج عنه - وتكبح أفكاره المحمومة بنموذجها الواحد. تقول نازك الملائكة مبررة دوافع تحرر الشاعر الحديث من الشكل القديم: "لقد وجد الشاعر الحديث نفسه محتاجاً إلى التحرر من هذا النظام الهندسي الصارم الذي يتدخل حتى في طول عبارته ، وليس هذا غريباً في عصر يبحث عن الحرية ، ويريد أن يحطم القيود ، ويعيش ملء مجالاته الفكرية والروحية". بهذا أصبح شعر التفعيلة / أو الشعر الحر متحرراً من الشكل الهندسي القديم ، وحافظ الشاعر المعاصر فيه على الوزن والقافية لكي يحقق بهما الشاعر نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه" ، ووظف السطر الشعري بدلاً من الشطر الشعري ، تماشياً مع نظرتة الشعرية الخاصة ، ودفقته الشعورية والوجدانية والعاطفية والتأملية ، وأحدث رجّة لدى النقد المحافظ بعد إعلان التيار الجديد قطيعته الإبيستيمولوجية مع القديم في مضامينه وهيكله العمودي ؛ إذ أرسل المحافظون شواظاً من نار على هذا المولود الجديد الذي يرنو إلى التحديث والمعاصرة استجابة للتحويلات المعاصرة ، فكانت المعركة أشرس من تلك التي أعلنها الرومانسيون العقاد والمازني على من سموهم "أصنام الشعر" الإحيائي: حافظ وشوقي والرافعي. ولك أن تعود إلى كتاب: "الشعر المتفلسف" للدكتور الشاعر المفكر الناقد الناصح الأمين عدنان علي رضا النحوي ، لتقرأ العجب العجاب ، وكيف اعتبر الشعر الحر "شراً على

دين الله ولغة دينه" ، بل "فتنة وابتلاء من الله لعباده" ، قال في إهدائه: "إلى كل من أغرته فتنة الزخرف الكاذب من الشعر المتفلت ليرجع إلى الحق" ، وقال في مقدمته: "والشعر المتفلت بالتفعيلة أشد خطراً على اللغة العربية من المتفلت بالنثر - يقصد قصيدة النثر - وكلاهما خطر شديد ومؤامرة على اللغة العربية".

واعتبر الدكتور أن المثل الأعلى في الشعر هو نظام الشطرين الذي لا يحيد عن الوزن والقافية والروي ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة في الشعر الحر إلا هاجمها وندد بها ، وكأني به نقد فقهي أو عاطفي وليس أدبياً ولا نقداً منهجياً! وما ذلك إلا لأنه ينطلق من الفكر المؤامراتي الذي يعتبر كل جديد في الأدب معولاً لهدم الثقافة والدين واللغة .. إلخ ، وليت شعري ماذا يقول في أبي تمام وبشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وابن الرومي الذين التزموا بال قالب العمودي ولم يلتزموا بالمعاني التي تُصبّ فيه؟ وحتى الشعراء الذين وُصفوا بالزندقة والمروق ، واتهموا في دينهم وطباعهم وثقافتهم كمطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، والحسين بن الضحاك ، وأبان بن عبد الحميد ، وصالح بن عبد القدوس التزموا بالقديم في شكله وتجاوزوه في أهم مقوماته وسُننه الشعرية ، وأجادوا في مبناه وسبكه ومعانيه؟ وماذا يقول في شعر الرومانسيين إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران الذين نظموا على نظام الشطرين ونظام المقاطع وكان شعرهم جيداً ، ولمّا يكونوا مسلمين في عقيدتهم! ولو عاد إلى الشعر القديم سواء العباسي أو الأندلسي لوجده مفعماً بالتجديد والأشكال الجديدة والمعاني الجديدة ، عُدّ مثلاً إلى أبي نواس في وثوبه على المقدمة الطللية وهي إحدى ركائز المنجز الشعري القديم ، وانظر إلى التجديد لدى أبي تمام في حماسته الصغرى والكبرى ، وابن المعتز في "البديع" وهو يؤسس لمنهج شعري جديد ، ولا يخفى كذلك على الدكتور ما أبدعه شعراء الأندلس من جديد على مستوى الشكل ، وما الموشحات والمخمسات والرباعيات والمزدوجات منا ببعيد ، وحتى النقاد والبلاغيون القدامى - حينما نتحدث في جانب آخر مثلاً عن مسألة الوزن - الذين شددوا في مسألة الوزن في الشعر كابن رشيق ، اعتبروه مجرد عنصر كباقي عناصر الشعر الأخرى ، وذهب إلى أن الشاعر سمي شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، أي لا أساس لها ولا رصيد! (راجع: العمدة) ، وإذا تتبعنا شعر الأولين نجد أن بعضه أو كثيراً

منه- سيما الجاهلي - لم يرد على ميزان الخليل وما تمليه قواعد الخليل في عمود الشعر. ولهذا فالشعر يعيش عصره ، بأشكال تتلاءم ومتطلبات العصر ومضامينه فكان لا بد من "تطوير الإيقاع الشعري العربي وصقله على ضوء المضامين الجديدة. فليس للأوزان التقليدية أية قداسة". ومن أهم رواد هذا الاتجاه الشعري الجديد الأوائل نذكر: الناقد والشاعرة العراقية نازك الملائكة بقصيدتها "الكوليرا" ومقدمة ديوانها "شظايا ورماد" ، وكتابها المؤسس لعروض الشعر الجديد " قضايا الشعر المعاصر " ، وبدر شاكر السياب في ديوانه "أزهار ذابلة" الذي ضم قصيدة حرة بعنوان "هل كان حباً" ، بالإضافة إلى عبد الوهاب البياتي بديوانه "ملائكة وشياطين" ، واتسعت دائرة هذا الاتجاه لتشمل صلاح عبد الصبور ، وأمل دنقل ، ومظفر النواب ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، وأدونيس ، ويوسف الخال ، ومحمود درويش ، وخليل حاوي ، وفدوى طوقان ، ونزار قباني. وفي المغرب :عبد الله راجع ، ومحمد الخمار الكنوني ، ومحمد الأشعري ، ومصطفى المعداوي ، وأحمد المعداوي ، ومحمد السرغيني ، ومحمد بنيس. إن تفسير البنية القديمة لا يعني التمرد الكاسح والخرق الكلي لعمود الخليل ، والخروج المطلق عن كل الأسس الإيقاعية للقصيدة الشطرية ، وإنما يعني عدم التزام الشاعر المعاصر بتفعيلات محددة ، وقافية موحدة ، ومعجم يستدر معانيه من ضرع القاموس القديم ، ونهجه نهجاً إيقاعياً جديداً ، رغبة منه لجعل القصيدة وحدة متماسكة ، تعبر عن المضمون الفكري المرتبط بقضايا العصر ، وإحباطات الإنسان المعاصر وعذاباته ، فالشعر الحديث "لا يتقيد بعدد محدود من التفاعيل لكل بيت ، ولا يلتزم بجميع أحكام العروض التقليدية ، بل يسمح لنفسه بتنوع الإيقاع مجازاة لما يتطلبه المضمون الفكري والعاطفي". وبخصوص شعر الرؤيا فقد سعى الشاعر المعاصر إلى تشكيل رؤاه الخاصة ، في ظل المستجدات والقضايا التي يعرفها الواقع المعاصر ، والتعبير عن انفعالاته وقلقه الوجودي وتجربته الإنسانية العميقة التي تتجاوز الظاهر إلى الباطن ، بآليات فنية وتعبيرية مختلفة وتراكيب انزياحية جديدة تجاوزت المؤلف ، فأصبح الشعر رؤياً تتطور بتطور العالم ، ومدى انفتاح الشاعر عليه ، وإحساسه الشامل بحضوره فيه ، ولم تعد اللغة تقوم فقط على مجرد وظيفة تعبيرية أو جمالية ، بل تجاوزت المؤلف ، لتخلق علاقات جديدة بين الشاعر والمتلقي ، موظفاً رموزاً وأساطير تجسد رؤيا الشاعر ومشكلاته في الوجود ، فأصبح النص الشعري مكتفاً يحمل



دلالات متعددة منفتحة على تأويلات مختلفة ، يجد فيها كل قارئ خريطة ما. السطر الشعري: اتخذ شعر التفعيلة شكلاً طباعياً جديداً يختلف عن الشكل الطباعي لنظام الشطرين ، فاعتمد الشاعر أسطراً شعرية متفاوتة الطول والعدد ، وظف فيها التفعيلة توظيفاً مغايراً للقصيدة القديمة ، يحقق الانسجام الإيقاعي بين الأسطر الشعرية ، ويخضع طول السطر الشعري أو قصره لطبيعة "الدفقة الشعرية" لديه. ومن أمثلة هذه الأسطر المتفاوتة نورد قصيدة "الآفاق" للشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي وكأنه عبث متعمد في القصيدة وبنائها:

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزين

كالسائل المحروم ، كالحزون

ينتظر المساء

وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين

ولا يعود

كالسائل المحروم ، ينتظر المساء"

انبتت هذه القصيدة على بنية مفتوحة ، يتفاوت فيها طول البيت بحسب التفعيلات الموجودة ، ويرتبط هذا التفاوت بالإيقاع النفسي للشاعر ودفقته الشعورية. وقد لا يرتبط الشاعر المعاصر بنفس التقسيم الشكلي الذي عُرف به الشعر الحر ، فيوظف كاليغرافاً قائماً على توزيع الأسطر والكلمات وتجزئتها حسب الحمولة الدلالية للقصيدة ، فتتفاوت الأسطر أو تتساوى لخدمة النسق المضموني الذي بنيت به القصيدة ، لعل أبرز مثال ، قصيدة لصاحب الشاعر بعنوان "قصيدة أخرى تأكل نفسها" ليصور كاتبها أنها تحاكي الواقع كما يتوهم! يقول فيها:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحت: اخطئني

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحت:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ

سيدي الحبّ أملَى عليّ القصيدة مبتلةً

سيدي الحبّ أملَى عليّ القصيدة

سيدي الحبّ أملَى عليّ

سيدي الحبّ أملَى

سيدي الحبّ

سيدي

فالشاعر هنا "أراد أن يرمز بالشكل للواقع المتآكل ، فكان أن وظف الشكل متناقضاً متآكلاً ، ليبيرز تآكل المجتمع ، أو تآكل المعاني والقيم فيه وشروع هذه القيم في التراجع. فلهذا جماليته الخاصة ، حيث تنتج الدلالة بتوظيف الرمز للواقع على هذا النحو التشكيلي العجيب ، الذي يُلْمَح إلى إمكان جعل الشكل في ذاته ، موضوعاً شعرياً من ناحية ، وعنصراً دلاليّاً من ناحية "المقطع الشعري: يرتبط المقطع الشعري أساساً بالأسطر الشعرية التي تتألف منها القصيدة ، إذ تتوزع هذه الأسطر إلى محطات أو مجموعة من الأسطر الشعرية المنسجمة فيما بينها ، يفصل بينها الشاعر بعلامات ، أو أرقام ، أو عناوين فرعية ، أو أشكال ، أو نجومات ، أو مثلثات ، أو حروف ، أو مربعات ، أو بياضات ، أو فراغات. وتسمى كل مجموعة مقسمة مقطعاً شعرياً. وقد يتحدد المقطع الشعري بنوأة دلالية توحد بين أسطره ، أو جملة ، أو عبارة معينة ، أو لازمة تتكرر في بداية كل مقطع أو نهايته. ومثاله قصيدة "أرى شبحاً قادماً من بعيد" من البحر العروضي المتقارب للشاعر الفلسطيني المعروف محمود درويش إذ يقول:

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدُ

أُطلُّ على أصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً ،

وبعض الروايات والأسطوانات...

أُطلُّ على نورس ، وعلى شاحنات جنود

تغير أشجار هذا المكان.

أُطلُّ على كلب جاري المهاجر

من كندا ، منذ عام ونصف...

أُطلُّ على اسم "أبي الطيب المتنبي"

المسافر من طبريا إلى مصر

فوق حصان النشيد

أُطلُّ على الوردة الفارسية تصعد

فوق سياج الحديد

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريد

أُطلُّ على شجر يحرس الليل من نفسه

ويحرس نوم الذين يحبونني مِتّاً ..

أُطلُّ على الريح تبحث عن وطن الريح

في نفسها ...

أُطلُّ على امرأة تتشمس في نفسها ...

أُطلُّ على موكب الأنبياء القدامى

وهم يصعدون حفاةً إلى أورشليم

وأسأل: هل من نبي جديد

لهذا الزمان الجديد؟

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدُ

أُطلُّ على شبحي

قادما

من

بعيد...

وإذ نتأمل هذه القصيدة إن جازت تسميتها قصيدة نجدها تتضمن هذه الخصائص:

الشكل الطباعي: قسّم الشاعر النص إلى ثلاث مجموعات / مقاطع ، متفاوتة من حيث عدد الأسطر ، فصل بينها بمربع ، وبلازمة: أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدُ. وأما عن التفعيلات والإيقاع: كسر الشاعر البنية الكلاسيكية للقصيدة ، فلم يورد التفعيلات متقابلة كما في القصيدة التقليدية في نظام الشطرين (فعلون أربع مرات في كل شطر) ، بل جعلها متفاوتة العدد ونوع القافية (أريد ، بريد / نفسها نفسها). وأما عن البنية الدلالية: الملاحظ أن النص يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة هي: الإطالة ، تتجلى في: - (المقطع الأول): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ (المقطع هذا الثاني): أطل على شجر. - (المقطع الثالث): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريد. والوقفه العروضية اعتبر النقاد والشعراء القدماء البيت الذي يكون مستقلاً في معناه بيتاً جيداً ، يميز الشاعر المتمكن عن غيره ممن يسقط في عيب "التضمنين" ، بيد أن الشاعر المعاصر لا يخضع قوله وعباراته للهندسة الشطرية ، التي تتحكم بصرامتها في البيت التقليدي ، بل يقف حينما يكتمل المعنى الذي يريده ، والدفقة الشعورية والوجدانية التي تحكم تجربته. وهذه الوقفة لا تلتزم بانتهاء الوزن كما في الشطر التقليدي ، وإنما يضيف الشاعر الحديث على السطر الشعري نفساً إيقاعياً محدداً ونغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية ، وتعتبر بمثابة امتداد لأسلوب التقفية في القصيدة التقليدية ، وهذا ما يسمى بالوقفه العروضية. والوقفه الدلالية: هي وقفة تكون بانتهاء المستوى المعنوي والدلالي ، المرتبط بنفسية الشاعر ووجدانه والمعنى المراد التعبير عنه. وقد يكتمل الجانب الوجداني لدى الشاعر حسب تجربته الانفعالية ،

بيد أن البنية العروضية قد لا تكتمل ، فيورد تفعيلة تحقق الانسجام الإيقاعي في القصيدة. فمثلاً قال الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدة "حبر الغراب":

أنا أنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ

واحدٌ. لي ما عليك من الرماد ، ولم

نكنُ في الظل إلا شاهدين ضحيتين

قصيدتين

قصيدتين

عن الطبيعة ، ريثما يُنهي وليمته الخرابُ.

عندما نتأمل هذا المقطع من الناحية الإيقاعية نجد أنه يتضمن نغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية (كتابُ- الخرابُ ضحيتين - قصيدتين - قصيدتين) ، وهذه النغمة تحقق نفساً إيقاعياً بمثابة امتداد للتقفية في القصيدة الكلاسيكية. فتحققت الوقفة العروضية هنا بتكامل العناصر العروضية المكونة لها. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الشاعر فصل في السطر الأول بين لفظة "كتاب" ولفظة "واحد" التي هي صفة لها ، ولفظة "لم" مع الفعل "نكن" للضرورة العروضية فغلب الوقفة العروضية على حساب المعنى ، موظفا القافية / الروي الواحد (كتاب - خراب / ضحيتين - قصيدتين) لتحقيق الانسجام الإيقاعي في المقطع. - شعرية اللغة: إذا كان التشبيه والاستعارة في القصائد التقليدية يقومان على مماثلة شيء محسوس بآخر مثله محسوس (الصورة الشعرية المفردة) ، أو صورة محسوسة بشيء معنوي (الصورة الشعرية المركبة) ، أو تكثيف الصورة بعناصر متنوعة (الصورة الشعرية الكلية) ، لعلاقة أو لشبه بين المشبه والمشبه به ، فإن الصورة الشعرية في الشعر الحر تقوم على الانزياح التصويري ؛ في المفردات ، والتراكيب ، والعبارات الموظفة ، يتخذ مظاهر متعددة منها: الانزياح الدلالي ، والانزياح النحوي ، والانزياح العروضي ، تتجاوز ما هو مباشر ومألوف في اللغة ، إلى لغة متنافرة وتراكيب جديدة ومعان جديدة ، تُكسب النص الشعري إحياءات ودلالات قوية ، تستفز خيال المتلقي ، وتثير دهشته ليشارك في

بناء المعنى واستغوار لآلته ومعانيه. يقول أدونيس في هذا الصدد: "تتيح لنا الصورة أن نمتلك الأشياء امتلاكاً تاماً (..) فهي من هذه الناحية ، الأشياء ذاتها ، وليست لمحة أو إشارة تعبر فوقها أو عليها. وامتلاك الأشياء يعني النفاذ إلى حقيقتها فتتعري ، وتتلا في النور... هكذا تكون الصورة مفاجأة ودهشاً - تكون رؤيا ، أي تغييراً في نظام التعبير عن هذه الأشياء". تتجاوز اللغة لدى الشاعر المعاصر المؤلف والبدهي والتفريفي في التصوير ، إلى التنافر اللفظي في اللغة ، والتوظيف الرمزي لها ، وإسناد الأفعال البشرية للأشياء ، وخرق قواعد النحو والمعجم بعبارات تؤسس لمعاني جديدة ، تترك أثراً جمالياً وانطباعاً خاصاً لدى القارئ. فهي "تمنح ذاك الوهج التعبيري الذي يسيل إحياء وترميزاً ، ويتيح القفز والتحليق فوق الضفاف الحاملة" ، وتحقق دلالاتها بتكثيف المعنى والربط بين الصور المتباعدة دون اعتبار للحدود الزمانية **condensation** والمكانية. ولعل مظاهر تجليات شعرية اللغة ومعانيها وجماليتها ، تتحقق في مقطع عجيب للشاعر أدونيس في قصيدة "اثنا عشر قنديلاً لغرناطة" إذ يقول:

بيتٌ واحد للسماء والأرض

هنا ، بين المتوسط وسييرانيقادا.

الجبَلُ يضع يده في يد الموج

والبحرُ يتسلق نوافذ الشجر.

(...)

ضيقٌ هو الفضاء على عطر هذا التاريخ ،

ضيقٌ هو التاريخ على نكهة هذه الأرض.

اصعدُ أيها الشاعر ، إلى أبراج الأسنلة ،

اقرأ هواء الرياح ،

ودرّب شفّتيك على خمرة المعنى.

في هذا المقطع أكسب الاتزياح للمنجز النصي شعريته وخصوصيته ، إذ نلاحظ أن الشاعر تجاوز التشبيه المباشر والتعبير العادي المألوف إلى تصوير جديد ذي معان جديدة ، خلقتها مفردات متنافرة أدت المعنى بشعرية نادرة ، شخّصت عناصر الطبيعة الصماء وجسمتها ، وكأنها أناسي تتحرك وتحس كالإنسان ، فرسم صورة بديعة للفضاء الذي بين المتوسط وسييرانيفاذا: فجعل للجبل يداً وللموج يداً وكأنهما أخوان ، واعتبر البحر شخفاً يتسلق الشجر ونوافذه ، وهذه اللغة تزخر بالتنافر بين عالمين ، جمعت بينهما المكونات اللغوية بإسناد أفعال إنسانية لأشياء غير إنسانية: - فضاء ما بين المتوسط وسييرانيفاذا يبدو فيه الجبل (وهو مرتفع من عناصر الطبيعة + جماد) يضع يده في يد الموج ، والبحر (وهو فضاء مائي من عناصر الطبيعة + جماد) يتسلق نوافذ الشجر ، ووضع اليد (فعل إنساني يقع على جماد (الجبل) ، والتسلق (فعل إنساني يقع على جماد (البحر). فتحققت بذلك شعرية اللغة بانزياح دلالي أحدث توتراً بين الألفاظ والعبارات ، وإسناد فعل الإنسان / الوضع ، التسلق ، إلى عناصر الطبيعة (وضع الجبل لليد في يد الموج - تسلق البحر لنوافذ الشجر- عطر التاريخ - ضيق التاريخ - نكهة الأرض - أبراج الأسئلة - درب شفتيك - خمره المعنى) ، وباستعمال اللغة استعمالاً خاصاً ، يتجاوز التعبير المباشر المألوف والتقريبي.

- الرمز: لم يقتصر تجديد التيار المعاصر على الوزن والرؤيا والصورة الشعرية بل لاس كذاً آليات اشتغال المنجز النصي وأدواته الفنية ، وأهمها الرمز ، الذي يعتبر وسيلة لتوليد المعنى ، وتبليغ معاني اجتماعية وثقافية تجسد مواقف الشعراء ونظراتهم للكون والحياة والوجود ، يستحضرون فيه ما يتلاءم مع السياق الإبداعي الذي يخدم النص ، ويكسبه دلالات جديدة وإيحاءات جديدة تثير ذهن التلقي. يقول أدونيس في تعريفه للرمز: "فالرمز هو ، قبل كل شيء ، معنى خفي وإيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له. "- والشاعر الحديث يوظف الرمز بنقله من إطاره المباشر الضيق ، وسياقه السوسيوثقافي المتعارف عليه ، إلى معنى آخر مرتبط بتجربة الشاعر ورؤيته الفكرية ، تكتسب دلالات إيحائية جديدة. ويتخذ الرمز في الشعر العربي الحديث مظاهر متعددة ينهلها الشاعر من مصادر مختلفة منها:

الدين ، والتاريخ ، والطبيعة ، والأدب ، والأسطورة ، واللغة ، والفن. ولنضرب لذلك مثلاً بمحمود درويش في قصيدة عجيبة / ديوان "جدارية" حين يقول:

لا شيء يوجعني على باب القيامة

لا الزمان ولا العواطف. لا

أحس خفة الأشياء أو ثقل

الهاجس. لم أجد أحداً لأسأل:

أين "أيني" الآن؟ أين مدينة

الموتى وأين أنا؟.."

إن قراءتنا للجانب الدلالي لهذا المقطع لا يجب أن تتوقف عند الدلالة المعجمية السطحية للرموز الموظفة فيه فقط ، بل لابد أن تتجاوزها لتستوعب تجربة الشاعر ككل ، والسياق الذي جاءت فيه القصيدة ، ويتمثل هذا السياق في تحدي الشاعر للموت / هذا القاهر لكل موجود ، معلنا رفضه لسطوة الموت على الإنسان فوظف الرمز ليبرز رؤيته الكونية لهذا الواقع الحتمي ، فاستمد رمز (القيامة) من المعطى الديني الذي يدل على نهاية العالم الدنيوي وبداية يوم الحساب ، ليرصد استعداده للموت - وأهواله وسكراته - باعتباره بوابة للقيامة وأول ما يصادف الإنسان وهو على مشارف القيامة ، فعبر عن صموده أمامه ، وعدم خوفه من هواجسه. موظفاً كذلك الرمز اللغوي المتمثل في اسم استفهام "أيني" الذي تضمن خرقاً نحوياً (بإضافة ياء المتكلم إلى اسم استفهام) ، يوحي بفداحة السؤال التي لم تؤثر في وحدة الشاعر على عتبات الموت ، وكذا الرمز المكاني / مدينة الموتى - الذي يدل على معنى المقبرة - ليرمز إلى عدم تأثره بهذا الفضاء الذي يرتبط بالموت. ويتجلى الرمز كذلك في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمود درويش (وهو يعبث بالشعر ويلعب بقالبه وبحوره وقوافيه) في قوله:

"أطلُّ على اسم "أبي الطيب المتنبي"

المسافر من طبريا إلى مصر



فوق حصان النشيد

أطلّ على جذع زيتونة خبأت زكريا

أطلّ على المفردات التي انقرضت في "لسان العرب"

أطلّ على الفرس والروم والسومريين

واللاجئين الجدد .."

في هذا المقطع كثّف الشاعر النص برموز تنتمي لمجالات مختلفة ، فوظف الرمز الأدبي (أبي الطيب المتنبي) ، والرمز الديني (زكريا) ، والرمز اللغوي (لسان العرب) ، والرمز التاريخي (الفرس والروم والسومريين). ومن بين أهم الرموز فيما يسمى - زوراً وبهتاناً - بالشعر الحر نذكر على سبيل المثال وليس الحصر:

• آشور: مدينة عراقية قديمة كانت عاصمة للآشوريين خلال ق11 قبل الميلاد.

• المسيح: مخلص البشرية حسب العقيدة النصرانية.

• المرأة : رمز للأرض.

• الطوفان : رمز للثورة كما يمكن أن يكون رمزاً للتطهير والتجدد.

• لوركا: نجده مثلاً في قصيدة "لوركا" لمحمود درويش في قوله: "عفو زهر الدم يا لوركا وشمس في يديك .." ، والمقصود به كارسيا لوركا ، شاعر أسباني ورسام وعازف بيانو من أدياء القرن العشرين قتل في الحرب الأهلية الأسبانية.

• طاغور: نجده مثلاً في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمود درويش في قوله: " أطلّ على عقد إحدى فقيرات طاغور" ، وهو فيلسوف هندي وشاعر له شعر ومسرحيات ومقالات في الفلسفة والدين والسياسة ، تحدث في أدبه كثيراً عن الفقراء والفلاحين والبسطاء! وعموماً كان طاغور أقل سوءاً من هؤلاء.

- زرقاء اليمامة: امرأة في العصر الجاهلي ، يضرب بها المثل في حدة البصر شديد لها قومها برجا لمراقبة الأعداء على بعد ثلاثة أيام ، لكن الأعداء أقوا عليها القبض.
- المطر: قد يرمز للحياة والبعث والخصب كما قد يرمز للموت.
- الريح: ترمز للدمار والقوة.
- بابل: رمز تاريخي يحيل إلى حضارة بلاد الرافدين.
- سارق النار: يرمز للتضحية والخلاص والكفاح.
- أيوب: رمز ديني يرمز للصبر والتجدد ، كما كان عليه النبي أيوب عليه السلام في لحظة مرضه وسقامه.

- الأسطورة: ترتبط الأسطورة لدى الشاعر الحديث بتجربته الفنية والذاتية والجماعية ، فتضاف إلى باقي المكونات الفنية الأخرى (اللغة الشعرية والانزياح والرمز) لتضفي على النص جمالية ودلالات فنية وتعبيرية جديدة تتجاوز حدود المعطى الأسطوري وسياقها التاريخي والاجتماعي ، لتمد الشاعر بأبعاد أخرى قادرة على تشكيل دلالات وإيحاءات تصور قضايا واقعه ، ومشكلاته الكبرى وهمومه وانفعالاته النفسية ، فيلتفت إلى عالم الخوارق والموروث الحضاري والسوسيوثقافي والفرنطاستيكي والخرافي للأمم والشعوب العريقة ، فيتخذ الأسطورة وسيلة للتعبير الرمزي غير المباشر للواقع ، فينهل من روافد الأسطورة ، وينقلها من كونها مجرد حدث عابر ، أو تاريخ مضي ، إلى رؤية جديدة تصور الواقع الحاضر ، وتبلور مشاعره ومواقفه ورؤاه حول واقعه ، وترصد تجربته الذاتية العجيبة المفتراة بلون مغاير عما كان عليه الشعر القديم.

- ومن بين أهم هذه الأساطير العجيبة التي جنت حقاً على الشعر والشعراء نذكر:

- أسطورة الفينيق: وهو طائر جميل كالنسر ، يذهب إلى مصر في هيلوبلس / معبد رع (إله الشمس) كلما أحس بقرب أجله ، فينشئ محرقة موته بنفسه ، فيشعل النار فيها فيحترق فيها ويصير رماداً ، ثم يتكون من رماده فينيق آخر.

• أسطورة تموز: ترمز للحياة والخصب والانبعاث من جديد ، وهو إله مزعوم مفترى صرعه خنزير فقتله ، فبحثت عنه حبيبته "عشتار" فوجدته في العالم السفلي فقبلته وأعادته إلى الحياة. وهذه من الخرافات والأباطيل والضلالات!

• أسطورة أوديسيوس: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، تحكي قصة أوديسيوس الذي عاد من حرب طراودة ، فَصَلَ الطريق في البحر لعشر سنين ، فانتظرته زوجته "بينلوب" حتى عودته. وتلك خرافة تصح عند الإغريق الوثنيين

• أسطورة سندباد: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، وهو رحالة قام بعدة رحلات لقي فيها الأهوال والمخاطر. • أسطورة بروميثيوس: أسطورة التيه والعذاب الأبدى ، تحكي معاقبة كبير الآلهة "زيوس" لبروميثيوس الذي سرق نار الحكمة من السماء ، وأهداها إلى البشر في الأرض ، ليكون فيها خلاصهم وسعادتهم ، فسأط عليه نسراً يأكل كبده في النهار ، فَيُخْلَقُ مجدداً في الليل ليعذبه وهكذا دواليك ، ليعيش في عذاب أبدي. • أسطورة سربروس: أسطورة كلب عجيب الخلق ، له ثلاثة رؤوس مفتوحة الأفواه ، وتكسو شعره وظهره ثعابين مخيفة ، وهو يحرس مملكة الموت أو العالم السفلي. • أسطورة سبارتكوس: أسطورة الثورة والكفاح من أجل تحقيق الحقوق. • أسطورة شهريار: تحكي خيانة زوجة هذا الملك له مع عبد من خدمه ، وقتله لها ، فقرر أن يأتي كل ليلة بفتاة فيقتلها انتقاماً من النساء ، فلما جاء دور شهرزاد ، كانت تحكي له حكاية فتترك بقيتها إلى الغد ، وهكذا دواليك حتى كف عن قتل النساء ، بفضل شهرزاد. • أسطورة عشتار: إلهة الحب والخصب عند الأشوريين والبابليين. • أسطورة جلجامش: ملحمة سومرية تحكي رحلة البحث عن الخلود ، تتحدث عن ملك اسمه جلجامش ، يكرهه شعبه لأفعاله السيئة ، إذ يستخدم الناس ويستعبدهم لبناء سور عظيم ، فحصل على عشب سحري يعيده لمرحلة الشباب ، فقرر أن يأخذه لوطنه ، ويجربه على رجل عجوز ، لكنه في طريق عودته اغتسل في نهر ، فسرقت منه أفعى العشب ، ثم عاد صفر اليدين ، يشاهد السور الذي بناه ، ففكر بأن عملاً ضخماً كسوره هو أفضل طريق للخلود. • أسطورة سيزيف: حكمت عليه الآلهة المفتراة المزعومة بالشقاء الأبدى ، بحمل الصخور إلى أعلى الجبل ، وكلما وصل إلى الجبل أو كاد ، يهوي مرة أخرى فيسقط ، فيعيد حمل الصخور من جديد. • أسطورة أورفيوس: هو بطل أسطوري ، وهبته الآلهة مواهب موسيقية

يتميز بعذوبة صوته وجمال عزفه على الآلات الموسيقية وخصوصاً القيثارة ، نزل إلى العالم السفلي حيث الأشباح والآلهة لاستعادة زوجته ، فسحروهم بجمال عزفه ، واستعاد زوجته ، لكن اشترط عليه أن يمضي وزوجته خلفه ولا يلتفت إلى الوراء إلا بعد الخروج من العالم السفلي ، لكنه خالف هذا الشرط فكان مصيره أن اختفت زوجته. لقد أكسب تيار تكسير البنية وتجديد الرؤيا الشعر العربي الحديث دفقاً جديداً ، في معماريته وبنيته الإيقاعية والفنية واللغوية ، فشحنه بلغة إيحائية ورموز وأساطير مفعمة بدلالات غير دلالاتها المباشرة ، تكتفُ النص وتعطيه أبعاداً أخرى مفتوحة على تأويلات متعددة ، وقراءات مختلفة ، مما أفرز قارناً جديداً غير الذي عكف على الموروث الشعري القديم لآمادٍ ودهور طويلة ، فكان لزاماً على المتلقي الجديد أن يفتح على هذه التجربة الحديثة ، من خلال أبنيتها وأنساقها اللغوية والمعرفية). هـ. جزى الله خيراً الدكتور عدنان النحوي على هذا التحليل البديع الرائع! وجزى الله خيراً الناقد الأدبي المحترم الأستاذ محمد عباس عرابي على هذا التفصيل المستفيض. وجزى الله خيراً القائمين على مجلة (الأدب الإسلامي) ونفع الله بهذه المجلة العظيمة. وأحب هنا أن أضيف مداخلة تقييمية لكل ما سبق إirاده حول تكسير النص والبنوية وما وراء المجهول والمسرح العبثي وفكرة الآلهة المفتراة المدعاة ، كل هذا الهراء ، وكل هذا العبث سببه البعد عن الأدب العربي الأصيل والتغريد خارج السرب! سببه الترجمة عن الغرب ومحاولة محاكاته في كل شئ والانهزام أمام الغرب! إن لكل أدب أجروميته ومواده التي تتناسب مع لغته! فلماذا إقحام الأدب العربي في مزلق وعثرات الآداب العالمية؟ المهم أنني أردتُ برثائي لعيني على هذا النوع من اللاشعر ، وكان ذلك من باب المواكبة الصورية لجديد الفن ، وإن لم أؤمن به! تقول الأستاذة حُرّة طيبي في مقال عنوانه: (خطر الشعر العربي المعاصر على اللغة العربية) بتصرف دعت إليه الضرورة ما نصه: (يحاول بعض الشعراء وليس كل الشعراء – عن قصد أو عن غير قصد - تحطيم كل ما هو قديم متوارث ، من لغة وقيم وفن ... وليتهم يملكون – البديل. والمعروف كذلك أن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة ، بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة ، وما الصراعات التي نشاهدها اليوم بين الدول ، وأحياناً في الدولة الواحدة التي فيها أكثر من لغة واحدة ، إلا نوع من الصراع من أجل السيطرة والسيادة ليس إلا؟ فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي

أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار ، وتواصل عبر آلاف السنين؟ في هذا التساؤل تكمن إشكالية محاولة ضرب اللغة العربية ، بطرق وأشكال مختلفة من الداخل ، بإيعاز وتدبير محكم من الخارج ، إن العرب بفطرتهم مطبوعون على حب الشعر ، لأنه يغلب على أحكامهم الوجدان بحكم بداوتهم وأميتهم ، فأكسبهم ذلك التألق في الكلام ، وسرعة الحفظ وحضور البديهة ، فاتخذوه كما قال الجمحي "ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون" وأحلوه من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في الذروة ، وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر ، أو يحط من شأنها بين القبائل! حتى أصبح ذلك مضرباً للأمثال ، فقيل هذا "بيت القصيد". وإذن فالعرب لم يهتموا بفن من الفنون كاهتمامهم بفن الشعر ، يحفظونه ويروونه وينظمونه كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، فكان رفيقهم وأنيسهم في الحلّ والتّرحال ، في البؤس والشقاء ، في الحرب والسلم منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا. فكيف نسمح لأنفسنا ، بأن نرمي بكل هذا التراث الشعري الضخم ، المتراكم عبر الأجيال ، من خلال التلاعب باللغة واستهجانها والحط من قيمتها بحجة التطور والتجديد ومسايرة العصر؟ والحقيقة عكس ذلك تماماً كما هو واضح عند هؤلاء الشعراء المعاصرين أمثال) أدونيس (تكمن في ضرب اللغة العربية بهدف إضعافها ثم تقسيمها إلى لهجات محلية لقتلها والتخلص منها ، وليتهم وعوا أنهم بضربهم اللغة يضربون أنفسهم ولا يشعرون ، لأن في ذلك دعوة صريحة إلى الجهل ، بل إلى الاستهجان والاستهتار بتاريخنا وقيمنا وشخصيتنا وبكل ما نستطيع أن نفاخر به غيرنا من الأمم. واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مقدّمة اللغات التي نجحت في القيام بدورها الحضاري الرّفيع ، وارتقت بأمة من مجتمع الصحراء المتواري لتكون هي ولغتها قاندة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قروناً عديدة متوالية ، ويكفي في هذا المقام أن نتذكّر أنها شرّفت بحمل آخر رسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبين. إننا في عصر تحرص فيه اللغات الكبرى المُسيطرَة على التّهام اللغات المُنافِسة لها ، أو على أقلّ تقدير إضعافها وتفتيتها! وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى توظيف وسائل علمية وتعليمية وإعلامية ، تمّ إعدادها ودراستها بدقّة شديدة ، فيها مغريات كثيرة ، يتمّ من خلالها دسّ السمّ بإحكام ، في أنية العسل ؛ لتكون كالطعم يجذب لها المتلقي بوعي أو بلا وعي من أبناء اللغة المستهدفة ، فيتم تحقيق الهدف المرسوم

بسهولة ويسر. والقوى الكبرى التي تسعى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف ، تعرف أنها لا تُحارب فقط كلمات وقواعد وتراكيب ، وتراثاً شعرياً أو نثرياً ، ولكنها تُحارب ما يرمز إليه ذلك كله ، وتسعى إلى السَّيْطَرَة على مُقَدَّرَات أبناء هذه اللغة وثرواتهم ، واستقلال ذواتهم ، وصلابة قراراتهم ؛ لكي يكونوا لقمة سائغة في خدمة عجلات الإنتاج ومطامع التوسُّع ، لدى أصحاب اللغات المسيطرة. من المعرف أن الشعر أياً كان موضوعه يعتمد في ما يعتمد عليه ، على عنصر الخيال لتشكيل الصور التي هي من صميم التعبير الشعري ، لأن الشعر إذا خلا من الخيال والتصوير فليس بشعر ، وإنما هو ضرب من النظم. ولكن الخيال والتصوير الذي نغنيه هاهنا ، ليس الغموض والإبهام والتضليل والوهم الذي يمتلئ به شعرنا المعاصر. والذي نحاول جاهدين أن نفقه منه شيئاً في كثير من القصائد فلا نتمكن من ذلك. وإنما نعني ذلك التصوير الإيجابي الذي يعطي للمتلقي مجالاً واسعاً للتأويلات والاحتمالات ، للوصول إلى المعنى المقصود. ولأن الشعر مهما حلَّق في أجواء الخيال ، واسترسل في أفانين التصوير والبيان ، فإنه منطلق من الواقع ، من الحياة ، من شعور الإنسان وعلاقاته بالآخرين ، وبالكون الذي يعيش بين أحضانه ، ولا يأتي من عدم أو ينزل على الشاعر وحيّاً من السماء. لذلك فقد يؤدي الكلام على الأدب ، إلى الكلام على مرجعيته ، التي ساهمت في تكوينه وبلورته وإخراجه إلى الوجود ، ملوناً بألوان وأحاسيس الشاعر الذي أبدعه ، مصبوغاً بانفعالاته وعواطفه. لأن الشعر الحقيقي هو ذلك الذي تمتزج فيه ذات الشاعر بموضوعه ، فيغدو الشعر قطعة من ذات الشاعر فيها أحلامه وأمنيته ، وموقفه الذي يدعو إليه متلقيه ، وليس ذلك الواقع الجاف الذي يعرفه الناس على مسرح الحياة. وهذا الأمر لا يخص الشاعر وحده ، فحسب وإنما يخص كل فنان مبدع لفنه. إذ لكل ذي فن في الحياة أسلوبه وطريقته للتعبير عن فنه ، والإبانة عن ذات نفسه ، فالموسيقي بنغمه والمثال بنحته ، والمصوِّر بريشته ، والأديب بشعره ونثره ، وقد صدق شوقي حين قال: "أساطين البيان أربعة: شاعر سار بيته ، ومصوِّر نطق زيته ، ومثال ضحك حجره ، وموسيقي شدا وتره". ولا يغيب عن الذهن ، أن الفنان المبدع ، يخاطب في المتلقي العقل والوجدان معاً ، لإثارة انفعاله واستمالاته ، إلى تقبل الفكرة أو الموقف دون تردد أو روية. وبما أن الحقائق والأفكار في تجدد مستمر ، لا تجف ينباعها ، فمن الطبيعي أن تتشابه الأحداث والقضايا ، التي تشكل عناصر الشعر

ومن ثمة يصبح من الطبيعي تكرار المواقف وصور التعبير عنها ، ولكن بأدوات مختلفة وبمنظر مختلف ، وبألوان غير الألوان وهكذا. وهذا أمر بديهي ، أشار إليه كثير من شعراء العصر الجاهلي ، منهم عنتر بن شداد حيث قال: هل غادر الشعراء من متردّم؟ يشير هنا إلى أن الشعراء الذين سبقوه ، لم يتركوا شيئاً يصاغ فيه شعر ، إلا وقد صاغوه فيه. فالشاعر عنتر ، قد شعر بضيق من أزمة المواضيع ، التي تتيح للشاعر أن يقول فيها شعراً ، لتوصيل فكرته إلى المتلقي ، ولكن ذلك لم يثنه عن إبداع أرق الشعر وأجمل القصائد ، بلغة وأساليب من سبقوه من الشعراء ، دون أن يعلن الحرب عليهم ، أو القطيعة مع الماضي ، لا شيء سوى لأنه كان يمتلك الوسائل الكافية لقول الشعر. وما قلناه عن عنتر يمكن قوله أيضاً عن عمرو بن كلثوم صاحب المعلّقة الشهيرة "ألا هبي بصحنك" ، فهي مثل حيّ للتعبير الجميل واللغة الواضحة ، والصدق الفني في التعبير ، فإنها في الوقت ذاته جمعت بين المعاني وجودة السبك ، وحسن الصياغة وقضايا القبيلة ، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة مرموقة ، في نفوس قبيلة (تغلب) ، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، حتى غدت نشيداً قومياً لهذه القبيلة ، ظلت تفاخر بها القبائل جيلاً بعد جيل. ومع ذلك كله ، فهي لا تختلف عن نظام القصيدة المعروفة في ذلك الوقت ، من الناحية المعنوية أو الفنية. وربما تجديد الشاعر فيها ، يكمن في تعبيره عن قضايا قبيلته ، من خلال منظور ذاته وبيئته وعصره ، وتلك هي الحداثة أو المعاصرة ، وهي الأصالة في الشعر. وليست المعاصرة في الشعر ، هي أن يأتي الشاعر في شعره بأشياء مستعارة ، غريبة عن قومه ومجمعه وعصره وبيئته ، ويزعم أنه من دعاة التجديد والمعاصرة. وليس عيباً أن يحاول الشاعر مواكبة العصر الذي يعيش فيه ، ولكن بشرط أن يكون شعره معبراً عن مجتمعه وبيئته ، منطلقاً من ذاته ، لا مستعيراً ومشحوناً برموز وطلاسم لا يفهمها حتى هو بذاته ، بل العيب كل العيب أن يظل الشاعر متفوقاً في صومعته مغلقاً بابه على نفسه ، مكتفياً باجترار آثار القدماء ، في موضوعاتهم ومشاعرهم وبيئاتهم وأفكارهم: وهذا هو التخلف بعينه ، وهذه أهم الأسباب التي تفقد الشعر والشاعر ، قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي. فإذا أراد الشاعر المعاصر أن يرتقي بشعره ، إلى مرتبة المعلقات العربية التي لا نزال نرددها إلى اليوم ، ولا نمل من تردادها ، فعليه أن يعود إلى هذا التراث الثري ، ويعي جيداً تلك العلاقة التي كانت تربط الشاعر بقومه وبيئته وعصره ،



فضلاً عن الخصائص الفنية التي ساعدت هذا الشعر ، على البقاء والخلود عبر قرون طويلة من الزمان. وعليه أن يعي أيضاً بأن الشاعر ليس كياناً مستقلاً بذاته وإنما هو ابن بينته ومجتمعه وعصره. فالأديب وأعماله ثمرة قوانين عملت في القديم ، وتعمل في الحاضر ، وتظل تعمل في المستقبل ، وهو يصدر عنها صدوراً حتمياً لا مفرّ منه ، إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها ، وحسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر وإلزام. وكم من شاعر أراد أن يثور ، عن الماضي ويقطع صلته به ، ولكنه سرعان ما أحس بالفشل ، فعاد إلى حيث كان من قبل. وإذن فالشاعر كان هادياً ومرتبياً ومعلماً ، ومعبراً عن المشاعر والمواقف ، وساعياً إلى محاربة الشرّ والخرافات ونبذ الرذائل ، وداعياً إلى مكارم الأخلاق والفضائل ، وبناء المجتمع الراقى الذي يتذوق الفن ويقدر قيمته في بناء الحضارة ، وكل كلام يخرج عن أداء هذه الرسالة ، فهو ضرب من الوهم والهذيان ، حتى لو كان موزوناً ومقفىً. وما أكثر هذا النوع من الشعر ، في ما يسمى بالشعر المعاصر في الأدب العربي بشكل عام ، وفي الشعر الجزائري أيضاً ، فهو شعر لا علاقة له لا بالبيئة ولا بالمجتمع ولا بالعواطف الإنسانية ، ولا حتى بذات صاحبه ، بقدر ما يعبر عن الواقع الصادم للذات الشاعرة ، التي ولّت هاربة من الأصالة نحو الفوضى والاضطراب ، وعدم الرؤية الصحيحة للأشياء. أما أصحاب هذا النوع من الشعر ، فيمكن تقسيمهم إلى فريقين. أما الفريق الأول ، فيتبنى التجديد بسوء نية ، لأنه يهدف إلى تضليل الإنسان العربي ، وإفساد ذوقه ، وذوق الأمة العربية وتشويه إحساسها بالجمال ، وإضعاف اللغة العربية ، باستعمال الألفاظ الأجنبية والعامية ، أو استعمال اللفظة في معنى لا تمت له بصلة ، لا من قريب ولا من بعيد لإحداث التشويش في الفهم ، وتعقيد الكلام ، لتنفير الناس من العربية ، ويتم ذلك كله بدعوى التجديد والمعاصرة ومواكبة العصر. وأما الفريق الثاني ، فيتبنى هذه الموضة أو الموجة عن حسن نية ، ظناً منهم أنهم يمثلون عصرهم بصدق وإخلاص ، وأن كل ما يأتون به من تجديد ، في اللغة أو الصياغة أو الفكر ، فهو منتزع من روح العصر ، ويواكب الحركة الأدبية العالمية ، وكلاهما يؤدي في نهاية المطاف إلى هدم القيم العربية المتوازنة عبر الأجيال ، والتي يتميز بها العربي عن غيره من الأجناس الأخرى. وبتجريد العربي من هذه القيم الروحية والفنية ، يغدو إنساناً هجيناً ، يشبه الإنسان الآلي في سلوكاته وتصرفاته ، ومن ثمة يعجز عن تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويبقى تابعاً



في كل تصرفاته ، ومسارات حياته ، ويسهل انقياده إلى حيث يريدون اقتياده. والأمثلة من هذا الشعر كثيرة ، وكثيرة جداً ، وهكذا يمضي الشاعر المعاصر في نظمه على هذا النمط العبثي ، الذي لا يمت إلى فن القول بصلة ، لا هو شعر ولا هو نثر مفهوم ، وإنما هو نوع جديد من الهراء والهذيان والنعيق ، أو هو أكثر من ذلك. ولعل الهدف منه هو ملأ الساحة بالهذيان والضجيج ، حتى يزعم محبو الشعر ، ويضجون من كثرة الخشخشة والضجيج والسياح ، فيعلنون استسلامهم ويقبلون بما هو موجود في الساحة. وما قلناه لا يشمل الشعراء المعاصرين ، من الذين يحافظون على أصالة اللغة ، ويحترمون قوانين الشعر وقواعده ، ويقدمون قيمة الكلمة ، ويرفعون من شأن مشاعر المتلقي. وإلى جانب ذلك كله فالشاعر المعاصر، يدرك جيداً ، بأن الزيف والفساد ، قد استشرى ، وانتشر في كل مجالات الحياة اليومية ، وأن الأصالة تموت يوماً بعد يوم ، وجيلاً بعد جيل ، لأن هناك قوى ضاغطة من الزائفين والمرتزقة يخنقون كل موهبة أصيلة ، ويبدون كل عبقرية مضيئة ، عن عمد واضح مفضوح وبكل الوسائل. وهناك أسباب عديدة ، ساهمت في انتشار هذه الموجة من الشعر المعاصر بهذا المستوى المتدني للغاية ، ويأتي على رأس هذه الأسباب: غياب النقد ، والنقد هو الذي يسوق الإبداع ويوجهه ، فإذا وجد النقد ، فإن المبدع يعرف مسبقاً ، أنه - سيجد أمامه على طول الطريق ، أقلاماً مشرعة ، تتناول عمله بالفحص والمناقشة والتفسير والتعليل ، مما يجعله يقرأ ألف حساب لهذا النقد قبل إخراج عمله ، وفي الوقت ذاته يجعله في حالة تحصيل دائم لمادته الإبداعية. إذ أن هذه الأقلام تكشف له في واقع الأمر ما بداخله ، من مدى صدقه في التعبير عن القضايا ، ومدى قدرته على تقديمها للمتلقي. إن النقد في الحقيقة يفعل فعل السحر في نفس المبدع ، إذ هو ينير له في داخله مناطق كانت معتمة ، لا يراها واضحة في وعيه ، فيزداد بذلك الشاعر المبدع ثراءً وعمقاً ، وبفضل هذه المتابعة النقدية الواعية ، يتم تطور الشاعر في غده بأفضل مما كان عليه في أمسه ، فلا يتوقف ولا يكرر ولا يستبدل. كما أن النقد الواعي هو الذي يستطيع أن يفرز للمتلقي حقيقة معادن المبدعين ، وبهذا لا يبقى في دنيا الإبداع الشعري إلا العمل الناجح والموهبة الحقيقية. فلا مجال للزيف وسيف النقد وصلت على الرقاب ، ولا مجال للدعاء وعين النقد صاحبة. كم من أعمال نقدية أثارت الزوابع وأقامت الدنيا وأقعدها ، وكم من معارك أدبية وفكرية شغلت الصحف

والمجلات! وكم من شاعر ولد على أيدي النقاد الذين احتفلوا به وبشروا بمولده الفني! والعكس صحيح ، فالنقد ضمير المجتمع الأدبي ، وذوق الأمة. إن شعرنا المعاصر ، شعر مأزوم ، لقد أصابه العجز منذ البداية عن مواجهة المذاهب الشعرية العالمية المعاصرة ، فاستسلم لها ، ولكنه عدّ نفسه مخادعة للذات وتضليلاً لها جزءاً من تلك المذاهب ، فامتلاً بالغرور ، وزها بشعور الاستعلاء ، وراح يكتب ويترجم وينقل ، عن الغرب كل ما يصادفه من إبداع شعري وينسبه إلى نفسه ، فأدى ذلك إلى قطع الصلة بين الموقف الشعري المعاصر، ومسيرة الشعر العربي في مراحل تطوره ، وقطع الصلة مع الموقف الاجتماعي ، فكان هذا الانقطاع آية التخبط والاضطراب ، بل وشاهد صدق على المآل الكئيب الذي آل إليه الشعر المعاصر ، لأن هذا الشعر لم يكن نابعاً من حاجة المجتمع ، ولم يكن نتيجة تطور طبيعي للشعر العربي ، وإنما جيء به كما هو بزيه الأجنبي. إن كثرة وسائل الإعلام المسموع والمقروء ، والسمعي البصري ، وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى ، جعلت المتلقي حائراً إلى أين يتجه ، وماذا يختار منها. وكل هذه الوسائل تحاول أن تصل إليه بطريقة أو بأخرى ، في سباق محموم للاستيلاء على هذا المتلقي. وفي غمرة هذا الكم الهائل من الفضائيات والصحف والإنترنت والكتب والمجلات ، ضاع المتلقي ولم يدر ماذا يفعل ، ففتح باب بيته وصار يستقبل ما يصل إليه مجاناً ، دون البحث والتمييز بين الجيد والرديء ، بين الذي يفيد والذي لا يفيد ، بين الأصيل وغير الأصيل ، يفعل ذلك لأنه لا يدفع ثمناً مادياً لما يصل إليه ، ولكنه لا يعي بأنه يدفع ثمناً باهظاً ، يكمن في ضياع أصالته ، وكرامته وخلقه وذوقه وما إلى ذلك ، لأن هذه الوسائل ، معظمها لا يراعي الحفاظ على الوجود الصحي للمتلقي ، عقلاً ووجداناً وتدوقاً ، فإنسان العصر ضاع تحت ضغط هذا الكم الهائل ، من وسائل الإعلام المختلفة ، والتي تحيط به من كل جانب ، وتجرحه مع الحياة اليومية جرعات دائمة ، مما هو شبيه بالأدب والفن وهو ليس من الأدب والفن في شيء. ولعل ما نراه اليوم في الساحة العربية من التفرقة ، والتخاذل والضعف العام بل الانحطاط في جميع الميادين المعروفة ، هو لا شك حصاد وجماع ذلك كله).هـ. وتحت عنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصريف: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحث الفرد والمجتمع على اتباع الحق ، وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء ،

والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزاماً على المسلم أن يلتزم في سلوكه ومعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي من منظور إسلامي يُعنى عناية تامّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المجهر النقدي فيُخرج صالحها من خبثها. ولقد لزم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي الإسلامي حين أدركوا - عن قناعة تامة - أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس من خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي ، ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيّن على كل ناقد واع بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيرَّ العقلية العربية ، ورفع النظر من الأرض إلى السماء ، وعلمَّ الناس أن يقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة من إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة من إله فوق العالمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديداً فنظرت إلى العالم من أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضع كلها لإرادة الله - تعالى - وأعلنَّ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان ينظر بها الجاهلون وغيرهم من أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوّت كلمة "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر من هذا ، وكان لزاماً أن تتغيّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشعر والشعراء ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته وأن يكون له جانب روحي - كجانبه المادي - يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفة وخلقاً. ولكن الشعر الإسلامي في الحقبة الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إماماً غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قلبه ، وموضوعاته ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرَض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوز رقة اللفظ بدل خشونته ، وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامّاً ، وإنما يخصُّ الكثير من شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية يُعبّر عن شعر الجهاد الإسلامي فيصوّر معارك الفتوح الإسلامية ، ويزن الفضائل

الإسلامية بميزان الإسلام داعياً إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس داعياً إلى كريم الأخلاق وسمو الروح ، وعفة النسب ، وسماحة الأريحة ، وسخاء اليد ، ولنقف على كل شيء من هذه الخصائص في هذه المقطوعة من الشعر الإسلامي المعاصر الذي ورث الفضائل الإسلامية من إلهامات الشعراء في مختلف العصور الإسلامية التي اتخذت القرآن والسنة محراباً لشعرها وشعورها. وبعد أن سكب الشاعر هذه العاطفة الإسلامية المتوهجة في هذه المعاني الإسلامية مؤنباً ناصحاً لأنما كل مسلم ، محاسباً كان أو مسؤولاً عن المجتمع المسلم في كل أرض ، بعد أن تهدأ ثورة تجاربه الشعرية يأخذ في نفس طويل من الملحمة مُعدداً ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون المؤمنون على الإسلام ورسالة الإسلام. وتستمر أبيات الملحمة على هذا النسق بشعر يقرع جرسه الأذن ، ويملا الفم ، ويستثير العواطف ، ويلهب الوجدان والأحاسيس تحت مقاطع من عناوين الملحمة ؛ كتصوير الشاعر نكبة حزيران ، ومأساة فلسطين وجهاد الفدائيين ، وبيت القصيد في هذا الشعر الإسلامي يلهب الشاعر حماس الفدائي المسلم ليجعله - حربه وقاتله واستشهاده - في سبيل الله وله ؛ ليهبه النصر أو يهبه الشهادة في سبيله. وبعد ، فقديمًا قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه"؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صورته الشعرية على الخيال المجنح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشعري بعيداً عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحياناً في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقى في ثوب قد يُعري من الصحة ، ويتعكس الإبداع فيه إلى صورة مشوهة يمجها الذوق وينفر منها العقل وترفضها الفطرة السليمة ، وتلك المآخذ قد عري منها شعر الأستاذ حسين عرب في كثير من أبيات ملحمة ؛ ذلك لأنه في نزعه الإسلامية تقيد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام كل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صورته ومعانيه وأخيلته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقية لا تحتمل التأويل والتخييل المفرط. إلى قوله: واصبروا ، وانصروا الله واشكروه ، واثبتوا ولا تُخدعوا بسياسات أعدائكم ، واحذروا ، وامضوا في جهادكم لله أولاً ، ثم الوطن والحقوق. ومن خلال أفكار هذا النص الشعري للأديب حسين عرب ، ومن خلال نظرة الإسلام وتصوره الشامل للحياة يمكننا القول عن موقف الإسلام من الأدب بعامة ، ومن الشعر بخاصة: إن أول ما يحسن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء من النظم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة إبان العهد الجاهلي لتتضح الرؤية

في تحديد موقف الإسلام من الأدب عامة ومن الشعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام من الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة فإن هناك عادات ونظماً وتقاليد وأعرافاً وأخلاقاً درج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقر من هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وفق كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم. فمن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج وعادات في المهن والصناعات ، إلى جانب التمرس بأخلاق إيجابية وأخرى سلبية. فمن الأخلاق الحميدة: عزة النفس ، كره الذل ، بغض الظلم ، الترفع عن أخذ الدية ، إكرام الضيف ، حب السلام ، حفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفتشت في المجتمع الجاهلي: لهو الشباب ، قلع الشيوخ ، ابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، معاورة الخمر ، لعب القمار ، الدعوة إلى الثأر ، تأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاق ألوان من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله - تعالى - وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، التأثر بالحكم الصادقة وحب المشورة ، والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقر من هذه القيم ما يلي: حب السلام ، الشجاعة ، الإيثار ، الكرم ، صلة الرحم ، حسن الجوار ، مساعدة الفقراء ، حسن المعاشرة ، الحلم ، الصدق ، الأمانة ، الوفاء ، الرأفة بالحيوان ، التكافل الاجتماعي ، مقت الظلم ، حقوق المرأة ، الحقوق الزوجية ، برُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدرية النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حد سواء. وعلى الرغم من أن نقاد الأدب قد نادوا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظره إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسما بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يحجب الرؤية الأدبية من خلال الخيال الشعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فكلٌّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المعين الأول للأدب والقيم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام ميزة تفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء. وتلك المزية هي:

التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة ، وقد يلمح فيها القارئ - أحياناً - شيئاً من الزرابة بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكّرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع من المحذور والمنكور ، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقلال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين من البشر. وهذا يعني أن الأدب فنُّ جميل قوامه العقل والعاطفة معاً ، فلا يحسن أن يطغى جانب أحدهما على الآخر ، وها هو "العقاد" يناقش مسألة الفن الجميل من خلال المنظور الإسلامي - الذي العقل والعاطفة مادته - فيقول: إن كثرة الأنصاب والتمائيل في المعابد والصوامع والبِيع ليست بالقياس الصحيح لنصيب الفنون الجميلة من الدين الذي يُدان به في المعبد أو البيعة ؛ لأن المعابد الوثنية كانت تتسع للأنصاب والتمائيل ، وليست بالنموذج الصالح للأديان في الهداية إلى معاني الجمال والحض على الفنون الجميلة ، وهي في جملتها لا تخلو من العبادات البشعة والشعائر القبيحة ، والعقائد التي لا تجتمع والجمال في شعور واحد. إنما يُقاس نصيب الفن الجميل من الدين بالنظرة السوية المُعتدلة إلى الحياة ، فلا يُقال عن دين إنه يُحيي الفنون الجميلة أو يتقبَّل إحياءها إذا كانت له نظرة زريّة إلى الحياة ، وكان ينظر إليها كأنها وصمه زريّة ، وإلى الجسد



ومتاعه كأنه رجب مردؤل وانحراف بالإنسان عن عالم الروح والكمال ، إن هذا ليس من الجمال في شيء. والإسلام - وهو يرفع حقوق الجمال والاستمتاع به - قد انفرد بقبول نعمة الحياة وتزكيتها والحضّ عليها وحسبانها من نعمة الله التي يحرم على المسلم رفضها ويؤمر بشكرها ، والتفكير في آلائها: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيصًا لِلنَّاظِرِينَ) ، (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَئِيصًا) ، ثم إن الجمال بمفهومه الواسع يكون في الصورة والمشهد واللمس والذوق والتمييز بين الأشياء ، ويكون في المظهر والمخبر ، والصوت الحسن ، ناهيك عن ترتيل القرآن الكريم من ذي الصوت الحسن الجميل ، قد أتيح للمسلم الترتيل القرآني وطولب به ؛ (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ \* فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ، ولا أعذب ولا أجمل من صوت القرآن يسري في الوجود مع سكون الليل).هـ. غير أنني عندما كان ذلك الحادث الفظيع أخذتني رعدة الشعر وعزمت أن أرثي المقلّة البائسة بكل بحور الشعر العربي: أصيلها ومولّدها ، وقد فعلت وبصعوبة حتى وصلت للنوع المعاصر هذا ، وهو ما يسميه الناس في لغتهم الأدبية بالشعر الحر فقلت في نفسي: أكتب أرثي عيني على نمطه مع عدم اقتناعي - سلفًا - بتسميته شعرًا ، فكانت هذه القصيدة «قراءة في أوراق الماضي» ، ذلك أنني تذكرت الماضي السحيق الراحل. ولم يشأ الله أن تكتمل هذه القصيدة إلا بعد سنة كاملة تقريبًا. وأكرر أسفي واعتذاري للشعر العربي ، وأبرأ من كل ما يسمى بـ : شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر المنثور أو النثر المشعور أو الشعر الحر أو حتى الشعر الحديث أو الشعر الرومانسي أو الشعر المتحرر ، كما اعتذر لقرائي الأحبة من عشاق القيم والمبادئ والشعر العربيّ الأصيل ، وإنّ هي إلا محاولة لرياء المقلّة البائسة فقط ، فلما رثيتها وبكيتها على البحور العربية الأصيلّة ، بدالي أن أبكيها على البحور المولدة الدخيلة أو ما يعرف بمقلوبات البحور! وأعود للصبر والتصبر والاصطبار فأقول بأن صبري مع شعري كان وسيلتي في المواجهة! قال الأستاذ أسامة عبد الله خياط في معرض حديثه عن الصبر والتصبر ما نصه: (ومن رحمته سبحانه لعباده أنه لا يتابع عليهم الشدائد ، ولا يكرههم بكثرة النوائب ، بل يعقب الشدة بالسعة والرخاء ، والابتلاء بالرحمة وسابغ النعماء ، فقد تكرر (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) :- كما قال - عز وجل

اليسر بعد العسر مرتين ، ولن يغلب عسرٌ يسرين ، وحيثما وجد العسر على تنوع ألوانه واختلاف دروبه ، وجد إلى جانبه يسرٌ ينفث الكربة ويجبر القلب ، ويواسي الجراح وينسي الآلام ، ويذهب الأحزان خاصة حين يلجأ المؤمن في شدته وبلائه إلى ربه ، ويسأله أن يبدله من بعد شدته رخاءً ، ومن مجالب ما أصاب عبداً همٌّ ولا : أحزانه وبواعث همه فرجاً ويسراً ، كما جاء في الحديث حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ في قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيعاً قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه ، وأبدله أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح. فاتقوا الله -عباد الله- "مكانه فرحاً وحذارٍ من اليأس من رَوْحِ الله ، واستيقنوا بالفرج القريب العاجل من الله الرحيم الرحمن ، فما الشدائد والابتلاءات والمحن إلا خطوةً على الطريق إلى تحسين الأحوال ، وقفزةً إلى رخي العيش وبلوغ الآمال ، مع ما فيها من تمحيص وتكفير للسينات ، ورفع للدرجات).هـ. والآن لنطالع قصيدة قراءة في أوراق الماضي!

يَا شَامَةَ وَجْهِي ، يَا أُمْنِيَّتِي ، يَا جَوْهَرْتِي ،

يَا أَسْرَتِي ، يَا مَفْخَرْتِي: «يَا ذِي الْعَيْنِ»

أَنْتِ الدُّرَّةُ ، أَنْتِ الحُرَّةُ

أَنْتِ لَعْلٌ وَلَيْتٌ وَكَيْفٌ وَمَاذَا وَأَيْنُ

أَنْتِ البَسْمَةُ ، أَنْتِ الأمل الدافئ في آناء الضَّيْمِ

لَأَنَّكَ عَيْنٌ

أَنْتِ النُّورُ ، وَأَنْتِ الفَجْرُ

وَأَنْتِ حَيَاتِي: يَا ذِي الْعَيْنِ

وَأَنَا لِفِرَاقِكَ مُلتاعٌ ، مَكْسُورُ الخَاطِرِ

بَاكِي الْعَيْنِ



وبكُلِّ بُحُورِ الشَّعْرِ بَكَيتُ  
وتَلَطَّيتُ ، غزائي الشَّيْنُ  
بالْبَحْرِ الكَامِلِ ، كانَ بُكائي  
وكذا بالوافر ، والمُتقاربِ ، كُنْتُ بَكَيتُ  
وكذا بالرَّمْلِ بَكَيتُ ، وكذا بالهَزَجِ بَكَيتُ  
وتَحَدَّيتُ بُحُورَ الشَّعْرِ ، وتَلَطَّيتُ بوَزْنِ الجَمْرِ  
وكذا عانَيْتُ بكلِ رَوي  
وعَلا في قَلبي كُلِّ دَوي  
قافيةً تَحطُمُ قافيةً أُخرى  
لأعزِّي بالشَّعْرِ - جميعِ الشَّعْرِ - ضياءَ العَيْنِ  
حتى بالشَّعْرِ الحُرِّ المُوغِلِ في غِيايَةِ جُبِّ الزَّيْفِ  
بَكَيتُ العَيْنِ...  
وكذا باللاشعرِ بَكَيتُ...  
ما كُنْتُ أَفكِّرُ في هذا أَبداً  
ما دارَ بخلدي ، لم يَطْرُقْ - يوماً - ذاكرتي...  
أَنْ أَكْتُبَ لا شِعْرَ ، وأزعمُ أَنِّي أَكْتُبُ شِعْراً...  
أَنْ أَمسَحَ شِعْرَ المُتنبِّي...  
أَنْ أَطعَنَ بالكَلِماتِ جَرِيرَ أوِ الخُنُساءِ...  
أَنْ أوْغَرَ بالألفاظِ مَعينَ زُهَيْرِ وابنِ المُفْري...  
ولقد ساءلتُ الماضيَ عنكَ مِراراً...  
فتجاهلني أوَّلَ مرَّةٍ... وتحَداني ثانيَ مرَّةٍ...  
فاستعطفْتُ الماضيَ قلتُ: تمهلْ ، هذي ثالثُ مرَّةٍ...

مُدَّ وَقَعَ بَعَيْنَ الشَّهْمِ الْحَيْنِ...  
فَإِذَا الْمَاضِي يَضْرِبُ كَفًّا فَوْقَ الْكَفِّ بِقَسْوَةٍ...  
وَيَقُولُ: تُسَائِلُنِي عَنْ عَيْنِكَ هَذِي ، عَجَبًا...  
مَا عَلِمِي؟ يَا هَذَا قَلِّ لِي: مَا تَجْرِبْتِي؟ مَنْ أَعْلَمَنِي؟...  
أَيَّامُ الْمِحْنَةِ وُلَّتْ تَبْكِي... وَكَذَا الْمُقَلَّةُ تَبْكِي  
فَاحْمَلْ عَيْنَكَ فَوْقَ جِبَالِ الصَّمْتِ...  
وَدَعْ الْمَاضِي فِي حَيْرَتِهِ...  
وَاسْتَقْبَلْ أَمْرَكَ يَا هَذَا ، وَانْهَضْ فَالْأَيَّامُ تَمُرُّ مُرُورَ الطَّيْفِ  
كُفَّ لَعَلَّ ، وَلَيْتَ ، وَأَيْنَ ، وَكَيْفَ....

---

طَالَعْتُ الصُّورَةَ يَا عَيْنِي...  
فَتَضَايَقْتُ كَثِيرًا جَدًّا ، وَتَمَلَّمْتُ ، وَتَعَسَّرْتُ...  
وَأَخَذْتُ النَّفْسَ بِنُورَتِهَا ، وَأَخَذْتُ الرُّوحَ بِأَهْتِهَا  
وَأَخَذْتُ الْقَلْبَ بِطَعْنَتِهِ ، وَبَكَيْتُ كَثِيرًا ، وَبَكَيْتُ...  
وَطَفَقْتُ أَسَانِلُ أَقْلَامِي ، وَكَذَا أَرْتَادُ قِرَاطِيْسِي...  
وَأَحَاكِمُ فِي كُلِّ سُفُورٍ وَجَلَاءِ كُلِّ غُبُوسِي ، وَمَتَارِيْسِي...  
وَأَزْمَجُرُ: أَيْنَ حَيَاتِي يَا أَقْوَامِي ، وَأَحَاسِيْسِي...  
ثُمَّ مَشَيْتُ عَلَى آلَامِي ، حَتَّى أَدْمَنْتِي آلَامِي...  
وَمَشَيْتُ كَثِيرًا فَوْقَ الْأَمَلِ الدَّامِي هَذَا ، ثُمَّ مَشَيْتُ...  
جِسْرُ الْأَحْزَانِ وَزُورْقُهُ ، وَالْمَوْجُ عَلَى حُزْنِي يَطْفُو...  
وَأَنَا الْمُسْتَهْدَفُ يَا قَوْمِي...  
وَالدَّمَغُ إِلَى قَلْبِي يَهْفُو...

والصورة هذي في المرآة تُعذبني...  
تَكوي - في مَلْهَبَةِ اللوْعَةِ - رُوحِي...  
ثُمَّ تُعَبِّئُ فِي خَلْجَاتِ النَفْسِ كُلِّ جُرُوحِي...  
وَحَزْنَتْ عَلَى شَعْرِ الْمَاضِي الْمُوْغِلِ فِي أَعْمَاقِي...  
حَيْثُ الشَّمْعَةُ ، تَتَلَوُ الشَّمْعَةَ...  
لَا حُزْنَ عَلَى قَلْبِي أَبَدًا...  
فَالقَوْمُ - جَمِيعًا - عَوَّادِي...  
فَعَلَامَ الْحُزْنِ؟ وَفِيمَ اللوْعَةِ؟ إِنِّي رَجُلٌ أَحْمِلُ زَادِي...  
لَوْ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ، نُورِي عِنْدِي..  
وَالأَصْدَاءُ هُنَاكَ خَلْفَ سَرَابِ العُمُرِ تُنَادِي...  
وَالخِلَانِ عَلَى مَوْعِدَةٍ ، وَكَذَلِكَ قَلَمُ الشَّعْرِ يُنَادِي...  
إِنَّ خِذْلَ الأَهْلِ ، فَعِنْدِي كُتُبِي...  
هُمُ أَصْحَابِي هُمْ خِلَانِي ، بَلْ فِي مِيدَانِ الحَرْبِ جِيَادِي...  
بَلْ ، وَاللَّهِ أَرَاهُمْ أَفْضَلَ فِي مِيزَانِي مِنْ أَصْحَابِي...

---

عُدْتُ - بِكُلِّ الذِّكْرَى - عَشْرَ سِنِينَ...  
فَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي الأُولَى...  
وَتَقَلَّدْتُ يِرَاعِي ، رُحْتُ أُعْنِي...  
أُخْفِي كُلَّ مَرَارِ العُرْبَةِ مِنْ قُدَّامِي  
إِنَّ مَرَارَ العُرْبَةِ يَكُونِي كُلَّ ضُلُوعِي...  
يُطْفِئُ - رِغْمَ الأنْفِ - شَمُوعِي...  
يُغْلِنُ - وَسَطَ النَّاسِ - جَمِيعَ النَّاسِ ، خُضُوعِي...

لا يجعل يدي الطولى أبدأ...  
فتذكرت الشاطي في قريتنا ، عند هجوم العصر  
والشص الضاحك في يدي اليمنى يرْمُق سَمكة...  
والتوت المتدلي في ماء النهر هناك بأرض العُمدة...  
ناداني ذاك التوت بصوت عالٍ يخرق سمع الدنيا...  
هيا أقبل ، اقطع واهرب ، فالعمدة في قيلولته صيف...  
فسمعت كلام التوت ، وسرت إليه بسرعة...  
وركبت لتوي تلك الشجرة...  
ويحي ، ذهبت بسنا عقلي الفكرة...  
وكسرت الفرع بسرعة ، وكذا الغصن بكل القوة...  
مسكين غصن التوت هذي...  
أحدثت عند ركوبي ضجة ، وكذا عند الكسر الصامت ضجة...  
عند نزول التوت كذلك ضجة...  
فصحت كل كلاب العُمدة...  
ثم انهالت - فوراً - فوق الظهر السارق سوط العُمدة...  
وأتى عند العُمدة في خيمته جسم العُمدة...  
وعفا العُمدة لكن بعد ضياع الوقت...

---

وتذكرت البسمة في أعماق فوادي...  
واليوم تحشرج صوت البسمة في أعماقي...  
يقبل رمضان ، ولا أدري...  
أتظن الدمعة في عيني...

وأَسائلُ نفسي: كيفَ يمرُّ الشهرُ علينا...  
وَتَمزَّقَ بينَ ضلوعي سُؤلي ، أبكي أَلمي...  
وأُحِبُّ - في طيَّاتِ فوادي - كلَّ ظُنوني...  
وأسيرُ فلا ألقى - خلفي - غيرَ دموعي...  
والدمعةُ خلفَ الدمعةِ تبكي...  
حتى الجفنُ حزينٌ يبكي...

---

يا عينُ تَعَذَّبْتُ كثيراً ، وتسامتُ في القَلْبِ البَلْوى  
وظفقتُ أفتشُ ذاكرتي  
وأَسائلُ عَاطفتي دوماً ، وأعللُ نفسي بالشكوى  
وأناجي في الدربِ الأَملا ، وأراجعُ كلَّ أحاسيسي...  
لَكِنِّي حَنَفْتُ النَجْوى  
لم أَسبُرُ أغوارَ شِقائِي...  
وتبعثَرُ في الظِّلِّ المَأوى  
وَعَدَّتْ أحلامي أُخيلَةً  
وخبَّتْ في الأطلالِ نُجومي  
وأصابتها تلكَ العَدوى  
أَمَّا الرُّوحُ فما أشقاها!  
عَرَقَلِ سَيْرَ الرُّوحِ طُمُوجِي...  
شَجِبَتْ رُوحِي القَوْسُ العَطْوى  
وطوتها الأوضاعُ الشَّجْوى...  
قد كُنْتُ أَعيشُ ، ولي أملٌ...

يا عينُ تَدُورَ ذاكَ الأملِ...  
وأنا مُلقَى فوقَ تلالِ المِحنَةِ أطفُو...  
وَخَدِي أَشْكُو...  
وعلى سَنُوكِ سُهَادي أَقْضي عُمرِي  
وعلى جَمْرِ خِيانَةِ صَحبِي أَقْضي عُمرِي...  
وعلى رَغمِ تَحشِرجِ قَدَمِي أخطُو  
وعلى صَرَخَةِ أَلَمِي هَذي ، أَصَبَحَ غَيري يَجْني ثَمَري  
وعلى أَناتِ جِراحي ، وَعَلى مَرايَ مَنِّي يَلهُو...  
أَمّا الصَّحْبُ فَخانوا عَهْدي  
وهجِيراً عَمالَتَهُم يَسعَى فوقَ جِبيني ، وبِلا تَقوى...  
إنَّ نفاقَ صَحابِي يَسرقُ فَجْري...  
يَسرقُ كلَّ الشَّعرِ المُلقَى في ذاكِرتي...  
يَذبحُ عِزَّةَ نَفْسي...  
لا يَنسى أَنِّي - يَوماً - كُنْتُ صَريعَ العِزِّ...  
يَعتَبِرُ كَلامي الفِصلَ لَه هِزلاً  
هَلْ مِثْلي - يا مُتَحَرِّصُ - يَلغو؟  
آه ، عَكَرَ سُمُّ نِفاقِكَ كُلَّ الجَوِ  
وأراكِ لَكلِّ هُراءٍ تَرنُو  
وأنا بِالدَمعَةِ أخلُو  
وأعْبى كلِّ نَحِيبِي في حَنجِرةِ الوَهْمِ ، وأدْعُو  
أَنْ ياأخْذَكَ اللهُ بِكلِّ نِفاقِكَ كي لا تَزهو  
ويُبددَ صَوْتَكَ في هَذي الدَنيا كي لا تَتلُو

إِنَّ تِلَاوَةَ مِثْلِكَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِلْحَادِ  
يَا مَوْتًا فَوْقَ جَبِينِ الْأُمَّةِ يَجْتَنُّو  
لَنْ تَسْلَمَ مِنْ ذَنْبِ الْمُقْتَلَةِ هَذِي أَبَدًا  
أَنْتِ سَفَكْتَ دِمَاءَ الْعَيْنِ  
وَمَاءَ الْعُمُرِ وَنُورَ الْهَدْيِ  
وَعِطْرَ الْوَحْيِ وَزَادَ الطُّفْلُ  
وَحُبَّ الزَّوْجِ وَقُوَّةَ الْأَهْلِ لِتَسْمُو...  
وَسَمَوْتَ ، وَلَكِنْ فِي بَوْتَقَةِ الْوَحْلِ  
وَأَنْصَهَرَتْ كُلُّ رِمَاحِكَ فِي مَهْزَلَةِ الْهَفْوَةِ  
وَعَرَفْتَ بِبَحْرِ الْعَبْوَةِ  
وَعَلْتِ فَوْقَكَ - يَا مَغْرُورُ - الرُّعْوَةَ  
وَطَغَيْتِ عَلَى الضَّعْفَاءِ كَثِيرًا  
وَكَذَا حَرَفْتَ جَمَالَ الدَّعْوَةِ...  
وَحُسِبْتَ - بِكُلِّ الزَّيْفِ الْمَاسِخِ - مِنْ أَعْمَدَةِ الصَّخْوَةِ...  
وَزَعَمْتَ بِأَنَّكَ - فِي عَالَمِنَا - أَسْوَةٌ  
وَأَرَاكَ زَرَعْتَ الْفَجْوَةَ  
وَذَبَحْتَ إِبَاءَ الصَّفْوَةِ  
وَأَثَيْتِ فِعَالًا لَا تَرْضَاهَا فِي الْأَحْلَامِ وَلَا الْأَزْمَاتِ النَّسْوَةَ...  
دَمَّرَ مِينَاءَ صِدَاقَتِنَا...  
وَاعْسَلْ بِالنَّارِ مَوَدَّتِنَا ، وَأَخُوتِنَا ، وَعِلَاقَتِنَا...  
وَاعْرِسْ أَشْرَعَةَ الْوَهْمِ بِنَارِ الْعُرْبَةِ هَذِي  
وَادْبِخْ بِالسَّكِينِ الْكَاذِبِ كُلِّ وَرِيدِ عُدْرِي

إي والله: كلَّ ورِيدٍ كَانَ يَضْحُجُّ الدَّمَّ بِقَلْبِ الْكَبِيرِ  
وَحَدَّكَ تَبْقَى كَالْيَرْبُوعِ أَسِيرِ السَّخْرِ  
وَأَنْشُدْ فِي أَوْبَاشِكَ هَذَا خِلَاءَ غَيْرِي...  
مَا عُدْتُ قَمِيصًا تَلْبَسُهُ سَاعَةً تَرْضَى  
مَا عُدْتُ طَعَامًا تَأْكُلُهُ سَاعَةً جُوعَ ، يَا قَاتِلَنَا...  
مَا عُدْتُ شَرَابًا تَشْرَبُهُ سَاعَةً عَطَشٍ حَتَّى تُرَوَى...  
فَابْحَثْ عَنِ مَرْكَبَةٍ أُخْرَى...  
جَفَّفْ دَمْعَ الْأَفْعَى ، وَاصدُقْ نَفْسَكَ  
قَبْلَ مُنَاشِدَةِ الْغَيْرِ التَّقْوَى ، نَاشِدْ قَلْبَكَ...  
لَا تَلْبَسْ - يَا هَذَا - لُبْسَةَ غَيْرِكَ...  
لَيْسَ يُنَاسِبُ هَذَا الْمِعْطَفُ قَدَّكَ...  
لَيْسَ يُنَاسِبُ أَبَدًا دَوْرَكَ...  
صَدَقْتَنِي ، لَيْسَ يُنَاسِبُ حَتَّى شَكْلَكَ...  
صَمَمَكَ هَذَا مُوسَى يَوْمًا سَيُحِطِّطُهُ ، سَيَدْمُرُهُ ، سَيَحْرِقُهُ...  
خُذْ غَلْيُونًا وَقَلْنَسُونَ لِنَاسِبِكَ الدَّور...  
وَاصْعِدْ خَشْبَةَ مَسْرَحِ مَنْ أَلْهَتْ...  
خَفَّفْ وَطَأْكَ فَوْقَ أَدِيمِ الْأَرْضِ  
أَنْتَ هَتَكْتَ الْعِرْضَ ، وَصَعَقْتَ دِمَاءَ الْفَرَضِ  
وَسَفَكْتَ هَزِيمَ الْوَمَضِ  
وَقَتَلْتَ هَتِيفَ الْفَيْضِ  
حَرَمْتَ عَلَيْنَا الْعَمَضِ  
رَبِّي يَحْرِمُكَ الْحَوْضِ!



وأجدتْ فُنونَ الحَرْبِ ، وحِيلَ البأسِ...  
وبذرتَ على دَرْبِي ودُروبِ الناسِ الرُّجسِ  
وزعمتَ لنفسِكَ أنك فوق النَّدَدِ  
أتحوَّلَ قلبُكَ صخرًا عبْرَ الدَّرْسِ؟!  
ساعةٌ قيلَ لك: الزم أدبَكَ ، كُنْ مُحْتَرَمًا  
عُدتَ إلينا ، وبلاَ حَجَلٍ تبكي مثل الأنتى...  
ورأيتُكَ مهزومَ النفسِ تُعاني...  
ونصحتُكَ ساعتها ، لكنْ لم تَسْمَعْ مِنْ كلماتي حَرْفًا...  
آه مِنْ أفعالِكَ هَذِي ، إِنَّكَ قد أهدتَ الجَرْفًا...  
ولويتَ ذراعَ الحرفِ ، فحَلَفَ حَرْفًا...  
آه ، قد حَطَّمَك الفِلسِ  
مِسْكِينٍ فِي عَقْلِكَ فِعْلًا ، أينَ العِلْمُ الجَمُّ تَوَلَّى؟  
كيفَ نَسيتَ بكلَ العَمْدِ ظلامَ الرَّمسِ؟...  
حتى كانتَ مَحْنَةُ عيني...  
أدرِكتَ بأنَّكَ قد أدنبتَ...  
طاوعني: حَبِيئُ حُزْنِكَ فِي جُمُجْمَةِ اليأسِ!...  
وأنا سوفَ أسيرُ بدربي وَحْدِي...  
وأواجه كلَّ رِياحِ الحَيْرَةِ وَحْدِي...  
وسأصنعُ فَجْرَ الأملِ الدامعِ وَحْدِي...  
وسأكتشفُ كلَّ نِفاقِ الصَّحْبِ ، أيضًا وَحْدِي...  
وَحْدِي سأحطِّمُ كلَّ رِمَاحِ الغدرِ  
وَحْدِي سَوفَ أديفُكَ نارَ الحسرةِ بالأشعارِ

وتموتُ كما ماتَ أبو لَهَبٍ كَمَدًا...  
وسأموحُ زَيْفَكَ مِنْ أَفئِدَةِ النَّاسِ  
فوراءك قلمي يا ابنَ سلول ، والدَّهْرُ طَوِيلٌ

---

والصُّمْتُ القاتِلُ يذبحُ بِأَسِي...  
ويُعرفُ في أعماقي هَمْسِي...  
ويُسربلُ - في طياتِ المحنة - نفسي...  
وأسائلُ: كيف يسودُ ضبابُ الزَّيْفِ؟  
وأحاربُ كلَّ خُيوطِ الطَّيْفِ...  
وأعزِّي عيني رَغَمَ سَرابِ الخَوْفِ...  
وأجففُ دَمها عبرَ جحيمِ الحَيْفِ...  
وأمدُّ يدي مغتربًا ، مِثْلَ قُدومِ الصَّيْفِ...  
وأسائلُ: يا عيني ، ماذا حلَّ ، وكيف؟  
والحادِثُ هذا فَجَرَ عَبرِ الليلِ الأَلَمِ...  
وَلَدٌ - في إحساسِي - السَّأَمِ...  
أوجدُ في وجهي السَّقَمِ...  
حوَّلَ إنساني صَنَمًا...  
صَعَدَ - عبرَ الليلِ - الحَمَمِ...  
أحدثُ في الدربِ الخَطَبَ العَمَمِ...  
حَطَمَ في أجواءِ الشُّعْرِ القَلَمِ...  
أشمتُ فيَّ اليومَ العَنَمِ...  
والعينُ تُعَبُّ في جَعَبَتِها قَيْحَ ظُنونِي...

تَتَشَاءُ مُنْ إِنْ أَبْكَانِي بَعْضُ حَنِينِي...  
وَتُسَائِلُنِي: أَيْنَ يَقِينِي؟  
ووثباتي أينَ ، وأينَ سُكُونِي؟  
ولماذا لَمْ أَمْحَقْ كُلَّ شُجُونِي؟  
وأجيبُ على عيني وَجِلًا:  
صبرًا يَا عَيْنُ فَهَذَا قَدْرِي...  
وَرَجَعْتُ بِذَاكَرَتِي ، أَبْكَي كُلَّ شُنُونِي.....  
وَشَرَدْتُ بِذَهْنِي خَلْفَ سَرَابِ الْبَحْرِ...  
وَعَلِمْتُ بِأَنَّ الْعَيْنَ تَهَاوَتْ تَحْتَ رِمَاحِ الْقَهْرِ...  
وَالدَّمْعُ الْهَادِرُ لَيْسَ يُعِيدُ لِعَيْنِي الْبَشْرَ...  
وَالْمَوْجَةُ بَعْدَ الْمَوْجَةِ تُغْرَقُ كُلَّ أَرِيحِ الشَّعْرِ...  
وَالْمِحْنَةُ تَلَوُّ الْمِحْنَةَ تَسْحَقُ فِي الْأَعْمَاقِ الصَّبْرِ...  
وَالفَرْحَةُ مَاتَتْ فِي أَشْلَاءِ الْهَجْرِ...  
وَالبَسْمَةُ وَنَدَّتْ تَحْتَ سِنَانِ الْكَيْدِ هُنَالِكَ فِي أَنْقَاضِ الْغَدْرِ...  
وَالعَيْنُ دَمٌّ وَدَمَوْعٌ فِي طَيَاتِ اللَّيْلِ...  
وَالشَّعْرُ يُرْمَجُ إِنْ عَاتَبَنِي الْوَيْلُ...  
حَتَّى أَغْرَقَنِي السَّيْلُ...  
وَدَخَلْتُ الظُّلْمَةَ وَخَدِي  
مَيِّدَانُ صِرَاعٍ كَانَتْ ، وَأَنَا فِيهَا وَخَدِي...  
قَدْ كُنْتُ الْأَعْزَلَ فِيهَا جَبْرًا ، وَبِلَا خَيْلٍ...  
قَدْ كُنْتُ الْأَوَّلَ فِي قَوْمِي...  
وَاليَوْمَ عَلَى رِغْمِ الْأَنْفِ مَكَانِي الدَّيْلُ...

وأَكَيْلٌ لِقَوْمِي خَيْرًا قَدَّرَ هَوَاءِ الْكَوْنِ...  
يا لَيْتَ الْقَوْمَ - الْيَوْمَ - يَكِيلُونَ بِذَاتِ الْكَيْلِ...  
كَلًّا ، بَلْ مَالُوا عَنْ صَفِي وَتَجَارِيبي كُلِّ الْمَيْلِ...  
نالوا مِنِّي كُلَّ النَّيْلِ...

---

قَلَّبْتُ الذَّاكِرَةَ التَّكْلَى...  
وَفَجَّرْتُ الْعَاطِفَةَ الْخَجْلَى...  
وَطَعَنْتُ الْمَهْزَلَةَ الْعَجْلَى...  
وَفَحَصْتُ يَوَاقِيَتِ الْأَمَلِ بِقُوَّةٍ...  
وَحَقَّقْتُ دَمَ الْأَحْدَاثِ وَدَمَعَ الْهُوَّةِ...  
وَعَلَى آلامِي أَمْسَى غَيْرِي يَشْرَبُ قَهْوَةَ...  
وَيُضَخِّمُ فِي أخطائي ، وَلَهُ قَسْوَةٌ...  
وَعَلِمْتُ بِأَنَّ لِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ...  
وَكَذَا الْعَالِمِ - رَغَمَ وَجُودِ الْعِلْمِ - تُرَاوِدُهُ الْهَفْوَةُ...  
وَخَلُوتُ بِنَفْسِي - بَعْضَ الْوَقْتِ - وَحِيدًا...  
فَوَجَدْتُ فُؤَادِي يَعْشَقُ ظِلَّ الْخُلُوةِ...  
فَقَرَأْتُ سَطُورًا تُعْرِي فِي أَوْرَاقِ الْخُلُوةِ....

---

وَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي الْأُولَى...  
فِي كِتَابِ الْقَرْيَةِ ، كُنْتُ أَحِبُّ الذِّكْرَ كَثِيرًا...  
أَتْلُو ، أَتَعَلَّمُ ، وَأُرْتَلُ ، كَانَ الْعُمُرُ قَرِيرًا...  
وَكَذَا قَلْبِي كَانَ قَرِيرًا...

والقرآنُ العذبُ المُغدِقُ كانَ سَمِيرًا...  
والدربُ المُوصِلُ للأمالِ العذبةِ كانَ يسيرًا...  
والجسمُ الناحلُ في أجواءِ العُربةِ كانَ صَغِيرًا...  
«وابنُ بشيرٍ ، وابنُ العِترِ ، وهادي  
وابنُ الخَضِرِ ، وخامسُهُم كانَ فُوادي»  
كانوا كُلُّ حَياتي ، كُلُّ صِحابي ، كُلُّ عَتادي...  
والعريفُ الطيبُ كانَ رشارًا فوقَ رشادٍ...  
كنتُ أدوبُ إذا نظرتُ عيناهِ إليّ...  
وله صوتٌ يملأُ كلَّ الناسِ دويًا...  
وإذا عاتبَ يوماً طفلاً كانَ حَفِيًّا...  
لا يَلْطُمُ وجهًا أبدًا...  
لا يَشْتُمُ أمًّا أبدًا...  
لا يَلْعَنُ دهرًا أبدًا...  
لا يتضايقُ منَ نسيانيِ للآياتِ ، وَرَبِّي...  
بل كانَ يَرْكُزُ: كيفَ خروجَ الحرفِ بغيرِ نُحون...  
ويركُزُ كيفَ نرتلُ آيَ اللهِ بغيرِ لحون...  
والعَرَقُ اللافحُ يَطوي كلَّ شُجون...  
وله كلُّ نهايةٍ شهرٍ بعضُ قروش...  
مسكينٌ يا عَرِيفَ القَريّةِ...  
مَنْ يَمَحِقُ باسمِ المولىِ هذي الفَريّةِ...  
وأبي يدفعُ هذا المالَ ، ويمضي...  
ويقولُ العريفُ الصابرُ: «ربي أكرم»

وتقولُ الدمعةُ في عيني: «أنا في مريّة»  
يا عريفَ القرية: خُذْهَا عَشْرَ دَرَاهِمَ مَعْدُودَاتٍ...  
بيع كتابَ الله ببعضِ قُرُوشٍ...  
ودعاني أنْ يحفظك المولى...  
هي خيرٌ في الميزانِ لكم من أي عُروشٍ...  
والعربيدون السُّكَّيرون لهم في المَصْرَفِ كُلِّ المَالِ...  
ولكم أتعسُ حال...  
والواحدُ منكم لا يجدُ القُوتَ...  
والعربيدون لهم في الناسِ كُرُوشٌ ، أي كُرُوشٍ...  
حاشاك العريضةُ عريفي ، أنت شريف  
وأراك بما يحوي صدرك هذا عفاً...  
فاقت عفتك العفة...  
بل فاقت في عزتها كُلَّ عفيف...  
قلبك من كل الأحقاد نظيف...  
لا تحزن ، أنت تعلمُ نشأَ ذِكرِ الله...  
لا تغضب إن فاتك - في هذا الدرب - الجاه...  
لا تكثر من نصب العمل الآه...  
دع قطعانَ البشر ، مهأةً تنطح شاه...  
وإذا اغتابك منهم غرٌّ ، فاملاً باسترجاعك فاه...  
إن كتابَ الله بصدرك ، يكفي هذا ، إي والله...  
وسيجزيك الله الحسنى ، خيرُ جزاءٍ تتلقاه...  
لن يحزيك الله المولى ، إي والله

كنت الأكرم ، عشت الأسمى! وولياً يعبد مولاہ

---

وأعودُ لعيني أذكرُ وضعاً يُحزنُ يُزري...  
حيثُ الجُرحُ النَّازفُ عُمرِي...  
فأعزيها ، والكلماتُ تكالِي مثلُ الجَمْرِ...  
فأعودُ بذاكرتي أقرأ في صَفحاتِ العُمرِ ...  
أتذكرُ بقَالَ القَرِيَّةِ... في «كُفْرِ سُلَيْمانِ البَحْرِي»  
«عباسٌ» يبذلُ كلَّ الخَيْرِ...  
ويُريدُ مُقابلَ هذا عندِ رحيلِ الشَّهرِ...  
وأنا تُرسلُني أُمِّي ، أَخذُ مِنْ عباسٍ مَطْلوباتِ اليَوْمِ...  
وعلى رِغمِ عُبوسِ الإِسْمِ يَبِيشُ بِوَجْهِ...  
مِعْطَاءً يا عباسُ ، ورجلٌ فَوْقَ الوَصْفِ...  
ورقيقٌ تَبْذُلُ لِلأَطْفالِ العَطْفِ...  
وأعودُ لِأُمِّي أَحْمَلُ ما أَعْطاني فُوراً...  
وأعودُ لِعَباسٍ مِنْ خَلْفِ الأُمِّ سَرِيعاً...  
أَخْذُ حَلْوَى ...  
لكنِّي لم تَأْمُرْني بِالْحَلْوَى أُمِّي هذِي المَرَّةِ...  
ويُصَدِّقُ عَباسُ الدَّعْوَى...  
أَكَلُ ما أَعْطاني عَباسُ وَأَمْضِي...  
وَإِذا رَحَلَ الشَّهْرُ تَعالَى خَطْبِي  
قَدْ كُنْتُ أُعَبِّئُ كلَّ الماضِي فِي ذاكِرتِي...  
أَتَذَكَّرُ أَنِّي كُنْتُ أرى بِعُيُونِي هذِي دَرَبِي...

وأرى الأفكار العذبة تعدو صَوْبِي...  
وأرى حُبِّي...  
لكني كُنْتُ صَغِيرًا ، لا أدري حَجْمَ الذَّنْبِ...

---

أَحْبَبْتُ الْقَرْيَةَ حُبًّا جَمًّا...  
فَهُنَالِكَ كَانَتْ كُلُّ حَيَاتِي الْأُولَى...  
وهنالكَ كَانَتْ أُمِّي وَأَبِي جَنَّبِي...  
والناسُ جَمِيعًا صَحْبِي...  
والفرحةُ - كلُّ الفرحة - تسكنُ قلبي...  
والعيشُ يُرْفَرُفُ عَذْبًا مِثْلَ الشَّهْدِ...  
وله عَطْرٌ رَطْبٌ رَحْوٌ مِثْلَ الْوَرْدِ...  
الفترةُ هَذِي لَا أَنْسَاهَا أَبَدًا...  
إِنَّ الْمَاضِي هَذَا يَسْعَى فَوْقَ سَمَاءِ الْمَجْدِ...  
كَانَ الْعُمْرُ يُزَمَجِرُ مِثْلَ الرَّعْدِ...  
ويُسَافِرُ فِي دُنْيَا النَّاسِ ، وَيَقْطَعُ كُلَّ الْبُعْدِ...  
وأطالعُ فِي أَوْرَاقِ الْمَاضِي بَعْضَ الْخُرْقَةِ...  
قَلْتُ أَعِيشُ عَلَى هَامِشِهَا ، أَصْبِرُ حَتَّى أَدْخُلَ قَبْرِي...  
قَدْ كُنْتُ أَصَاحِبُ بَعْضَ الرُّفْقَةِ...  
عَشْنُهَا بَعْضُ الزُّرْقَةِ...  
حيثُ أَحَالَتْ بَيْنِي وَالْأَصْحَابِ الْفُرْقَةِ...  
فمَشَيْتُ بَعِيدًا عَنْهُمْ ، كَانَتْ أَصْعَبَ شُقَّةٍ...  
ودموعُ فِرَاقِ الصَّحْبِ تَزِيدُ الْخَفْقَةَ...



والقلبُ تناءتْ عنه العزْمَةُ...

وطوتُهُ الظُّلْمَةَ...

فتناثَر في أرجاءِ المحنَّةِ ، مِثْلَ النَّسْمَةِ...

لم يتحملْ بأْسَ الهَجْمَةِ...

ليتَ القلبَ تماسكَ بعضِ الوقتِ

ليعبُرَ هذي الأزمَةَ...

---

وظفقتُ أداعبُ كلِ خُيوطِ نُجومِ المَاضِي...

يا هذا الحاضرُ ، هلْ جرَّبتَ دلالَ النَجْمَةِ...

تَبْدو هذي النجمةُ في الآفاقِ

تُجَمِّلُ كلَ سَرابِ العَيْمَةِ...

أهْ ، قد حَرَقَ نفاقُ الصَّحْبِ قماشَ الخَيْمَةِ...

والنَجْمَةُ تَسألُ في الآفاقِ طُيورًا قد أزلَّتْها الهَمَّةُ...

تَسْتَصْرِخُ: أينَ الأُمَّةُ؟؟

أينَ صلاحُ الدِّينِ؟ وأينَ النُّخوةُ؟ أينَ الدِّمَّةُ؟

بل أينَ رجالُ صلاحِ الدِّينِ جَمِيعًا؟

مَنْ يَغسِلُ عارَ الصَّدْمَةِ؟

«حَطِينٌ» تناءتْ في كوكبةِ الظُّلْمَةِ...

وطوتُها في الدربِ سَحائبُ ضخمَةٍ...

ومحتُّها مِنْ عالَمنا فعلاً...

محقَّتْها - رِغَمَ الأنفِ - طُلُولُ العِثْمَةِ...

أصحابُ صلاحِ الدينِ تناءوا ، يا للوصْمَةِ...

وانتُهكتُ في أرض الدار الحُرمة...  
آه كيف المَهْرَبُ مِنْ مَأزِقنا هذا؟ قُولوا...  
قولوا: كيف نصيرُ رجالاً؟  
كيف نُزَجُّ مِنْ ظَلَماتِ الليلِ الأخرسِ هذا هَدْيًا وَلِي؟  
أو كيف نَهْرُ الأَرْضِ بَدَمِنا ، بجماجمنا ، وكتائبنا؟  
نُزَجُّ أَرْضًا سُلِبَتْ مِنَّا ، نرجع مجدًا وَلِي وَمَضَى...  
أنا عندي الحَلُّ ، وربِّ العَرْشِ ، وليسَ سِواه...  
الهنديُّ الصارمُ يمحو هذه العُمة...  
هذا السيفُ محاها أولَ مرّة ، وكذا يمحوها ثانيَ مرّة...  
للدَّورِ الألفِ أقولُ: السيفُ القاصِلُ يمحو العُمة...  
وسيسعد كل فِوَادٍ كان يتوقُّ إلى الحُرِّيّة...  
وسيشفي صُدُورَ القومِ العُزَلِ في بِيءِ الاستِضعافِ  
وسيمحقُّ كُلَّ إسافٍ ، وسيُهكِّ من أعداءِ المَولَى بالآلاف...  
وسيزهد غيظَ قلوبِ تَتَمَنَّى دُبْحَ الإِرْجافِ...  
ويُعذِّبُ ربُّ الناسِ بأيديِ الحقِّ مَنْ استَعلى...  
لكن ، أينَ رجالٌ تحملُ هذا الصارمَ؟ قولوا: أين؟  
قولوا: كيفَ بُلُوغُ القِمَّةِ؟  
لا ألقاكم - بعد نذيري هذا - موتى...  
ودَعُوكُمْ مِنْ أَعْدائِ تَبْدُو ضُخْمَةً...  
ودَعُوكُمْ مِنْ كَلِماتِ حَجَلِي...  
مُتَجَرِّدَةً تَبْدُو فُخْمَةً  
لا ألقاكم - بعد وَعيدي هذا - هَلْكَى...

وَدَعُوكُمْ مِنْ قَوْلَتِكُمْ: «هَذِي قِسْمَةٌ»  
إِنَّ مَعِينَ الْحَقِّ يُنَادِي:  
فِيخَاطِبُكُمْ: هَذِي بِنَسِ الثُّهْمَةِ...  
لَا أَلْقَاكُمْ - بَعْدَ كَلَامِي هَذَا - صَرَغِي...  
وَدَعُوكُمْ يَا أَقْوَامِي مِنْ أَغْلَالِ اللُّقْمَةِ...  
مَكْفُولٌ هَذَا الْقَوْتُ ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ...  
وَيُطَارِدُ صَاحِبَهُ الْقَوْتُ ، وَلَوْ فِي الْبُرْجِ الْعَالِي...  
وَالْبَيْتُ لَهُ رَبٌّ يَحْمِيهِ ، تَخَلُّوا عَنْ خِيْبَتِكُمْ هَذِي...  
وَالْمَبْدَأُ مُنْتَصِرٌ حَتْمًا ، رَغْمَ أَنْوْفِ نِفَاقِ الْقَوْمِ...  
أَغْلَالِ اللُّقْمَةِ لَيْسَتْ عُذْرًا...  
لَنْ تَنْفَعَكُمْ هَذِي الْكَلِمَةُ أَبَدًا...  
فَذَرُوهَا فِي قَامُوسِ الْخَذْلِ تُسَلِّي مَنْ صَاغُوهَا...  
وَتُرْفِقُهُ مَنْ عَبَدُوهَا ، وَكَذَلِكَ تُسَامِرُ مَنْ جَعَلُوهَا عُذْرًا...  
يَا أَغْلَالِ اللُّقْمَةِ كُفِّي ، قَدْ بَدَدْتَ الْقِيَمَ الْعُلْيَا...  
وَكَذَلِكَ يَا أَقْوَامَ دَعُوكُمْ مِنْ أَغْلَالِ اللُّقْمَةِ...

---

قَدْ كُنْتُمْ - يَوْمًا - جِيلاً يُضْرَبُ فِي أَسْمَاعِ الدُّنْيَا الْمَثَلَا...  
كُنْتُمْ جِيلاً يَغْلِبُ مَنْ عَادَاهُ ، وَيَزْهَو...  
كُنْتُمْ جِيلاً لَا يَنْتَصِرُ عَلَيْهِ عَدُوٌّ أَبَدًا...  
لَا يَعْبُدُ لَاتًا أَوْ عُزَّى...  
وَكَذَلِكَ لَا يَعْبُدُ شِعْرِي ...  
وَإِذَا افْتَحَرَ عِبِيدُ الشُّعْرَى...

أَسْمَعُهُم بِالصَّوْتِ الْهَادِرِ صَوْتِ الْوَحْيِ وَنُورِ التَّقْوَى...  
وَأَحَالَ الدُّنْيَا أَذْنَا تَسْمَعُ مِنْهُ «السَّجْدَةَ» بِلِ «الْبَقْرَةَ»  
و«الْأَعْرَافِ» كَذَلِكَ ثُمَّ «الشُّعْرَاءِ»  
مَاتَ الْجَيْلُ الشَّهْمُ الْمَرْجُو...  
وَدَعَا هَذَا الدُّنْيَا مِنْذُ قُرُونٍ مَرَّتْ تَتْرَى...  
ذَلِكَ الْجَيْلُ الْعَالِي الْهَمَّةِ...  
جَيْلٌ كَانَتْ تَسْتَهْوِيهِ الْحِكْمَةُ...  
يَتَسَامَى فِي أَفْلَاكِ الرَّحْمَةِ...  
يُرْعَى - وَاللَّهِ - حُقُوقَ النَّاسِ جَمِيعًا...  
وَيُحَقِّقُ آمَالَ الدُّنْيَا وَفَقَّ شَرِيعَةَ رَبِّ النَّاسِ...  
يُرْعَى - رَغْمَ سَعِيرِ الْحَالِ - الْحُرْمَةَ...  
يَزْرَعُ فِي آفَاقِ الْكَوْنِ الْبَسْمَةَ...  
وَلَهُ رَغْمَ ظِلَامِ اللَّيْلِ ، وَظُلْمِ النَّاسِ ، وَقَصْفِ الرِّعْدِ  
وَبَأْسِ الْكَيْدِ الْعَزْمَةَ...  
لَا يَلْهَثُ خَلْفَ سَرَابِ الدُّنْيَا...  
لَيْسَتْ تَسْتَعْبِدُهُ هِمَمُ الْأَرْضِ السُّفْلَى...  
لَيْسَ يُفَرِّغُ كُلَّ الطَّاقَةِ فِي مَطْعُومِ الْبَطْنِ  
لَا يَسْعَى خَلْفَ الرَّمَّةِ...  
لَا يَطْمَعُ مِنْ هَذَا الدُّنْيَا فِي شَيْءٍ أَبَدًا...  
لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالٍ تَفْنَى...  
أَوْ أَعْنَامٍ تُرْعَى...  
أَوْ أَبْنَاءٍ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ نَصِيبٌ...

حتى ليس لديهم حكمة...  
لا يطمع من هذي الدنيا في جرعة ماءٍ أو قضمة...  
بل يطمع في مرضاة الله ، ونعم الهمة

---

أتذكر من صفحات الماضي صفحة أمي...  
وأنا بين يديها مثل الزهرة...  
طفل قد داهمه المرض ، وعانى...  
واختار أطباء الأرض وقالوا:  
لن يحيا هذا الطفل كثيرا...  
فاحفر يا لحاد الحفرة...  
وار السواة ، لا تأخذك العبرة...  
إنّ الطبّ عليّ هذي المرة...  
قالت أمي: حاول يا دكتور ، ودون بعض القطرة...  
هذا طفلي الأوحّد ، صدّق ، وأنا قبل أعاني حسرة...  
فأنا - قبل رحيل غلامي - تكلى...  
ما بآلك إن فارق طفلي هذي الدنيا؟  
قدّر يا دكتور شعوري ، وارحم ضعفي ، فأنا لهفي...  
وأراك بعلمك هذا ، في مشفائك الحلوة هذي  
أستاذاً للطبّ ، وعلماً من أعلام الخير ، وصاحب خبرة...  
قدّر ما أطلبه منك ، فإنّ فوادي قد حرقتّه الجمرّة...  
ودموعي كثرت فوق شراع الأمل المعتم هذا...  
وسرابّ الدمع يحرق زورق سفري...

ذبحت قلبي يا أستاذ الطب العبرة...  
خنقنتي الثورة...  
لو كان الأمر إلى لجفت بنز صراعي...  
ولما أحنيت لشبح الجزع ذراعي...  
ولما أحرقت يراعي...  
ولما مزقت شراعي...  
ونالت مني الدنيا كل الطب وما لم تعلم...  
ولكان العلم النابع مني أودية شعاع  
تضرب يا أستاذ الطب هنالك في أودية شعاع...  
لكني أمة عزلى ، ليست تملك شيئاً يذكر...  
والأمر جميعاً يا دكتور الطب لربي الأكبر...  
أكبر من كل الكون ، وكل الناس ، وكل الدنيا...  
لا يشبهه أحد أبداً ، لا يشبهه شيء أبداً...  
وعلى العرش الله المؤلى...  
خلق الناس ، وخلق الدنيا...  
فله الخلق ، وله الأمر  
وأبو طفلي خلف الباب ينادي  
وأنا امرأة قد سبقني - دون العلم - الضرة...  
وأخيراً ، لك تقديري ، وتحياتي...  
لكن طبيب المشفى قد أخذته الثورة...  
واندفع يجرع أمي وأبي  
كل الأمل الكامن في أعطاف القلب...

ويُزجرُ: ليسَ لديَّ الحيلةُ صدقًا...  
خانتَ حالةَ هذا الطفلِ خزينةَ طِبِّي...  
لا أعرفُ عنُ حالتهِ شيئًا...  
كيفَ أحررُ عنه كلامًا؟ فُؤلوا...  
كيفَ أحررُ عن حالتهِ تلكَ النَّشْرَةَ...  
وأضافَ بِصَوْتِ هاديِ النَّبْرَةَ:  
لنَّ يبقىَ هذا الطفلُ بهذي الدنيا فَنْرَةَ...  
فتحجَّرَ قلبُ الأمِّ ، وأصبحَ مِثْلَ الصَّخْرَةَ...  
وأضافتِ أمي: يا دكتورُ تمهَّلْ ، أعدِ النَّظْرَةَ...  
وأضافَ أبي: قَدَّرُ اللهُ المولىَ أحلى  
مِنْ كلماتِكَ هذي المَرَّةَ  
سوفَ نُفْتَشُ في أعماقِ الأرضِ نريدُ الطَّبَّ  
وسنلتَمِسُ العِلمَ هنا وهناك  
فاطمسْ مِنْ كُرَّاسِكَ هذي الفِكرَةَ...  
واهدأْ نفسًا ، وأمخِ السَّوْرَةَ...  
إنِّي رجُلٌ ، فِلْدَةٌ كبدِي بينَ يديكَ صِحِّيَّةَ...  
وأقَدِّرُ تعبَكَ يا دكتورُ كثيرًا  
وكذا أحترمُ الطَّبَّ ، وأشهدُ أنَّ العِلمَ مُحِقٌّ جدًّا  
لكن فوقَ الطَّبِّ ، وفوقَ العِلمِ ، وفوقَ الدنيا والأكوانِ  
وفوقَ الأرضِ وفوقَ سماءِ الكونِ وفوقَ العرشِ الربِّ...  
أنا لستُ أقولُ بأنَّ اللهُ المولى ، في كُلِّ مَكَانٍ  
لكن أقصدُ أنَّ اللهُ يُقدِّرُ أجلَ المرءِ

إِنْ عَاشَ ابْنِي ، فَلَأَنَّ اللَّهَ الْمَوْلَى قَدَّرَ هَذَا  
وَكَذَا إِنْ مَاتَ فَرُبُّ النَّاسِ مُقَدِّرٌ هَذَا  
فَارْفَعْ يَا دَكْتُورَ الْقَلَمَا...  
جَفَّفْ يَا مُتَعَدِّ هَذَا الصُّحُفَا  
نَزِّهْ نَفْسَكَ وَامْحَقْ هَذَا الزَّيْفَا  
وَاقْبَلْ أَشْوَاقِي وَتَحِيَّاتِي اللَّهْفَى ....

---

يَا عَيْنِي الْمَائِلَةَ أَمَامِي ، فِي آبَارِ الْحُمْرَةِ...  
حُمْرَةَ دَمٍ ، حُمْرَةَ دَمْعٍ ، يَا وَيْحَ الْحُمْرَةِ...  
مَرَضِي الْأَوَّلُ أَعْيَا طِبَّ الْأَرْضِ  
أَعْيَا حَتَّى كُلِّ رَجَالِ الْعِلْمِ...  
أَعْيَا مَرَضِي مَنْ يَعْتَقِدُ الصَّلْبِ...  
مَنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ الْمَوْلَى...  
كُلَّ طَبِيبٍ أَوْ شَمَّاسٍ قَدْ قَتَلْتَهُ الشُّهْرَةَ...  
أَعْيَاهُمْ وَتَجَارِبَهُمْ مَرَضِي هَذَا...  
وَعَقَاقِيرُ الطَّبِّ جَمِيعًا فَشَلَّتْ...  
وَكَذَا أَدْوِيَةَ الطَّبِّ جَمِيعًا عَجَزَتْ...  
وَعِلَاجَاتُ الْجَدِّ الْأَكْبَرِ...  
وَالْمِسْتِكَ كَذَا وَالْعَنْبَرِ...  
وَالرَّدَّةُ ، وَالْعُشْبُ الْبَرِّي...  
وَتَعَاوِيدُ السَّفَرِ الْأَوَّلِ...  
وَتَرَانِيمٌ فِي مَاتِمَهَا...



وأغاني الإصحاح الأوحد...  
وكذا وَصَفَاتُ الحَاخَامِ الأعظم...  
وتهاوت كلُّ أساطين الطَّبِّ ، وفشلت...  
سقطت كلُّ دعاوي الوهم المائل مثل هَتِيفِ الغَيْثِ  
أعيا كلَّ الناس بلا استثناءٍ مَرَضِي...  
-----

واليوم تعاني من آلام الحادث عيني  
ويُريدُ الطَّبُّ علاجَ المقلّة ، لكن تأبى  
ويُعِيدُ الجِسْمُ الكَرَّة...  
والعَيْنُ اليُسرى - في الآلام - تعيش السّهرة...  
يا عينُ كفاني حُزناً ، قلبي ذاب ، وذابت رُوحِي...  
ويح العين ، أليس نُحِبُّ «الأوكيوفين» دواء؟  
ما أعتى هذي القطرة...  
أإذا مَرِضَ الناس تَدَاؤُوا؟  
وأنا في الآهاتِ أَجْرُ العَثرة؟  
أيعيش الغير العُمَر سَعِيدًا ،  
وأنا في سكراتِ الحَسرة؟  
أيموتُ الصَّوتُ على شَفَتِي؟  
وأنا وحدي تَحْتَ سِياطِ القَطرة؟  
وأنا أيضًا تَحْتَ عذابِ العُسرة؟  
لله الأمرُ ، أيا عَيْتِي...  
وكفاني في أشجاني مُكِنًا

وكفاني في ظلماتي حيرة...

أَتَذَكَّرُ كُلَّ الْمَاضِي ، أَسْأَلُ كُلَّ شَكَاةٍ : مَاذَا الْعَلَّةُ؟

وَأَسْطَرُّ كُلَّ حُرُوفِي الْخَجَلِي فِي أَوْرَاقِي...

وَأَعْبِي حُزْنِي فِي أَعْمَاقِ السَّلَّةِ....

فِي سَلَّةِ أَحْزَانِي كَمْ ، مِنْ أَوْرَاقٍ كَلَّمْتِي تَلْهُو!...

رَغْمَ دِمَاعٍ تَنْزِفُ مِنْهَا تَلْهُو!...

ثُمَّ تَهَبُّ سَرِيعًا تَعْدُو...

تَصْرُخُ فِي طَابُورِ الْحَمَقَى....

تَسْأَلُ: أَيْنَ الصَّحْبُ تَنَاعَوْا؟ أَيْنَ التُّلَّةُ؟

كَيْفَ الصَّاحِبُ خَانَ الْعَهْدَ ، وَخَانَ الْقِبْلَةَ؟

يَا هَذِي الْأَوْرَاقُ كِفَاكِ صُرَاخًا...

إِنَّ رِفَاقَكَ بَاتُوا سَيِّفًا

يَذْبَحُ نُورَ الْحَقِّ ، وَيَشْرَبُ دَمْعَ الطُّفْلَةِ...

غَدَرُوا ، لَعَبُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَسَلَبُوا...

أَكَلُوا - بِالْآيَاتِ - وَشَرَبُوا...

أَخَذُوا بِالْتَرْتِيلِ وَنَهَبُوا...

بَاتَ شِعَارُ التَّقْوَى عُمَلَّةً...

وَالْخَيْرُ صَرِيعٌ فَوْقَ نَفَاقِ الْقَوْمِ الْحَمَقَى...

لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ خِلَانٍ أَوْ أَصْحَابٍ...

وَكَذَا لَيْسَ هُنَاكَ حُلَّةً....

ذَهَبَتْ رِيحُ الْحَقِّ بِدَارِ نَفَاقِ الصَّحْبِ...

عُبدَ اللاتُ ، وُعبدَ إسَافُ وهُبُلٌ...  
وكذا يَعبوبُ ونائلةٌ...  
وَمَنَاةُ الثالثةُ الأخرى...  
عُبدَ العزى الأكبرُ ، رَغَمَ أنوفِ رجالِ الحقِ...  
عَضَلَتْ بالإنسانِ الثُّقلَةَ...  
وطَعَتْ «عَبَلَةَ»

صرنا في أدمغة شعوب العالم مُثَلَّةٌ...  
أخذتنا عن آيات كتاب الله الغفلة...  
وأضعنا في الدرب هُويتنا ، وأضعنا كلَّ شهامتنا ،  
وأضعنا كلَّ مروءتنا ، وأضعنا نورَ خلافتنا ،  
وأضعنا الأرضَ وكلَّ الأمة ، يومَ أضغنا المِلَّةَ...  
باتَ الباطلُ حقًّا ، صرنا للأعداءِ الكَلأَ...

---

أراني بكيئتكِ بالدمِ والدمعِ يا مقلتي ، كم بذلتُ الكثير...  
ذرفتُ الدموعَ أعزى فوادي بما نالني من أسي  
مع الحزن قدمتُ دمعَ الإباءِ القرير...  
أعزى بدمعي مصيرًا مرييرًا محا أمتي...  
على «البوسنة» انساب دمعِ الضميرِ الكسير...  
وأغرق «بروما» التي تستجير...  
وأغرق طوفانُ دمعي «كشمير» حتى انتهى  
حزنتُ كثيرًا على المُبعدين من المسلمين...  
هنالك ضاعوا بـ «مرج الزهور»...

و«موسنار» يقلقتني جرحها...

وليسن تُعدُّ دموعي على (الوطن اليعربي الكبير)!  
وقد أحرقتة سهامُ الفتن  
يُفتش عن دربه في الظلام فلا يهندي  
ويلبس بُرُنْسَ أهل الصليب لكي يُكرموه  
ويغسل بالذل وجه الكرامة ثم يَحُورُ  
ويُرْضي الكِفَارَ وَمَنْ نسبوا للمليكِ الولدُ!  
ويكرم أهل الخنا والزنا ، وأهل الغواية من أفسدوا  
وأهل التهتك من شوهوا كل حسن بدا  
وأهل الفنون من الهازلين ، من الراقصين دعاة الفُجور!  
ويقتل أهل الهداية أهل السماحة من آمنوا  
ومَنْ رفضوا الذل لم يرضخوا  
ومَنْ للطواغيت لم يركنوا  
ومَنْ أخلصوا دينهم في الوري للعلي القدير!  
فلم يعبدوا غيره أبداً  
ولم يُجرموا ، ولم يُشركوا ، ولم يُفسدوا!  
ولكنهم تبعوا المصطفى  
وساروا على نهجه المستنير  
أراني بكيث على إرث هذا النبي  
وقد أصبح اليوم بين الأنام كمثل الغريب!  
بكيث الشريعة في جل شعري الكنيب الحزين!

وسجلتُ دمعي شعورًا وشعرًا بعزمٍ جهيرٍ  
وغيري يُسخر أشعاره للخنا!  
يُسطرها لتكون وقودًا لأهل الغنا  
ليحرقَ في الناس ما عندهم من بقايا الحيا  
ويرفعَ شأنَ المكاءِ الحقيزِ!  
ويعلو الهُراءُ ، ويسمو الضلالُ ، ويحيا الصفيرُ  
لأن المشاعر أمست تُباع لأهل الفنون  
وأمست سبيلًا لتدمير أهل الهدى  
وأمست تُهَيئُ من يجتبيها لنار السعيرِ  
كذلك أمست تُباع وتُشترى بسوق العبيد جميع الذمم  
ومن يجهل الحق يكدح في هذه السوق حتى يبيع!

---

ويُنصَب فوق العبيد الجياع المَزادُ  
ويأتي الجميعُ لكي يأكلوا  
وبعد الطعام سيشرَبُ كل الأنام مياة الغديرِ  
ويدخل نارَ الطواغيت من لا يبيعُ  
يُصب عليه العذابُ الشديدُ  
ويُحرم من كل خير رفيع  
وتنظر في الأفق لست ترى  
سوى جَوْقة يقرعون الطبولُ  
وبعضَ العبيد بأيديهم البوق كي ينفخوا  
وبعض الأصاغر في ذلةٍ يحرقون البخور

وَمَنْ كَانَ يَنْكِحُ أُمَّاً لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ  
يَقُولُ لَهُ الْيَوْمَ: أَنْتَ أَبِي!  
وَأَنْتَ الْمَلَأُ ، وَأَنْتَ الْمَلَأُ ، وَأَنْتَ الْحِمَى ، بَلْ وَأَنْتَ الْمُجِيرُ!  
وَأَنْتَ بِأَخْذِ مَكَانِ أَبِي عِنْدَ أُمِّي جَدِيرُ  
وَلِيَتَّكَ جَنَّةً مِنَ الْأَمْسِ كِي نَسْتَرِيحُ  
أَلَا إِنَّ ذَلِكَ هَزَلُ الْعَبِيدُ  
وَقَوْلٌ عَنِ الزَّيْفِ لَمْ يَخْتَلَفْ  
وَزُورٌ دَنِيءٌ خَسِيسٌ خَطِيرُ

---

ولو قال شعبٌ لفرعونَ: «لا»  
وقدَّمَ بعد الكلام الفِعالَ  
وقدَّمَ في الحرب بعض الرجالَ  
وقدَّمَ عند النزال الدماءَ ، وبعضَ الحياةَ  
يميناً لعاد إلى رَشده ، وأدركَ بأسَ صنيعِ الإِبَاءِ  
ولمَّا يُصرح «أنا ربكم» ، وليس على الأرض لي من نظيرُ  
ولمَّا يَقُل: «ما علمت لكم من إلهة»  
فليس لكم أن تقولوا: سِوَايَ الْإِلَهِ  
وَمَنْ خَالَفَ الْأَمْرَ يَلْقَ جَزَاءَهُ  
أطاع الجميعُ ، ولم يُنكروا  
ومن قال: لا ، ذاق أعتى مصيرُ  
وساد الفراعنة من يومها  
وذاق العبيدُ سُموماً الطغاة

لأن العبيد يُحبون أي حياة  
أطاعوا لأن التزلفَ للظُّلمِ سَمَتْ العبيدُ  
ولا يرتضي الجورَ والقهرَ إلا الذليلُ الحقيِرُ  
وقالوا لنا: «نحن مستضعفون»  
ولم نقوْ بعدُ على حربِه  
وليس لدينا الرجالُ حتى يكون النفيرُ  
وليس لدينا العتادُ المكافئُ للمجرمينُ  
وإن لقاءَ الفراعين أمرٌ علينا عسيرُ  
وحربٌ ضروس سثودي بنا  
ولن ترحمَ اليومَ فينا النساءُ ، ولن ترحمَ اليومَ حتى الصغيرُ  
فهوّن عليك ، وكن مُنصفًا  
وزينْ كلامك بالمنطقِ العدلِ ، لا تنفعلْ  
وأعطِ اليراعةَ بعضَ الشهيقِ وبعضَ الزفيرِ  
ودعنا نحللُ أمرَ الخروجِ على مَنْ طغى  
ومَنْ قال: إني إلهٌ لكم  
وإني أنا الربُّ ليس سواي  
فقلتُ: تريدون أن تُفحمونا  
بأنَّ الخروجَ عليه ابتداءً مُبِيرُ  
وأن الإطاعةَ رغمَ الأنوفِ له واجبةٌ  
أقول: خسنُتم ، وردي عليك يسيرُ يسيرُ  
لأني أسائل ما قرعته؟ وما ألَّهه؟  
ولا أسمعُ اليومَ منكم جوابًا يثيرُ الهممُ

أسائل: أين زئيرُ الرجال؟ وأين الشعوب؟  
وأين الحنيفةُ يومَ انجمتُمُ لديه ضحَى؟  
ونادى عليكم: أنا ربكم ، وإني الإله  
وزاد: سأهدي جميع الأنام سبيلَ الرشادِ  
وأسأل: أين الجوابُ الجهير؟  
وأين الرجالُ ترد عليه ، تقول بأنك لستَ الإله؟  
ولكن ربَّ السماوات والأرض ربُّ الجميع  
له الخلق والأمر معبودنا ، وليسَ سواه  
تبارك ربُّ الوجود الإله القديرُ  
وما دمتَ تزعمُ أنك فينا إلهٌ كفرت  
وكنْتَ على الله أنتَ الجريء ، وكنْتَ على النار أنتَ الجسور!  
ولكنكم قد ركعتمُ له ، وصفقتمُ للضلالِ المُبينِ  
وغرکمُ بالمليكِ العُورِ  
رضيتمُ بما قد رآه لكم ، سبيلَ الرشادِ كما يدّعي  
وضاعت على الدربِ آمالكم  
كانَّ الديارَ على فسقها  
أقامت ، ولم تكُ يوماً تتورُ  
وما كان «يوسفُ» فيها العزيز  
وما كان شرعُ الإله بأرضي يسودُ  
يمينا يضيعُ بذلَّ العبيدِ القرارِ  
ويُقلتُ ممن يحب الرشادَ الإباءَ  
وتعدو الكرامةُ في الصدر نارًا تفورُ



ويسعى الأباة لإنقاذ من آمنوا  
ولكن بأس القيود عنيف عتي المراس  
ويسعد في الدار من عربدوا

---

وينتحر الأمل المستطاب!  
لأن العبيد لدك الحصون ، وقطع الرقاب ، وسفك الدماء ،  
وسبى النساء ، وقتل البريء ، وحرق الضحايا ، وهتك العهود ،  
وتدمير دنيا اليتامى تسيير تسيير!  
وتبكي الديار لأن العبيد لأعدائهم أسلموها  
وتشكو الشريعة من لسواد عيون العدا بدلوها  
وتشكو الخلافة كل العتاة الألى زيفوها  
وتشكو العقيدة من شيدوا الأضرحة  
ومن في الديار أقاموا الضلال مقام الشريعة  
ومن حاربوا في الأنام الهدى  
ومن عاملوا الخلق فيها كمثل الحمير!  
وتشكو المحارب من أعرضوا  
ومن تركوها فلم يعمروها  
ويشكو الكتاب لرب السماء الذين طعوا  
ولم يقرأوا فيه باسم المليك  
ولم يدرسوه لمرضاة رب عفو غفور  
ويشكو البريء من الناس ظلم المسئ  
ويؤمن في الظلم من أجرموا

وليس يتوبُ من الذنب من أذنبوا  
ويخترعُ الجائرُ المستبدُّ السببُ  
ليُخربَ بيتَ التقيِّ الفقيرِ  
يُقدِّمه لقمةً للعظيمِ الوزيرِ  
وبعدَ المؤامرةِ المُفتراةِ يقولُ: «كفى»  
ويُعلنُ توباً من الذنبِ ، لكنه لا يتوبُ  
لأن الضمير طواه العَمى ، وأمسى المُعربُ لا يستشيرُ

---

طُعِنْتُ أيا مُقلتي في الصديقِ  
وعانيتُ يا عينُ غدرَ الرفيقِ ، وأحنى إباي تخلي الشقيقِ  
فلم ألقَ حتى سرابَ الرحم ، ولم ألقَ حتى بخار الإخاءِ  
يُحاربني اليوم بعضُ دمي ، ويحرق قلبي الشقيقُ الغدورِ  
يُحاسبني أنني مُسلم ، ويضرب في الأرض ضربَ البعيرِ  
ويَعْتَدُّ بالمالِ دون حيا  
ولست شقيقي كما تدعي ، لأن شقيقي التقيُّ البصيرُ  
شقيقي الذي يعرف الحق ، يحيا له ، يُضحِّي له ، يموتُ له  
شقيقي الذي لا يخاف العدا  
شقيقي الذي درهمي درهمه ، وديناره في يميني إذا رُمَتْهُ  
شقيقي الذي علمه بالعقيدة نوراً له  
شقيقي الذي إن بُليتُ أتاني كمثل النسيمِ  
شقيقي الذي يبتغي رفعتي بين كل الوري  
وخيبَت ظني ، وما كنت قط كما قد ذكرتُ

فَأَنْتَ عَلَى الْغَيْرِ ظِلٌّ ظَلِيلٌ ، وَلَكِنْ عَلَيَّ كَمِثْلِ الْحَرَوْرِ  
وَتَزْعَمُ أَنَّ الَّذِي بَيْنَنَا يَزُولُ يَزُولُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ  
تَرِيدُ الَّذِي مَا حَلَمْتُ بِهِ ، وَتُنْشِدُ بَيْنًا بِأَقْصَى النُّجُومِ  
لَأَنَّ الدَّعِيَّ بِأَحْوَالِ قَلْبِي لَيْسَ الْخَبِيرُ  
أَلَا فَالْتَمَسْ فِي الْخَزَايَا شَقِيقًا سِوَايَ  
وَلَا يَخْدَعَنَّكَ صَمْتِي الطَّوِيلُ ، فَإِنِّي حَيَالِكَ فِي اللَّهِ كَلِي غَضَبٌ!  
وَلَسْتُ أَرَانِي حَقُودًا عَلَيْكَ ، وَدُنْيَاكَ لَيْسَتْ بِقَلْبِي الشُّكُورُ  
لَأَنِّي أَتَوَقَّعُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ عِنْدَ الْجَلِيلِ  
طَعَامِي هُنَاكَ وَشَرْبِي إِذْنُ ، وَمِثْلُكَ أَعْلَافُهُ مِنْ شَعِيرِ  
وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنْكَ التَّرْلَفَ إِنِّي كَرِيمٌ  
وَمَرَحِي بِكَ الْيَوْمَ إِمَّا أَخًا مُسْلِمًا ، وَإِمَّا شَقِيقًا يُرَاعِي الرَّحْمَ  
وَلَا مَرَحَبًا بِالْدَّعِيِّ الْأَثِيمِ  
وَمَنْ هُوَ لِلْمَجْرَمِينَ الظَّهِيرُ  
لَأَنَّ الْجَبَانَ الْخُدُولَ مَعِيبٌ ، يَبِيعُ الشَّقِيقَ ، يَخُونُ الْعَشِيرَ  
فَلَا تَفْتَكِرْ لِحُظَّةِ الْإِخَاءِ الْوَشِيكَ  
فَأُمَّكَ مَا وَلَدْتَنِي لِمِثْلِكَ يَا أَفْعَوَانُ إِذَا جُعْتَ بَعْضَ فَطِيرِ  
وَزِدْ فِي الدَّرَاهِيمِ حَتَّى تَزُورَ الْقُبُورَ  
فَلَا خَيْرَ فَيْكَ ، لِأَنَّكَ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْ كَلَامِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ  
لَفِظْتُكَ بَيْنَ الْأَنَامِ سِرَابًا يَزُولُ

---

وَبَعْدُ أَعُودُ إِلَى مَقَلَّتِي  
أَعْيَّرَ بَحْرِي وَتَرْنِيمَتِي ، وَأَنْسَاكَ أَنْتَ نَسِيتَ الْوِصَالَ!

مُقلتي الحزينةُ الكنيبةُ المقال  
تَعَلَّمِي الثَبَاتَ مِنْ مَوَاقِفِ الرِّجَالِ  
وَكفكفي لذوَعَةَ الجِدَالِ  
وَذَكَّرِي الفُؤَادَ بِالمَأْنِ  
وَفتنة الصراطِ والسؤالِ  
وأغلقِي بَوَابَةَ النِّقَاشِ عَن مَسَاجِدِ الضَّرَارِ  
وَجَوَوقَةِ الفِرَارِ  
وصولةِ الفِراعِنِ الكِبَارِ  
وذلةِ الشُّعُوبِ تَحْتِ أَرْجُلِ الكِفَارِ  
وضِيعَةِ الصَّغَارِ  
ودولةِ الفِرعونِ فِي حَضِيضِ الانحِدَارِ

---

فأسدلي يا مُقلتي الستارُ  
على الخوارِجِ الذين لم يَضُمَّهم قَرَارُ  
وأجملي الكلامَ عَن شِوَاعرِ البِلاطِ ، لأننا نعيشُ يا حبيبتِي  
في آخِرِ الزمانِ ، نَعَم نعيشُ في أَتونِ الانحِطاطِ!  
فهؤلاءِ فوقِ هامةِ الضلالِ  
يَكْتَبِنُ شِعْرَهُنَ بِالمَضاِ والانضباطِ!  
وبِسمَةِ الطاغوتِ لِلخَليلَةِ المناطِ!  
والكلِ فِي رِباطِ!  
شِماعَةُ الحِجَّاجِ قَلَّها التعلُّ المَقِيثُ!  
مَسكِينُ يا (سعيدُ) مِنْ مَنارةِ رُمِيثُ!

وبعد فترة وجيزة نُسيِتُ!  
ولو أطعتَ مَنْ طغى بَقِيَتُ!  
ولو رضختَ للضلال ما ابْتُلِيَتُ!  
وما حُرمتَ عنده المبيتُ!  
ولا الطعام ، كلا ، ولا الشرابُ  
لأنه والحالُ هذه كريمُ  
وأنتَ منه قد كُفِيَتُ!  
خسنتَ يا (حَجَّاجُ) مِنْ هَبِيَتُ!  
يا مَنْ تُقَطعُ الرقابَ دون خوفِ القارعة!  
وتأخذُ البريءَ بالمُسيءِ!  
وعندك الجنودُ سيفُهم في الفتنة الوَكِيَتُ!  
يا ويلهم ومثلهم من ربنا المُقِيَتُ!

---

يا مُقلتي رأيتُ في زماننا الكثيرُ  
رأيتُ حَرْبَةً في جِبْهة الصغِيرُ  
رأيتُ كيفَ يُحرقُ الجنينُ!  
وكيف تَسْفِكُ الدماءَ في الدُّنا أصابعُ الأصاغر العبيد  
وكيف يَدَّعون بعدها بأنهم حمائمُ السلامِ  
وكيف يسرقُ العُتاة فرحةَ المُوَحِّدِ الفقيرِ  
وكيف يَتَسَجُّ الزُيُوفَ والفسادَ في الوري مُستشرقٍ حقيرِ  
وكيف يَقمعُ الهدى منافقٌ في كفره يَسِيرِ  
وكيف ذِمَّةُ تَباع في متاهة الهجيرِ

ويوَأدُّ المسكينُ والحنيفُ والأسيرُ  
وكيف يدفنُ التلموذُ جُبَّةَ التقيِّ المُستجيرِ  
وقد علا في أرضه الزنيرُ  
وأهله يَستصرخون جَوْقةَ الحَميرِ  
مِن الذين يُشركون بالإلهِ  
مِن الذين يَعبدون غيرَ ربنا القديرِ  
مِن الذين يزعمون أنهم مُلوكُ الآخرةِ  
وسادةُ الوري ، وساسةُ الأممِ  
مِن الذين يزعمون أنهم على هُدى الرِشادِ  
ويبرأ الرِشادِ ممن أشركوا  
كذاك موسى مِنَ الكِفارِ قد برئ!  
والأنبياءُ كلهم تبرأوا مِنَ الذين أشركوا  
بالواحدِ الكبيرِ!

---

يا مقلتي رأيتُ في زماننا الفنونَ بالورى تمورُ  
تُرْوجُ الفسادَ في الدنا ، وعُصبةُ الرِشادِ تستجيرُ  
والعُهرُ كم أضل من فتاة تستحي ، وكم أضل من غلام!  
والرقصُ في زماننا وفيرُ  
وكأسُه تدورُ  
تحطمُ الرِشادَ والجمالَ والهُدى  
وتقتلُ الضميرُ  
في خدرها كانت تعيشُ كل غادةٍ بعزّها

واليوم في الورى تبيع عرضها القريز  
بالدرهم الحقيز  
وسواة تكشفت أمام أعين النساء والرجال  
وبيع للمريد حُسْنها الجهيز  
وفوق هامة الجمال مشهدً عطيذ  
وأصبح الخنا وظيفة تُراد في زماننا المرير  
والبوسنوية انتهى من الوجود صوتها  
وودعت قبل الوفاة طفلها ، وزوجها ، وعرضها!  
وزايلت كرامةً تأصلت!  
وأسلمت ضميرها لموتها  
والمسلمات فوقهن صُبَّتِ المحن  
ومن يوحد الملوك في زماننا مهان  
وفي الديار تعزفُ القيان  
وتضربُ الدفوفَ خلف ظل الصولجان  
ويمسكُ الشياط من يبيع دينه  
ومن يُعبي الكؤوس!  
من الذين إن قَصَّوا على الذي عليه لا ، لن يدخلوا الجنان  
لأنهم يؤلهون غير ربنا!  
حياتهم بأسرها على الضلال أسست  
قلوبهم منزوعة الحنان  
وغلظة الطباع ديدن الجبان  
وجفوة النفوس والفسوق فوق هامة الظلوم معلمان

ومسرحُ الحياة للقرود والذئاب والعبيد مَهْرَجَانُ  
والسادة الكِبَارُ غارقون في الخمر والطبُونُ  
يلْفُهم في ثوبه الدخانُ  
هم يُفصَحون عن مُرادهم لَمَن يُريدُ  
فَعندهم في كل مجلسٍ وحاتةٍ كلامُ  
وقولُهم في غاية البيانِ  
ودونهم فوق الأرائكِ البغيضة الحِسانُ  
ويُنشدُ العبيدُ في مزابل النمامِ  
أنشودةَ التزلف الرخيصُ  
وتقرعُ الأصابعُ الدفوفُ  
أيدي عُواتنا لا تعرف السنانُ  
لكنها لَمَن طغى تُعَبئُ الدنانُ  
وفي براعةٍ وخفةٍ تُزخرف الكعابَ للذئابِ  
وتُسدلُ الستارَ عن تطلع العبيدُ  
لكل مجرم في ليلةٍ خمريةٍ ثمانُ  
وأعلنت نخاسة الحريم والعِيانِ  
في غابةٍ للحُر في أصقاعها الدمارُ  
وللعفيفةِ التقيةِ الهوانُ

---

مزابل التاريخ كم فيها من العتاة  
من الذين بدلوا شريعة الإله  
وحرَفوا كلامه وهديه بلا حياءُ



وحاربوا كتابه وهديه بلا مرأء  
وقاتلوا عباده ومَن له أطاع  
حقًا هم الجُناة ، ومَن سواهم نراهمُ الجُناة؟  
مِن الذين سلّموا الديارَ للعبيد!  
وأخلفوا الوعود!  
وبعدها خانوا الشعوبَ عامدين والعُهود!  
ودمروا ببأسهم كتائبَ التّقاة  
وأفسدوا البقاعَ والنفوسَ بالفنونُ  
وأحرقوا شمسَ عزنا المَهيبُ  
وأصبحوا على الحنيفة العليّة الطغاة  
ولم يُراعُوا حُرمةً لمؤمنٍ ضعيفُ  
كلا ، ولمّا يرحموا كآبةَ الصغيرُ  
فشوهوا طلاوةَ الحياة  
وسَمّموا الغِذاءَ والغِطاءَ والكِساءَ والدواءُ  
ولوثوا - يا ويلهم - حلاوةَ المياهُ  
وذَبّحوا شعوبهم كأنها شياهُ  
وسانلي يا مقلتي - عمّا جنوه - دُورنا وقومنا!  
وسانلي بئوتنا والبرِّ والفلاة  
وصدقي جواب كل هؤلاء أنهم بُعَاة  
وأنهم عند انتصار الحق يلبسُون لبسةَ الهداة  
وأنهم قمامةٌ يفوخُ مِن خلالها الأذى  
وأنهم لمن يبيعُ دينه رفاقُ

وأنهم على الموحدين نارُ  
وعندما تكلموا ترهلت قواعد النُحاة  
لأنهم يا مُقلتي قوالب مُترجمة  
وخيبةً على الأنام ألقيتُ  
ولا احترامَ عندهم لسُمة الدعاة  
طعامهم لحومٌ من يوحد الملوك  
ويشربون من دماء من يتابع النبي  
ويرفعون أهل وحدة الوجود  
وعندهم في الاعتزال نبرةٌ علتُ  
وإن بدت لصالح الكفار معركة  
كانوا بها من أشجع الرُماة  
رماهُم الملوك بالعمى  
وصيرّ العزيزُ دروهم ومالهم وأرضهم غنيمَةً لمن هداهُ باردة  
ودمر القويّ كيدهم ، وكيد من وراءهم سعى!  
وحطم المُعز كل قوة بها يُدمرون عزة الذي لربه أنابُ

---

مُقلتي الحبيبةُ النديّةُ الجمالُ  
تُحرقُ الدموعُ وجنتي ، لأنني مسربلٌ مُكبّلٌ حزينُ  
ويقتل العذابُ خاطري في مفرق الطريقُ  
إما نظرتُ في اليمين راعني القلقُ  
وإن نظرتُ في الشمال هالني تنطعُ الرفاقُ  
وفي زماننا على الأشاوشِ العظام ، تجرأ العيانُ

مِنَ الَّذِينَ لَا رِشَادَ عِنْدَهُمْ وَلَا ضَمِيرَ  
مِنَ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ هَمَةَ الشَّهِيدِ  
مِنَ الَّذِينَ يَسْحَقُونَ كُلَّ بِسْمَةِ تُرَاوُدِ الْيَتِيمِ  
مِنَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ طِينَةَ الْوَبَالِ  
وَيَمْحَقُونَ كُلَّ عِزْمَةٍ تُرْصَعِ الْجَبِينِ  
وَيَسْتَهُونَ أَنْ يُلُوْثُوا الْبِرِّ  
وَيَنْبَشُونَ قَبْرَ (صَاحِبِ الْجَمَالِ)  
وَيَصْرِفُونَ عَن كَلَامِهِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا الْعَبِيدُ  
لِكِي تَجَهَّزَ الدِّيَارُ وَالنَّفُوسُ وَالْقِفَارُ لِلْيَهُودِ  
لِكِي يَرُوقَ لِلصَّلِيبِ أَنْ يَنْوَعَ الْفَسَادَ ، وَيُنْخَمَ الْبِلَادَ بِالْعِتَادِ  
لِكِي يَكْفَى الْمُنَافِقُونَ جَوْقَةَ الْفَنُونِ ، مِمَّنَ الَّذِينَ عُهُرَهُمْ نَمَا  
لِكِي تَكُونَ طُعْمَةً الصَّغِيرِ حَفْنَةً يَسْفَهَا مِنْ أَخْبَثِ الرَّمَالِ  
يَلُوْثُونَ سُمْعَةَ الشَّهِيدِ ، لَمْ يَخَافُوا الْآخِرَةَ  
وَيَكْسِرُونَ عَظْمَهُ عِلَانِيَةً  
وَيَنْسَلُونَ لِحْمِهِ وَالْجَيْدَ بِالْمُدَى ، وَيَسْلُخُونَ جِلْدَهُ بِلَا حَيَاءٍ!  
وَيَفْقَأُونَ عَيْنَهُ ، يُحْصَلُونَ فُوتَهُمْ كَمَا ادْعَوْا  
وَيَجْدَعُونَ أَنْفَهُ لِكِي تَكُونَ حِلْيَةً رَخِيصَةً لِعَاهِرَةِ  
وَيُثْرَعُونَ صَدْرَهُ بِظُلْمِهِمُ وَالْغَشَّ وَالْخِبَالَ  
وَيَمْلَأُونَ جَوْفَهُ بِالْإِحْتِيَالِ  
وَيَحْمَلُونَ لِلْعَدَا رُفَاتَهُ مَدْفُوعَةَ الْحِسَابِ  
لَأَنَّهُمْ يَا مَقْلَتِي مَعَاوِلَ النَّظَامِ ، وَجَوْقَةَ تُعْبَى السَّمُومِ فِي الْكُتُبِ  
مُنَافِقُونَ يَرْفَعُونَ رَايَةَ الرِّيَاءِ

و(ابن السَّلُول) سيّد لديهم مُهاب  
وخلفه بين الجموع يُطفئ السنا (مُسيلمَة)  
وعنده (سجّاح) تنسج الضلال ، وتنفخ الجحيم فوق طلعة الهلان  
و(الفذ) في غياهب السُّجون ثابت اليقين  
يستنصرُ الملك ، لا يخاف من طغي  
ولا يموت - إن دعا موحدًا إلهه - الأمل  
ولا تضيع عند ربنا أجور من عمل  
ولا يُخيّب الملك من دعاه مخلصًا  
وعندما (أمية) افتري ، دعا الجليل ضارعًا مستنصرًا (بلان)  
وربنا استجاب للموحد المشرّد المعذب الأسير  
وأرسل (الصديق) رحمةً يفوخ من دُجى الهلاك عطرها الجميل  
والطاهر البريء «عابد» تلوّكه الذناب  
يُخمّثون في وحشية جراحه ليشربوا الدماء  
لم يعلموا من الكتاب آيةً تُوحّد الملك  
لم يفقهوا من الحديث رُوحه من نبعه الأصيل  
حتى إذا تكلموا اعترأهم العنّار والهزّال  
لم يعرفوا الحرام - ويحهم - من الحلال  
وبالشّمّال يأكلون قوت من غفا من القطيع  
وبالشّمّال يشربون ماء من علا نحيبه المريغ  
وبالشّمّال يسنفكون عزة العباقرة  
كأنهم - يا ويحهم - على الذين أسلموا أكاسرة  
كذاك هم تعودوا أن يذبّحوا بعلمهم مروءة الرجال

لم يُدركوا حقوق أهل المعرفة ، من الذين أدبوا الطغاة  
والعلم في مجلداتهم له شَدَى يَفُوخُ  
فهؤلاء لم يُدلسوا لصالح العتاة  
ولم ينافقوا لنيل درهم زهيد ، أو مركب فريد!  
لأنهم يا قومنا عبادُ ذي الجلال  
لم يأكلوا على حساب دينهم ، لم ينهبوا نَصَارَةَ الهدى  
لم يشربوا دموعَ مَنْ يُوَزُّهُ هجيرُ الانفعال  
لم يعبأوا بما يزخرفُ الرعاةَ من صنوف الاحتفال  
ولم يُضللوا بما ارتأوه جيلنا المضيعَ الحقوق  
ولم يُتَوَّهوا يا مقلتي العوام ، ولم يُلَمَّعوا بالزيف عُرَّةَ المقال  
صاغوا الهداية التي من السماء أنزلت ، بإذن ربنا المليك  
على الرسول المصطفى نبيِّه الأمين  
وأخلصوا ولاءهم للواحد القدير  
وكان من لوازم السرور عندهم شهادةً عزيزةً يسوقها القدر  
يزفها رضا الإله عن عباده بساحة القتال  
تحملوا العذاب في سبيل ذلك الهدف ، وصاحبوا الشَّظَفَ  
وشردوا وجوعوا وزُزلوا ، وفي الجحيم أهبطوا  
وهذه (الأغلاط) لا تُسعِفُكم ، ولا اعتبار (بالمعائب) التي من خلفها النَّصَالُ  
ونسألُ الإله أن يُعِينَنَا على النَّقَى لأننا مُعذَّبونَ نشتكي  
يا رب جُدْ على الدعاة بالهنا  
ومتعة الحياة في جوار مَنْ أناب  
ولذة الطعام والشراب في رطوبة الرخاء

وبهجة النعيم في جوار من تشوقه القيم  
ونخوة الإباء في نضارة النضال  
وعزة المضاء في التسامخ الجهير  
لأنهم يُلغون دعوة المليك من شروق شمسهِ إلى الزوال  
و(صاحب الجمال) بينهم يقود جمعهم في الموكب الكبير  
مُعطّر الجبين في يمينه يراعةً تذود  
وفي يساره دوائه ، والحبر من دمه  
وفي النهى إرهاصة العطاء تنفعن  
وفي الفواد همة تضاءلت بسفحها الجبال  
وفي الضمير عزمة يفوخ من عبيرها الأريج  
وفي ترفع العظيم (عابد) تعفف بديع  
وفي إبانهِ تعاطم حماه عن تذلل العبيد  
والنيل من شموخه مُحال  
لأنه فوق اليراع يحمل الصعود للغلا ، ويرفع القرآن عالياً  
وفوق رأسه دماؤه يبيغها ، يريد جنة الكريم ربنا  
يبيع روحه رخيصةً ، كذا يبيع نفسه ، والمشتري هو الرحيم  
و(صاحب الجمال) بعد جولةٍ وجولةٍ وجولةٍ شهيد!  
يودع الحياة والعناء والشقاء والعذاب والفنا  
بإذن ربه سيدخل الجنان في دالان  
وسوف يشرب الردى عدوه اللدود  
ويسأل المليك من يرش لحدّه بنار من بغي  
وسوف تسقط الوجوه يومها من ذلة السؤال

ف (صاحبُ الجمال) يا عيالَ لم يمّت  
أقول ذلك الكلام كي تخففوا هجومكم ، وتحقّقوا سُعاركم  
أقوله لتلّفظوا لحومَ أهل العلم من بطونكم  
أقوله لتعلموا بأن من يموت في سبيل ربه يعيش  
أقوله لتقلعوا عن الجدال والعراك والنقاش والمِحال  
أقوله ، ولا أخاف من يخصم بماله الوفيّر ، والمنصب الكبير  
ويغرق العميل والخوونَ والجَهولَ بالنوال  
أقول: إن (صاحب الجمال) في عُيوننا مَصُونٌ  
كلامه الصحيح في قلوبنا فداؤه المَهَج  
بغیظكم موتوا وأعلنوا الحدادَ  
وكل مكر سييِّ بأهله يحيقُ  
وعند ربهم سيجمع الخصومُ يا غناء!

---

(شَايِلُوكَ) بيده السّكين...  
ويريد اللحم لينهشه  
وكذلك (فرعون) الطاغي...  
يعدو خلف سراب الوهم...  
وأراه بكل بطانته ، ينفخ أفعانا في المسرى...  
ويعربد في الأرض ويلهو...  
ويوزر بدعواه الملاء...  
وأرى (قارون) يؤيده...  
أما (هامان) وفرقتة ، فالى الإنسانية يدعو...

وبآلام العَجَزَةِ يلهو...  
وعلى أَنَاتِ الضَّعْفَةِ عَزَفَتْ فِرْقَةٌ هَامَانَ  
اللَّحْنَ العُدْرِيَّ طويلاً...  
وعلى أَشلاء القَتْلِ ، وعلى الأَكْبَادِ الحَرِيِّ  
يَقْعُدُ هَامَانَ وَيَخْطُو...  
أَلِىَ هَذَا الحَدِّ وَصَلْنَا؟  
وَالِىَ هَذَا الدَّرَكِ نَزَلْنَا؟  
سَلِّمْ يَا رَبِّ مِنَ الطَّاعُوتِ وَمِنَ عِبَادِ ضَلَالَتِهِ....

---

والمَاضِي الحَاضِرُ يَقْطِفُ مِنَ أَزْهَارِ الخَوْفِ...  
فَعَلَى الخَوْفِ نَبِيْتُ وَنَصْحُو...  
وعَلَى الخَوْفِ نَمُوتُ وَنَحْيَا...  
لَمْ نَخْشَ اللهَ وَلَمْ نَنْقِهِ...  
وَلِذَا خَفْنَا كُلَّ النَّاسِ...  
تَرْكِيبُهُ هَذَا الخَوْفِ تُخَالِطُ دَمْنَا وَتَرَانِبْنَا...  
وَالخَوْفُ يُعْرِبُ فِي الأَذْهَانِ بِكُلِّ سَبِيلٍ...  
وَالخَوْفُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الوَلَدِ وَبَيْنَ أَبِيهِ  
وَالخَوْفُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الأبِّ وَبَنِيهِ...  
وَالخَوْفُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الأَخِ وَأَخِيهِ...  
تَعَسَ الخَوْفُ وَتَعَسَ الخَائِفُ مَاذَا بَعْدُ...  
جَاءَ الإِنْسَانُ إِلَى دُنْيَانَا هَذِي مَرَّةً...  
وَلسَوْفَ يُفَارِقُ هَذِي الدُّنْيَا أَيْضًا مَرَّةً...



فِيمَ الْخَوْفِ؟ لِمَاذَا لَا يَنْتَحِرُ الْخَوْفُ؟

---

واللغة العربية تصرخُ فينا: أين جمال الحرف؟  
كيف تركتُم عربيتكم؟ كيف سخرتُم من أحرفها؟  
كيف هتكتُم عَفْوِيَّتها؟ كيف طعنُتم عربيتكم؟  
كيف قبلتُم هذا الضعف؟  
كيف تركتُم لُغَةً (جريراً) و(المتنبّي)؟  
و(الخنساء)؟ وكيف طواكم هذا الخسف؟  
كيف رضيتُم غير لسان العربِ الفُصْحى؟  
كيف تنكرتُم للنحو العربيِّ العذب؟  
كيف هجرتُم كلَّ عروض الشعر؟  
كيف نهزتُم كلَّ بريءٍ دافع عنها؟  
كيف ذبحتُم كلَّ لسانٍ فدَّ فحلَّ؟ كيف؟  
بل كيف محققتُم حنفيَّتكم ، وشربتُم دمَّ (أصحاب الكهف)؟  
كيف تخلّيتُم - يا قومي - عن عزتكم؟  
كيف تركتُم ظلَّ الرُّمَح ، وخذَّ السيف؟  
يومَ تركتُم حنفيَّتكم فلماذا لم يبقَ العُرف؟  
دمعي في الفلوات تحدرَ رعمَ الأنف...  
وأنا اللغة العزلى أبداً....  
ودمي في أوردتي جف.....  
وأحاول جاهدة أن أنصحكم  
وأحاول أن أبعث عنكم كل ريك لأعالجكم

وأحاول أن أرشدكم

أَتَذَكُرُ مِنْ صَفَحَاتِ الْمَاضِي الذَّابِلِ هَذَا الطِّفْلِ...  
لَحْظَاتِ الْعُمَرِ الرَّاحِلِ تَحْتَ تَرَابِ الْأَرْضِ...  
وَالْأَمَلِ الْمُتَحَشِّرِجِ أَبَدًا فِي شُرْيَانِ الْكَوْنِ...  
وَأَسْأَلُ نَفْسِي ، كَيْفَ يَضِيعُ الْأَصْلُ؟  
قَدْ كُنْتُ عَلَى فِطْرَةِ رَبِّي...  
وَحَيَاتِي فِي زَوْرِقِهَا تَسْعَى...  
وَأَنَا أَحْيَا وَسَطَ الصَّخْبِ ، وَوَسَطَ الْخَلْقِ...  
وَكَذَلِكَ أَحْيَا بَيْنَ الْأَهْلِ...  
أَسْتَمْتِعُ بِجَمَالِ الظِّلِّ ، وَأَشْدُو...  
وَأُدَاعِبُ فِي الْقَرْيَةِ صَحْبِي...  
وَأَعُودُ إِلَى بَيْتِ الْأُسْرَةِ أَعْدُو ،  
إِنْ حَانَتْ سَاعَاتُ الْأَكْلِ ،  
أَوْ فَاجَأَنِي عَبْرَ اللَّعِبِ اللَّيْلِ...  
حَتَّى فِي مَدْرَسَتِي أَلْهُو ،  
وَأُحَدِّثُ كُلَّ أَسَاتِذَتِي ،  
لَا أَخْشَى بَأْسَ وَظِيفَتَهُمْ ، أَوْ حَتَّى حَجَمَ عُقُوبَتَهُمْ...  
وَالْأَدَبُ الْجَمُّ رَفِيقِي فِي التَّعْبِيرِ ، وَفِي التَّفْسِيرِ...  
فَأَعْبُرُ عَنْ نَفْسِي - دَوْمًا - فِي حُرِّيَّةٍ...  
وَأُودِّعُ كُلَّ لَهَيْبِ الْخَوْفِ الصَّامِتِ مِثْلَ الْوَتْنِ عَلَى حَنْجَرَتِي...  
وَأُوضِّحُ رَأْيِي فِي جُرْأَةٍ...

حتى إن كَلَّفَنِي ذلك رُوحِي...  
فَأَحَبَّ أَسَاتذَتِي كُلَّ كَلَامِي ، وَتَعَابِيرِي...  
عَلَّمَنِي ذلك (عَرِيفُ القَرِيَةِ) ثُمَّ (أَبِي)...  
ولقد أَشَقَّتَنِي تَجْرِبَتِي هَذَا...  
كُنْتُ أَقَابِلُ فِي مَفْخَرَةِ أَصْحَابِ أَبِي ،  
كُنْتُ أَحَدُهُمْ عَن نَفْسِي...  
كَانَ الوَاحِدَ مِنْهُم يَفْرُحُ أَنِي فِي اسْتِقْبَالِ فَضِيلَتِهِ...  
كَانَ أَبِي يَفْتَخِرُ بِقُوَّةِ عَزْمِي عِنْدَ نَزُولِ الضَيْفِ...  
مِثْلِي - فِيمَا أَفْعَلُ - مِثْلُ جَمِيعِ الطِّفْلِ...  
سِتُّ سَنِينَ مَرَّتْ مِنْ أَيَّامِ العُمُرِ الوَاجِمِ تَجْرِي...  
وَأَنَا - خَلْفَ سِنِي العُمُرِ الثَّائِرِ - أَجْرِي...  
هَلْ كُنْتُ أَظُنُّ بِأَنِي - يَوْمًا - سَوَفَ أُسَاقُ عُمْرِي؟  
لَكِنْ أَقْدَامُ العُمُرِ الرَّاحِلِ لَيْسَتْ تَعْرِفُ «هَلْ».....

---

أَتَذَكُرُ مِنْ أَيَّامِ العُمُرِ الذَّاهِبِ يَوْمًا لَيْسَ يُفَارِقُ عَيْنِي...  
يَوْمَ كَتَبْتُ الشَّعْرَ أُعَبِّرُ عَنِ الآمِي ،  
عَنِ تَجْرِبَتِي ، وَأَعَبِّرُ عَنِ أَيَّامِ حَيَاتِي...  
وَتَعَسَّرَ شِعْرِي بَيْنَ أَنَامِلِ قَلْمِي...  
وَتَعَالَتْ صَيْحَةُ دَمْعِي ، يَا وَيْحَ الدَّمْعِ...  
وَبُحُورُ الشَّعْرِ تُعْرِقُلُ كُلَّ جَوَادٍ ، لَيْسَ يُجِيدُ الشَّعْرَ...  
وَلَهَا أَحَدٌ بِالأَلْبَابِ شَدِيدُ الوَقْعِ...  
يُلْهَبُ ظَهْرَ غَلِيظِ الطَّبَعِ...

إِنَّ الشُّعْرَ رَهَيْبُ الْفَحْوَى...  
أخشى من رهيبته - يوماً - أن يتتحرَّ النَّبْعُ...  
وأفتشُ في أروقة الشعرِ عنِ الخِلاَنِ...  
وأفتشُ في رحمِ الكلماتِ النَّشْوَى...  
لا ألقى شعراً ، أو أدباً...  
وكتبتُ شعوري شعراً...  
حتى طالعتُ عروضَ الشُّعْرِ...  
ذهبَ الظمأُ ، وأفطرَ قلبي ، وانفشَعَ الرَّوعُ...  
وكتبتُ كثيراً ، وكثيراً...  
وسمعتُ نصائحَ أستاذي...  
فقرأتُ كثيراً جداً ، ثم قرأت...  
وزرعتُ الشُّعْرَ بأرضِ الشعرِ...  
فأتمرتُ في تجربتي الحَرَى كُلَّ الزَّرْعِ...

---

حتى كانَ الحادثُ هذا ، فتحديتُ جميعَ الشُّعْرِ...  
قلتُ: يميناً أكتبُ في تغزيرةِ العين...  
وعلى كلِّ محورِ الشعرِ كتبتُ شعوري ، بلْ والدَّمْعُ...  
كانت هذي أولَ مرَّة ، وكذلك هي آخرُ مرَّة...  
أولَ مرَّة: أكتبُ فيها شعرَ النَّثرِ ، ونثرَ الشُّعْرِ...  
وأقدمُ أسْفِي للشُّعْرَاءِ وللأشعارِ...  
ويكفي هذا من أوراقِ الماضي الضاربِ في طيَّاتِ العُمُرِ...  
وكذلك في طيَّاتِ القلبِ ، وجَوْفِ الصَّدْرِ...

يكفي ما قدمت من الأشعار لمن يقرأها  
يكفي أن كانت أشعاري ترجمة لسني العمر

---

وتذكرت حياة المعهد ، في بلدٍ شبيهة قريتنا...

حيث نشاطٌ يملأ كل الجوّ عييراً...

وتلاميذي هم أصحابي ، وأحبائي...

فلهم كنتُ «أبش» كثيرا ،

ولخاطرهم أملأ أرضَ الفصلِ حريراً...

ويُحبون لقائي دوماً...

وإذا قلتُ: استمعوا ، استمعوا...

ورأيتُ الجوّ هناك يصيحُ الأذناً...

ورأيتُ كذاك الصمتَ وفيراً...

يا أولادَ المعهدِ كنتم زادا للمستقبلِ أبداً.....

زاداً لستُ أراه يسيراً...

كنتُ أعطرُكم تعطيراً...

كنتُ أراكم أفضلَ ما في (المعهدِ) حقاً...

أسمى ما في (المعهدِ) أنتم صدقاً ...

أطيبُ قومٍ أنتم عرقاً....

كنتُ أراكم رغمَ ضغوطِ الواقعِ هذا عدةً مُستقبلنا الحالِكِ

وصناديدِ الفكرِ ، بكم تتحررُ كلُّ عقولِ النَّاسِ...

وجهازةِ الأدبِ القاطعِ أرضاً نحوَ البأسِ...

ورياحينَ الأرضِ الظمأى...

كنت أراكم - رغم تحدي الدنيا - فوق الرأس...  
كنت أرسخ في أذهان كثير منكم أنا أسرى...  
وكذا الدار سليبة من نهوها ، في غفلتنا...  
في غفلة أجدادٍ أيضًا كانوا ينتسبون إلينا...  
فورثنا الرأية في قيعان الأرض عليها العار...  
وشربنا الذل كئوسًا ملأى ، وكذاك شربنا النار...  
رقص الشيطان أمام الكل ، فقال الجيل السابق: يا مولانا...  
والآن سنبدل دمننا يا أولادي في إرجاع الحق الضائع منّا...  
ماذا قلتم؟ فأجابوني: نحن وراعك يا هادينا...  
كنت أراكم يا أولادي ، وعليكم هالة أنوار...  
كنت أرى شعلتكم أزهى من جوهرة الماس...  
وبذلت لكم تجربتي والخبرات الجمّة...  
وبذلت إباتي ، والإحساس...  
ورجوت الله يبارك فيكم ، يجعلكم ربي في القمّة...  
يجعل كل غلام منكم لجميع الخلق النبراس...  
كان الخوف وباء فيكم يُعدي...  
فزرعت مكان الخوف القاتل جُراًة...  
وغرست شجاعة نفس تسحق ذل الجبن...  
دوّنت العزة فوق جبين الواحد منكم...  
ثم بدرت شموخي في القرطاس...  
وحرثت الأرض مرارًا ، وبلا مقياس...  
لأسجل في ديوان الواحد منكم حُبّ الحق...

وَكُزَّةَ الْبَاطِلِ ، صَارَ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ صَلْبًا كَالْمِثْرَاسِ...  
غَيْرِي كَانَ يُرْسَخُ حُبَّ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ...  
وَمَحَبَّةَ ظِلِّ قُبُورِ الْمَوْتَى...  
وَالنُّسْكَ لغيرِ اللَّهِ الْمَوْلَى...  
وَكَذَا دَعْوَةَ غَيْرِ الْمَوْلَى...  
غَيْرِي كَانَ يُؤْصَلُ حُبَّ الْمَوْلِدِ ، وَالْأُورَادِ...  
كَانَ يُرَوِّجُ فِي الْأَوْلَادِ لِحُبِّ الْبِدْعَةِ...  
وَكَذَا يَدْعُو لِلْأُورَادِ الشَّيْطَانِيَّةِ...  
بَلْ كَانَ يُمَهِّدُ لِلدَّجَالِ الْأَعْوَرِ ، يَا لِلْجَهْلِ...  
وَحَدِي كُنْتُ أَحْطَمُّ كُلَّ أَبَاطِيلِ الصَّرْعَى...  
وَدَعَاوَى الْبَاطِلِ هَذَا بِالْفَاسِ...  
وَيَسْتُ مِنَ الْإِصْلَاحِ...  
مِسْكِينٌ قَلَمِي هَذَا ، مَوْعِدٌ قَلْبِي هَذَا...  
يَطْلُبُ مَاءً فِي النَّارِ ، يَغْسِلُ بِالْحَقِّ وَجُوهَهَا جَلُّهَا الْعَارُ...  
فَتَرَكْتُ الْمَعْهَدَ ، وَالْأَوْلَادَ جَمِيعًا لَمَّا حَطَّمَنِي الْيَاسُ...  
وَفَرَرْتُ بِدِينِي ، مِنْ شَيْطَانٍ يَتَعَقَّبُنِي...

---

وَتَذَكَّرْتُ السُّوقَ يُجَاوِرُ فِي قَرِينَتِنَا بَيْتِي...  
وَأَنَا أَقْصِدُ سُوقَ الْقَرْيَةِ ، أَبْغِي زَادَ الدُّنْيَا...  
زَادَ الدُّنْيَا سَبَبُ شَقَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ...  
دَخَلَ الشَّيْطَانُ لِأَدَمَ يَا نَفْسِي مِنْ هَذَا الْبَابِ...  
أَغْرَاهُ بِأَكْلِ ثَمَارِ الشَّجَرَةِ...

وَسَوْسَ فِي إِغْرَاءٍ فُورِي...  
وتظاهرَ بالنُّصْحِ ، وقال نصحتُ...  
قاتلَ رَبُّ النَّاسِ النَّصْحُ...  
أحدثَ هذا النَّصْحُ جراحًا شَتَّى...  
كانت جُرْحًا يسعى خلفَ ظلالِ الجُرْحِ...  
والإيليسُ عليه اللعنة...  
أمسكَ في الأزمةِ بالرُّمَحِ...  
أحدثَ في دُنْيانا البلوى...  
واستعبدَ أجناسًا شَتَّى...  
وتمادى في كيلِ المدخِ...  
زادُ الدنيا كانَ السببِ...  
وكذا الدنيا كانت سببًا...  
سبباً في تخميشِ القَرْحِ...  
سوقُ هذي الدنيا حقاً...  
يُشبهُ في منظره سوقَ القريةِ مثلَ الصَّرْحِ...  
أذهبُ سوقَ القريةِ وحدي...  
أخذُ من إنتاجِ الأرضِ...  
ثمَّ على الدراجةِ أعدو ، أقطعُ أرضًا حتى البيتِ...  
ذكرى سوقِ القريةِ هذي في أخيلتي مثل الصُّبحِ...

---

وتذكرتُ البحرَ بمهبطِ رأسي...  
وكأنني أخطفُ من ذاكرةِ البحرِ الموجِ...



حتى ليكادَ بريقُ الرملِ على سَاحِلِهِ يطفو...  
ويداعبُ كلَّ صخورٍ تاهتْ قد ألقاها البَحْر...  
يا ليتَ البَحْرَ تمادى في تدليلِ الصَّخْر..  
لكأنَّ البَحْرَ جوادٌ ، والأحجارَ السَّرْجُ...  
يندمجُ البَحْرُ بقلبِ الصَّخْر...  
ما أحلى ذاكَ الدَّمجُ...  
والماضي المائلُ فوقَ رَمادِ التُّلِّ...  
ينسابُ قتيلاً في هَمَزاتِ خريِرِ المَاءِ...  
يأتي الإِغْصَارُ يَضْمُحُهُ بدماءِ التَّلْجِ...  
وأقابلُ - عندَ البَحْر - عَشيقاً أجمه العِشْقُ...  
ملاحٌ تاهَ ببِحْرِ التَّيِّه ، وأغمدَ سيفَ هَواه...  
أشمتَ فيه نُسُورَ البَحْرِ...  
أشمتَ فيه كذلكَ كلَّ ذنابِ البَحْرِ...  
وغشى الملاحُ سحابَ يَحْمِلُ نُورَ الحَقِّ...  
فَرَمَى المِجْدافَ ، وقامَ بوجهِ طَلْقُ...  
وتنسكُ دهرًا ، ثمَّ طواهُ العُمُقُ...  
وانجرفَ سريعًا في تَيَّارِ الصِّدْقِ...  
وتحررَ مِنْ عِبْدِيَّةِ غَيْرِ اللَّهِ ، وَودَعَ غُلَّ الرِّقِّ...  
أدرِكَ حَجَمَ الفِرْقِ...

---

ثمَّ تذكَّرَ ماضيَّ أمسٍ ولى ، فتناولَ أقلامَ الشُّعْر...  
وكذلكَ داعبَ كلَّ قوافي الشعرِ ، فبكى - بالشعر - الهُدْي.

وبكى بالشعر النور ، وهاج وأرعد يبكي ألمًا كلَّ الخلق...  
وكذلك يبكي الحق ، وأخيرًا يبكي تيهًا أغرق أرض الشرق...

---

مُقَلَّة الآمال أدتني الجراح...  
وطيوف الشعر في قلبي غفت...  
والأغاريد الصّاح...  
إنما الآلام تُزكيها تعاويد الشفاء...  
كيف هذا الحزن في قلبي نَمًا؟  
كيف صار الحرُّ كالكلأ المُباح؟  
يشرب الأتراح من بعد النّواح...  
وتجرُّ العائدات إباءه وكيانه ،  
فيعاني ، ليس يسمعه صديق أو حبيب ،  
ثمَّ يبكي ، ليس يبصره خليل أو رفيق...  
وإذا أحشاؤه كَلَمَى تُعانقها البطّاح...  
فيقول الرَّمْلُ مَرَحَى بالذي  
عارض الكلَّ ودوى كالريّاح...  
رفض الدُّلَّ ، ولم يرَضَ الخَنَا...  
مَرَّقَ الإغراء: عمدًا والرخا ،  
جاءه المألٌ وفيرًا كالمطر ،  
فرماه ، واعتلى متنّ الصّلاح...  
وعلى أحلامه رَفَع النّوا:  
راية التوحيد ، والهذي الشّريف

لكنَّ الرايةَ في قوم سُكَّارَى  
منَ بَرِيقِ المَالِ حَاكُوا أَلْفَ بُهْتَانٍ صُرَاخِ ،  
وكذا حَاكُوا مِنَ الزُّورِ البَوَاخِ  
أَلْفَ تَضْلِيلٍ يُغْشِي كُلَّ أُنْوَارِ الصَّبَاخِ  
فَامَشَ فِي الأَنْوَارِ وَحَدَّكَ يَا صَدِيقِي  
إِنَّمَا الكُلُّ ضِبابٌ وَسَرَابٌ يَا رَفِيقِي ...  
ضَيَّعَ الأَجْدَادُ مِنْ قَبْلِ عُرَى المَجْدِ العَرِيقِ...  
وكذا الأَحْفَادُ يَجْتَنُونَ أَمَادَ الطَّرِيقِ...

---

مُفَلَّةَ الأَحْلَامِ ، مَاذَا سَيَقُولُ النَاسُ عَنِّي؟  
سَيَقُولُ القَوْمُ: إِنِّي بَعْتُ عَيْنِي  
لِسَرَابِ الشَّعْرِ ، والآهَاتُ تَمَثِيلٌ مُقَفَّى...  
أَيُّهَا العَيْنُ ، هُرَاءٌ مَا يُقَالُ  
وتَخَارِيفٌ تُدَاجِي ، وَأَبَاطِيلٌ يُحَلِّيها الضَّلَالُ!  
وهُرَاءَاتٌ كعزِيفِ الجَنِّ أَوْ هَزَلِ العِيَالِ...  
إِنَّمَا نُورٌ بَعِينٌ يَتَجَلَّى ، وَيُعْنِي ،  
أَخَذْتُهُ الرِّيحُ والأَهْوَالُ مِنِّي...  
فَرثَيْتُ العَيْنَ بِالشَّعْرِ  
لأنَّ الشَّعَرَ مِضمَارِي وَفَنِّي  
وَعَلَى جَمْرِ دِمَائِي وَسُهَادِي  
عَشْتُ أَيَّامًا يُعْطِي مِنْ أَسَاها العَجْزُ وَجْهِي ،  
وَأَنَا فِي الكَرَبِ وَحَدِي....

أيها العينُ أجيبني عن سُوالي:  
 ما يقولُ الناسُ طيبَهُمُ وسينهُمُ أيا عيناهُ عني؟  
 إنَّ في أعماقهم سُؤالاً يُداجي  
 ويحابي ، ويُناغِي ، وأنا من حُسْنِ ظنِّي  
 أحسبُ الغدارَ منهم من صحابي  
 سيقولُ الناسُ: هل بالشعرِ يُشْرَى كلُّ شيءٍ؟  
 هل بهذا الشعرِ تَبْنِي في دُنا الأَقْوامِ بيئاً؟  
 هل سيأكلُ منَ تعولُ - اليومَ - شعراً؟  
 هل تُعْطِيهمُ مِنَ البَرْدِ الرَّهيبِ ببيتِ شعرٍ؟  
 هل تكيُلُ المَالَ للأولادِ بالوزنِ العروضي؟  
 وصواعُ الشعرِ هذا هل سيكفي  
 للذي تحتاجُ زوجَكَ منَ رِياشٍ؟  
 هل ستُسكِنُ الأولادَ والزوجاتِ في أبياتِ شعرٍ؟  
 أيها العينُ أجيبني كلَّ هذا في وضوح ، لا تُكْنِي:  
 إنَّ هذا كلُّهُ زورٌ ، وإنَّ لاحَ سنّاهُ ،  
 وضلالٌ وانحرافٌ كأباطيلِ الغُفّاهُ ،  
 أو كآثارٍ على الرَّمْلِ لأسرابِ الشّيّاهُ...  
 إنَّ هذا الشرعُ أكسيرُ الحَيّاهُ...  
 عِزّةٌ أنْ يَخْرُجَ ابني للحياة  
 ليقولَ لجمعِ الحلقِ نصاً محتواه: هذه الأبياتُ غناها أبي  
 هذه الألحانُ ألفها بريشتِهِ ومغزلهِ ومنجّلهِ أبي!  
 ذلك الإيقاعُ طرزُهُ ونمقُهُ وزخرفُهُ وهذبه أبي!

ثُمَّ يَصْغِي مَنْ يَرِيدُ الْحَقَّ غَضًّا لِلْفَتَى...  
فَيَقُولُ الْعَاقِلُ الْمَقْدَامُ مِنْهُمْ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَاكَ.....  
وَسَيَاتِي غَيْرُهُ فِي التَّوَّاسِرِ مَسْرُورًا يُهَيِّئُ...  
إِنِّي أَسْأَلُ فِي عِتَابِ مَنْ يُدَاجِي:  
مَا يُرِيدُ بَعْدَ هَذَا الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ شِبْلِي؟  
أَيُرِيدُ الْعَيْشَ فِي الْقَصْرِ الْمَشِيدِ؟  
أَيُرِيدُ الْمَالَ وَالْعِزَّ التَّلِيدَ؟  
أَمْ يُرِيدُ الْوَحْلَ فِي قَعْرِ التَّدَنِّي؟  
قَدْ نَسَجْتُ الشُّعْرَ جَلْبَابًا لَهُ ،  
وَقَصِيدِي فِي الْمَعَالِي وَالسَّجَايَا صُغْتُهُ ،  
كُلُّ هَذَا الْمَجْدِ قَدْ طَرَزْتُهُ ، وَكَذَا الْإِشْرَاقُ قَدْ دَبَّجْتُهُ...  
بِعَذَابِي وَدَعَائِي وَدُمُوعِي وَدَمِي نَمَّقْتُهُ...  
لَوْ أَرَدْتُ الْمَالَ بِالشُّعْرِ لَضَاعَفْتُ الْعِنَى ،  
وَلَمَّا كَانَ افْتِقَارِي لِلْبِرَايَا مَعْلَمًا...  
إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَهْلٌ هَيِّنٌ!  
غَيْرَ أَنِّي عَنْ حَيَاتِي كُنْتُ قَدْ بَاعَدْتُهُ.....

---

أَيُّهَا الْعَيْنُ كَفَانِي مَا الْأَقْيَمُ مِنْ هَوَانٍ...  
كَمْ دَفَقْتُ الْحَقَّ كَالزَّلْزَالِ فِي سَمْعِ الْجَبَانِ ،  
وَبَذَرْتُ النُّورَ فِي كُلِّ مَكَانٍ...  
يَسْتَهْدُ الْأَقْوَامُ هَذَا وَالزَّمَانَ...  
لَمْ أَحْنِ عَهْدِي ، وَإِنْ خَانَ الرَّفَاقُ...

وطعنتُ العَدْرَ - جَهْرًا - بالسَّنَانِ ،  
وشربتُ المرَّ ممَّنْ نافقُوا...  
فَتَحَدَّثْتُ الصَّمْتَ سَيْفًا بَعْدَمَا بُحَّ اللِّسَانُ...  
ثم في قِرطاسِ شِعْرِي يَزْرَعُ النُّورَ البَيَّانُ...  
وترش النارَ فوق قِرطاسِي القِيَانُ...  
وأريحُ الشَّعْرَ يَغْلِي فِي الحِفَانِ ،  
بعْدَمَا آنَ الآوانِ ، وتوارتِ صرختي في ظلام الصولجان!

---

آه ، قد عَزَّ الإِبَاءُ ، وطابَ للذُّودِ الحِمَى ،  
واستأسدَ السُّنُورُ فِي دُنْيَا الوَرَى ،  
وَ«أَبِيْسُ» يَذْبَحُهُ الخَوَارِ بِلا عَرَى ،  
واسترجلت في ساحنا الغَيْدُ الحِسانِ ،  
والناسُ قد باعوا الجِنانِ ،  
ورضُوا بَعِيشِ الذُّلِّ ، وانجَابَ الأمانُ...  
وإذا بالعلمِ مَقْطُوعِ الوَرِيدِ ،  
بعْدما ديسَتِ بكلِ ضرواةٍ قِيَعَانُهُ...  
وإذا بالدَّابَّةِ العَجْفَاءِ تَأْكُلُ فِي الهُدَى  
وكذاك تلتهمُ الفطاحِلُ مَنْ مَضُوا ،  
وتدوسُ مِنْسأةَ البَيَّانِ! والأصاحيكُ توارتِ بعْدما عَزَّ الحنانُ!  
وأقولُ: ماذا يا دجاجلةَ الهوانِ...  
الحق سوفَ يُبيدُكم وِبِرْغَمِ طَنْطِنَةِ الجَبانِ.....  
وأنا أسائلُ فِكْرَتِي وَقَرِيحَتِي:

فأقول: ماذا خلفَ أشرعةَ القَصَا؟

ماذا تُخبئُ - يا تُرى - أيَّامُنَا؟

حتى متى في الدار ينْعَقُ يا تُرى هذا الجراد؟

وإلى متى أفعالُ أغربةِ الهوان؟

---

مُقلّة الخيراتِ ، يا عزّاً مَضَى:

أعلني بقضاءِ مولانا الرضا ،

واستسلمي لله ، كوني قُدوةً ،

لا تَقْطِبي أبداً فإنك في الرزايا صابرة ،

فاستفيقي من كوابيس العذاب الجائرة

أنت في الدنيا إباءً ومضاً...

فلماذا لا تُحبِّينَ القَصَا؟

إنّما الآمالُ في الدنيا سبيلٌ...

والأمانى مُقبلاتٌ ، ليسَ يكفيها القَصَا...

فلماذا الحزنُ دوماً ، والجوى؟

عَيْنُ كُفَى الدَمْعِ هذا واصمدي ، إنّما العُمُرُ مَضَى...

كنتُ في الماضي أحنُّ إلى البقا ،

وأُسَلِّي النفسَ وَسَطَ الصَّحْبِ لا ألقى عَنَّا...

كنتُ أتركُ مَنْ أساءَ ولم يكنْ مُترَفِّفاً...

كُنْتُ أحياءَ للجميعِ كشمعةٍ تَهْوَى السَّنَا ،

وأزخرفُ الظلَّ الظليلَ على جدارِ شبيبتي ،

وأعطرُ الذكرى بمِسْكِ المُلتقى

كَانَ حَبِي لِلْحَيَاةِ مُتَوَجِّحًا بِتَرْفُوعِي...  
فَأَرَى الْجَمِيعَ بِكُلِّ نَفْسٍ رَاضِيَةً...  
وَأُحِبُّ فِي دُنْيَا الْأَنَامِ جَمَالَهَا ،  
وَأَمْتَعُ الْعَيْنَ ، وَأَشْدُو لِلْحَيَاةِ...

---

إِنَّ نَجْمَ الْعُمْرِ صَعْبُ الْمُرْتَقَى...  
فَلِذَا آثَرْتُ سَكْنَى خَيْمَتِي...  
بَعْدَ أَنْ عَزَّ اللَّقَا...

كَيْفَ يَا قَلْبِي الذَّبِيحُ تَحَوَّلَتْ بِكَ هِمَّتِي  
أَصْبَحْتُ كَمَا مُهْمَلًا  
وَعَلَى جَبِينِ الْحُرِّ تَنْفَعُلُ الْكَابَةُ وَالْبُكَاءُ...

يَا نَفْسُ هَلْ لَكَ مَوْنٌ؟

قَوْلِي: وَهَلْ لَكَ فِي الرِّزَايَا صَدْرُ خَلٍّ لَيْسَ يَخْذُلُ مَنْ أَحَبَّ؟

أَهْ مَا أَقْسَى جَوَابِكَ عَبْرَ هَالَاتِ الشَّقَا...

يَا نَفْسُ مَاضِي الْعُمْرِ وَلِي ، فَاصْنُدِي...

كُنْتُ خَيْرَ النَّاسِ حَزْمًا وَإِبَاءً وَاحْتِمَالًا وَمَضًا ،

فَإِذَا بِالْحَزْمِ وَلِي ، وَإِذَا بِالْعَزْمِ أَرْدَاهُ الْأَسَى ،

وَإِذَا بِالْكَهْفِ ضَاقَتْ سَاحَتُهُ ،

وَإِذَا بِالْكَوْنِ أَمْسَى ظُلْمًا ،

وَإِذَا بِالْكَوْخِ أَضْحَى أَضِيْقًا ،

وَإِذَا بِالْكَيدِ أَوْدَى بِالصَّحَابِ وَبِالرَّخَا ،

وَإِذَا بِالْحَزْنِ يَبْنِي قَلْعَةً فِي مُهْجَتِي ،



وإذا الحاضر سيفٌ ليس يرحمُ بئسًا ومُضيقًا ،  
وإذا بالصَّحْبِ آسادٌ تُمزقُنِي بدونِ هُوادَةٍ ،  
وإذا بالجرحِ أُمسى أعمقًا...  
أيُّها المَاضِي رَحَلْتِ ، فهل تَرى لك عَوْدَةً؟  
أم قد فَقدتِ ببحرِ حُزني المَرفَأَ؟!  
اسبِحِ إليَّ إذا عَدِمْتَ الزورِقَا...  
ابحثِ - فدتكِ الروحُ - عني تَلَقُّني  
في مَازقِ صَعْبٍ يُدمرنِي ، ويرسلُ في الدِّياجي مَازِقًا...  
أبدًا تُداهمُنِي الخطوبُ ، وليس يَسمَعُنِي الوري ،  
وكأني «رُحٌّ» بأيدي مَنْ طَعَى  
يترفعُ الشَّطرنجُ عن تجريحِ مَنْ قد أسلمُوا...  
لكن الصَّخْرُ الذي في قلبِ خَلِيٍّ لَيسَ يَسمَعُ صرَّخَتِي...  
يَتقاسمُ الأصحابُ عِرضِي في الوري  
وعديمُ الوُدِّ منهم قد أبادَ البِيدَقَا...  
ثمَّ أقبلَ مِنْ جَحِيمِ اللَّيْلِ يلبسُ حُودَةً ،  
وتواري في نفاقٍ باهتٍ...  
ثمَّ باعَتني بضربةِ غادرٍ ، واستباحَ الفَيْلَقَا ،  
ثمَّ مِنْ غَلٍّ يُقَطِّعُ قلبَهُ  
حَطَمَ النُّورَ الزكِيَّ المُشرِقَا ،  
وأزالَ العِزَّمَ ، واجتثَّ الضيَّا...  
أه مِنْ حِرْبَاءٍ تُظهِرُ حُبَّنَا  
ثمَّ تُضمِرُ في سُويداءِ الفؤادِ لهيبها المُتَحَرِّقَا...!

إيه يا دنيا فغري غيرنا  
نحن أدركنا في الدياجي سيرنا

---

وقطارُ الرحمة أركبُه ، بعدَ الفجرِ إلى الكليَّة...  
وله مرأى عذبٌ عذبٌ...  
فالأقوامُ كمثَلِ السَّرْبِ...  
وأقابلُ رُفقاءِ الدَّربِ...  
مِشوارُ حياةٍ مُزدهرٌ ، يذُهبُ في مسرِّدِها الكُربِ...  
وكفاحٌ لا يخبو أبداً ، مثلُ النِّجمِ...  
والعُمُرُ على هامِشِ دربي...  
يَهزأُ بالملهاةِ الكُبرى  
لا يَعرفُ أبعادَ الخُطبِ...  
عِشْرَةُ أعوامٍ يا قومي:  
أدرسُ فيها لُغةَ العَرَبِ...  
وتعلِّمتُ حياةَ الجِدِّ...  
كمُ أغرثني فِتْنُ الدُّنيا...  
وتحداني فيها الرِّيبُ...  
بينَ ذواتِ الكَعْبِ العَالي...  
وكِعابِ أَتَقَنَّ فُنُونِ العُجبِ...  
بِعَنِ الدِّينِ ، وبعَنِ التَّقْوَى ،  
وتعلمنُ ضُروبَ الحُبِّ ،  
وأسرُنَ العِزْمَةَ واللُّبَّ...

هَنَّ نَتَاجِ الْبِينَةِ هَذِي...  
يَوْمَ تَخَلَّى عَنْ تَرْبِيَةِ الْبُنْتِ الْأَبِ ،  
قَدَّمَهَا فِي سُوقِ الْهَزْلِ نَظِيرَ دَرَاهِمِ مَعْدُودَاتٍ...  
وَالْمَجْتَمَعُ الْغَارِقُ فِي آبَارِ الذَّنْبِ...  
وَالكُجْرَاءُ وَمَعْبُودَاتِ شَتَى ، عُيِدَتْ فِي سَاحَاتِ الْعُرَى...  
يَوْمَ تَنَازَلَ عَنْ تَوْجِيهِ فَتَاةِ الْجِيلِ شُيُوخُ الْعِلْمِ...  
يَوْمَ امْتَلَأَتْ بِالْعَفْنِ الْفَنِيِّ دِمَاحُ فَتَاةِ الْجِيلِ...  
عَجَبًا: كَيْفَ يُبَاعُ الْعَرِضُ لِيُمْلَأَ بِالْأَمْوَالِ الْجَيْبِ...

---

وَنَصَحْتُ كَثِيرًا ، لَكِنِّي لَمْ يُسْمَعْ لِي...  
قِيلَ تَكَلَّمْ سَنَةً ، لَنْ تَلْقَى مَنْ يَسْمَعُ لَكَ...  
كَانَ نَذِيرِي يَمْلَأُ نَفْسِي ، لَكِنِّي أَثَرْتُ الصَّمْتِ...  
قَلْتُ لِنَفْسِي: كُفِّي هَذَا ، وَتَخَلِّي عَنِ نُصْحِ الرِّكْبِ...  
فَالْمَوْجَةُ عَارِمَةٌ تَلْفَحُ مَنْ يَقْتَرِبُ وَيَدْنُو...  
إِنِّي أُرْعَمُ أَنْ دَمَارًا سَوْفَ يُزِيلُ الْفِتْنَةَ هَذِي...  
لَكِنْ ، فِي طَيَّاتِ الْعَيْبِ...  
سُنَنٌ لَا تَتَخَلَّفُ أَبَدًا ، تَأْخُذُ مَنْ أَفْسَدَ بِالْعَصْبِ...  
تَنْصِبُ مِيزَانًا لِلْخَلْقِ...  
وَتُحَاسِبُهُمْ: فَرْدًا فَرْدًا...  
عَشْتُ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْأَعْوَامِ ، وَسِرْتُ بِقَلْبٍ عَطْبٍ...  
وَضَعْتُ كَارِثَةَ الْإِثَامِ بِقَلْبِي رِيحَ الْحَرْبِ...  
وَمَشَيْتُ ، وَكُلِّي ذَنْبٍ...

وتجندل - عبر صِراعِ القِيمِ - الأَرْجُ العَذْبُ...  
وتحطَّم في آماذ الوَهْمِ العُمُرُ الرَطْبُ...  
وغزا قلبي رِغْمَ صِبَاهِ الشَّيْبِ...  
وصدَّقْتُ ، وغيري أَتَقَنَّ فَنَّ الكَذِبِ...  
سَمَنْتُ ضُرُوعًا مُلِنْتُ بالأَخلاقِ العُلْيَا...  
ثمَّ لَعَيْرِي طَابَ الحَلْبُ...  
وأريقَ دمي في طُرقاتِ الكَيْدِ...  
وحلا للِسَافِكِ دَمِّي النَّدْبُ...  
عجبا: كيفَ يموتُ الليثُ ، ويعلو في دُنْيانا الصَّبُّ؟...

---

وتَذَكَّرْتُ هِوَايَةَ صَيْدِي ، بعدَ العَصْرِ ، وحتى اللَّيْلِ...  
ومعي الوالدُ ، آخِذُ شِصِّي ، أَجْلِسُ فوقَ جُدُوعِ السَّرْوِ...  
أضغُ الطَّعْمَ ، وآخِذُ في تَسْلِيَةِ النَّفْسِ...  
فإِذا وَضَعُ الشِّصِّ بِماءِ التُّرَعَةِ قالَتْ شَفَتِي: باسمِ الله...  
أوقاتُ كانَ رَفِيقَ النَّفْسِ عَلى هَامَتِها الشَّدْوُ...  
فإِذا اصطادَ الشِّصُّ تَعَالَى ، آخِذُ الشِّصِّ الزَّهْوُ...  
وأفَقْتُ ، فلا يأخِذُني السَّهْوُ...  
فإِذا ذَكَرْتُ شَفَتِي عَرَضَ أَناسٍ ، قالَ الوالدُ: هذا لَعْوُ...  
فإِذا اصطادَتْ شِصُّ الوالدِ ، أخفى ما أعطاهُ المَوْلَى...  
كانَ يخافُ العَيْنَ ، فيرى أَنَّ العَيْنَ تُعَكِّرُ صَفْوَةَ العُمُرِ...  
وتُعَكِّرُ نَظَرَ العَيْنِ ، وتُعَكِّرُ كُلَّ صَفَاءِ الجَوْ...  
بلَ واللهِ تُعَكِّرُ حتى صَوْتِ الصَّفْوِ...

بَلْ وَتُبَدُّ مَا أُعْطِينَا ، لَا نَضْمَنُ مَعَهَا النَّجْوَى...  
وشربتُ - صغيرًا - مِنْ أَخْلَاقِ الْوَالِدِ كُلِّ طِبَاعِ الْبَدْوِ...  
وَنَهَلْتُ مَعِينَ الْحَفْوَى...  
عَلَّمَنِي الْجَدَّ إِبَاءُ أَبِي ، جَنَّبَنِي فِي الْعَزَمَاتِ اللَّهْوَى...  
فَنَشَأْتُ عِصَامِيًّا صَلْدَا...  
حتى لو كنتُ بعيدًا عَنْ راحِتي ، عَنْ أَغْنَامِي ،  
عَنْ أَرْضِ الرَّعْيِيِّ ، وَعَنْ رُمْحِي وَالذَّلْوَى...  
وَأَخَذْتُ الْهَدْيَ بِمَا أُوتِيَ عَقْلِي مِنْ قُوَّةٍ...  
لَمْ أَعْرِفْ طَبَعَ الْإِنْثَى أَبْدَا...  
وعلى أقراني كنتُ الأولُ دَوْمًا ، مَا كَانَ لِغَيْرِي الشَّأْوَى...  
وَأُحِبُّ الْفَرَسَ وَصَوْتَ الْخَيْلِ ، وَإِنْ لَمْ أُعْزُ...  
لكن نفسي - أَبْدَا - لَهْفَى...  
وتُحَدِّثُ قَلْبِي بِالْعَزْوَى...  
هَلْ ذَاكِرَةُ الشَّعْرِ تُخَبِّئُ هَذَا...  
وجواب سؤالي هذا: إي ، لَا عَرْوَى...  
لكنِّي لَا أَحْفَظُ شِعْرِي ،  
أَجْهَدُ فِيهِ ، وَأَعْطِرُهُ ، وَأَهْنِدِسُهُ ، وَأُرْتَبِّهُ ،  
وَأَنْمِقُهُ ، وَأَزْخِرْفُهُ ، لَكِنْ أَبْدَا لَا أَحْفَظُهُ....

---

وذكرتُ طفولةً مَنْ يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَيْوَانِ ، بِغَيْرِ هَوَادَةٍ...  
والنفسُ العُدْوَانِيَّةُ فِيهِ تُثِيرُ الضَّحْكَةَ...  
صاحبنا يُدْبِحُ قَطًّا ،

أو يَقْتُلُ طَيْرًا ، يَنْسِجُ حَبَكَةَ...  
أو يَرْمِي فَوْقَ مِيَاهِ النَّهْرِ الشَّبَكَةَ...  
يَصْطَادُ كَثِيرًا مِنْ أَسْمَاكِ النَّهْرِ...  
يَرْمِي الْأَسْمَاكَ سَرِيعًا ، وَاحِدَةً تَلَوَّ الْأُخْرَى...  
تَبْقَى - فِي جَعْبَتِهِ - سَمَكَةٌ...  
يَأْخُذُهَا لِيَقْطَعَهَا بِالسَّكِّينِ...  
أَوْ يَضْرِبُ كَلْبًا يَتَعَقِبُهُ...  
يَضَعُ الْأَعْلَالَ بِأَرْجُلِهِ ، وَيُمِزِقُهَا فِي الْأَحْشَاءِ بِشَوْكَةِ...  
أَوْ يُوقِدُ نَارًا لِيُحْرِقَها ، ثُمَّ يَقُومُ بِدْفْنِ الْفَحْمِ...  
وَيُكَبِّرُ أَرْبَعَ مِثْلَ إِمَامِ الْحَيِّ...  
أَوْ يَشْتَفِيهِ حَيًّا بِالْأَحْبَالِ ، وَيَضْرِبُ بِالْكَرْبَاجِ الْجِنَّةَ...  
أَوْ يَقْطَعُ مِنْهُ اللَّحْمَ الزَّائِدَ فِي أَعْضَاءِ الْجِسْمِ!...  
عَجَبًا: كَيْفَ يُنْظَمُ هَذَا الْحَبَكَةَ؟  
عَجَبًا ، عَجَبًا ، طِفْلٌ يَفْعَلُ هَذَا؟  
عَجَبًا ، طِفْلٌ فِي رَقَّتِهِ مِثْلُ الزَّهْرَةِ يَفْعَلُ هَذَا؟  
يَجْرِي خَلْفَ الْبِطَّةِ ، يَقْدِفُهَا بِالْحَجَرِ الْبَاغِي...  
فَإِذَا مَا جُرِحَتْ عَالِجَهَا ، وَإِذَا مَا كُسِرَتْ طَبِيبَهَا...  
وَإِذَا سَلِمَتْ مِنْ ضَرْبَتِهِ ، نَادَى رُفْقَاءَ جَرِيمَتِهِ...  
وَرَعَاهُمْ بِجِهَاتِ شَتَّى ، أَعْطَاهُمْ أَحْجَارَ الْخُطَّةِ...  
وَجَرَى خَلْفَ الْبِطَّةِ...  
فَإِذَا مَا مَاتَتْ عَسَلَهَا...  
ثُمَّ عَسَنَتْهُ التَّفْوَى فُورًا...

فِيَكْفُنْهَا ، وَيُلْحِدْهَا...  
وَإِذَا كَانَ لَدَيْهِ صَحَابِيَا أُخْرَى...  
أَلْقَى الْبَطَّةَ فَوْقَ السَّكَّةِ...  
أَوْ أَسْكَنَهَا جَوْفَ الْبِرْكَةِ...  
عَجَبًا: طِفْلٌ مِثْلُ الْوَرْدَةِ يَفْعَلُ هَذَا؟  
يَمْضُغُ عَيْنَ الْبَطَّةِ مِثْلَ الْعِلْكَةِ...  
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ هَذَا ، مَا صَدَّقْتُ ، وَلَوْ فِي الرَّؤْيَا...  
حَتَّى لَوْ قَالُوا: يَحْدُثُ هَذَا فِي الْأَحْلَامِ لَقَالَتْ عَيْنِي كُفُؤًا...  
هَذِي حَقًّا بِنَسِّ الْإِفْكَةِ.....

---

رَمَضَانُ الْمَاضِي مَرَّ ، وَعَيْنِي فِي آفَاقِ الْكَرْبِ...  
وَصِيَامُ بَقِيَّةِ شَهْرِي كَانَ مَعَ الْأَحْزَانِ!  
وَأَتَى رَمَضَانُ الْقَادِمُ مِنْ طَيِّبَاتِ الْعَيْبِ...  
لَكِنْ وَالْأَسْفَى مَا زَالَ الْعَيْبُ...  
لَمْ تَذْهَبِ أَلَامِي أَبَدًا ، لَكِنْ ذَهَبَتْ عَيْنِي!...  
وَرَأَيْتُ الدُّنْيَا: نِصْفًا فِي غِيَابَةِ جُوبِ...  
أَقْصِدُ فِي وَاحِدَةٍ مَاءٍ تَبْكِي الدُّنْيَا...  
وَالنِّصْفُ الْآخَرُ مُحْتَرَقُ الْأَحْشَاءِ...  
يَا وَيْحَ الْعَيْنِ مَضَّتْ مِنْ غَيْرِ مَضَاءِ...  
وَالْقَلْبُ الدَّامِعُ - رَغَمَ الْأَلْفَةَ هَذِي - يَبْكِي...  
يَا مَاضِي الْعُمْرِ تَمَهَّلْ ، ارْحَلْ ، دَعْنِي وَخُدي...  
دَعْنِي فِي الدَّمْعَةِ وَخُدي...

دعني لكروبي وحدي...  
إنَّ الرحمنَ مُعَوِّضُنِي...  
وأنا أطمعُ في (جَنَاتِ عند المولى ، كم فيها أنهار تَجْرِي...)  
ولذا يا شِعْرُ فإني أبدأُ صَبْرِي...  
وأسلمُ للمولى أمرِي...

---

ما كُنْتُ أريدُ خِتَامَ قَصِيدِي هَذَا بِالْأَحْزَانِ...  
لكني - دوماً - أَصْدُقُ فِي شِعْرِي...  
ومصيري هذا من تجربتي ، أَجْرَعُهُ وحدي...  
أحزانُ العُربةِ هذي لحدي...  
مَطْبوعٌ فيها منذُ المَهْدِ...  
عَفْوًا يا عِطْرَ الشَّعْرِ فَدَا مِنْ سُهْدِي...  
عُدْرًا يا عَيْنُ وَعَفْوًا: أَنْتِ قَضَيْتِ عَلَيَّ تَرْنِيمَةَ عُمْرِي...  
قَدْرُ المولى لا تلتاعي سوف نُعَوِّضُ يا أَنَسْتِي ...  
قَدْرُ اللَّهِ ، وإني راضٍ ، وأسلمُ أمرِي...  
لكن حُزْنَ دَاهَمَ قلبي ، ثمَّ عذابٌ حَطَّمَ قَلْمِي...  
غَلَبَ الحُزْنَ مَدَادَ القلمِ...  
رَفَعَ الكَرْبُ لِيَاءَ مِثْلِ العَلَمِ...  
والناسُ سرابٌ حولي...  
والشعرُ يُعاني مِنِّي...  
والأوزانُ تُعاني من أفكارٍ تَدْبَحُ قَلْمِي...  
يا تيارَ الوَهْمِ ، ويا ميعادَ شُجُونِي...



هذا قدرِي ، ممَّا كسبتُ يدُ محزونٍ في دنيا الخلقِ...

---

يا هذا الشَّعْرُ الحُرُّ ، إليك وداعي...  
قد كانت هذي أولَ مرَّةٍ...  
وأكرّرُ ثانية: هذي كانتُ أولَ مرَّةٍ...  
وأراها آخرَ مرَّةٍ...  
برئتُ منك دواتي الخجلى  
برئتُ منك يراعهُ شعري...  
برئتُ منك شُموعِ الأملِ الدامعِ عندُ بزوغِ الفجرِ...  
برئتُ من أوزانك هذي إيقاعاتي وقتَ السحرِ...  
برئتُ منك شكاتي النشوى عند العَصْرِ...  
آخرُ يومٍ أكتبُ فيه الشَّعْرَ الحُرَّ...  
وكذلك آخرُ دمعٍ أبدلُهُ بالشَّعْرِ الحُرِّ...  
ودمي لن أكتبهُ - صدقًا - بالشَّعْرِ الحرِّ...  
إنَّ الشَّعْرَ الحقَّ بريءٌ من لاشعري هذا...  
عُدْرًا ، يا عنترَةَ الشَّعْرِ ، ويا مُتنبِي...  
فالعينُ الحرى تلكَ ردائي...  
لا تسألني يا عنترَةَ الشعرِ - هنا - عنُ ذنبي...  
وأعودُ إلى الأشعارِ أكرّرُ أسفي ، وكذلك أكرّرُ عُذري...  
وختامًا يا شعْرُ إليك شكاتي ، وتحياتي...  
صدقني ، كانتُ هذي - يومًا - زلَّةً...  
لن يُصبحَ شعري مُثْلَةً...

لن أسمح - أبداً - بكتابةِ شِعْرِ الذَّلَّةِ...  
لن أتمادى في سردابِ الشَّعْرِ الحُرِّ...  
وسوفَ أُطلُّ على نافذةِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ...  
وسأحياً أنشدُ شِعْرَ العَرَبِ.....  
مهما كاد طواغي الأرض ومنعوا شعري...  
وحفيدٌ من أحفادي سيغني شعري...  
وسينشره في طبقات شتى....  
ويحققه وينقحه ويبين للناس المعنى...  
وسيشرح كل غوامضه....  
وأنا منتظراً في قبري...  
وأقدم للجهدِ شكري...  
أني لم أستصحب بعد وفاتي شعري...  
لم يدفن في لحدي شعري...  
هذا يكفيني يا قومي...  
وإلى اللقيا يوم النشر.....

## يا عين يا هذي العروس

(لقد كان مصاب 1994/11/25م ، بلاءً أعقب مصاباً أعتى منه. فلئن كان مصاب 1994/11/25م في عيني التي أودى بها حادث السير المروري في دار غربتي ، فإنني كنت أعيش بلاء الأصحاب المنافقين الخونة الذين صلاةً أحدهم أقصر من لحيته ، وتخرّصُ أحدهم عن المسلمين بالباطل ، أكثر من قراءته لكتاب الله القرآن. وكان مصابي بهم يوم 1992/3/14م. ومن بلاءٍ إلى بلاءٍ أعتى. والمشتكى لله وحده. ولست أشكو الخالق للمخلوقين ، كلا ؛ لأنني إن فعلتُ يكون اللسان قد شكَا الرحيم إلى الذي لا يرحم (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون). فطُعنْتُ في الأصحاب ثم طُعنْتُ في العين. والله الحمد. ولا يُحمد على مكروه سواه! إذ إنه لا يُسأل عما يفعل – عز وجل -. والخلق جميعاً يسألون بدون استثناء أحد منهم. يقول الأستاذ خالد بن عبد المنعم الرفاعي في التعليق على قوله تعالى: (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) ما نصه: (فالواجب على كلِّ مسلمٍ أن يعتقدَ بأنَّ الله - تعالى - ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه ، له التَّصَرُّفُ المطلقُ ، وله الحكمةُ البالغةُ ، يفعل ما يشاء ويحكم بما أراد ، لا يُسألُ عمَّا يفعل ، ولا معقَّبَ لحُكمه ، ولا رادَّ لقضائه! وأنه عليم حكيم عدلٌ ، لا يظلمُ أحداً ؛ بل حرَّم - سبحانه - الظلمَ على نفسه ؛ قال - سبحانه وتعالى -: (إنَّ اللهَ لا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ، وإنَّ تكُ حسنةٌ يضاعفها ويؤتِ مِنْ لَدُنْه أَجْرًا عَظِيمًا) ، وقال - سبحانه وتعالى -: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ، وقال تعالى: (وَلَا يظلمُ رَبُّكَ أحداً). أمَّا الاحتجاجُ بأنَّ الله - سبحانه وتعالى - يخلقُ الإنسانَ ، ويكتبُ مصيره من السَّعادةِ أو الشَّقَاءِ ، فهذا أمرٌ طبيعيٌّ لئلهُ القادرُ العليمُ ، الذي يحيطُ علمه بكلِّ شيءٍ من مخلوقاته ؛ ولذا قال: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ، وكيف يكون ربًّا للأشياءِ وهو لا يعلمُ مصيرها ، ولا ما تؤولُ إليه؟! وهذا لا يُنافي عدله - سبحانه - لأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - إنَّما يُحاسبُ الخلقَ بمقتضى عملهم وسعيهم ، واختيارهم لأنفسهم الخيرَ أو الشرَّ ، ولا يُحاسبهم بمقتضى ما علمه منهم ، وجعل للعبد اختياراً ومشئئة وإرادةً ، بها يختار طريقَ الخيرِ أو الشرِّ ، وبها يفعل ما يريد ، وعلى أساسها يُحاسب على أفعاله التي اختارها لنفسه ، فالاختيار مع وجودِ العقلِ وعدم الإكراه هو مناطُ التَّكليفِ ، وإذا فُقد ارتفع التَّكليفُ ؛ قال - تعالى -: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ، وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (ما

منكم من أحد ، وما من نفس منقوسة ، إلا كتبت مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة) ، قال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ونذغ العمل فمن كان من أهل السعادة ، فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاوة؟ قال: (أما أهل السعادة، فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة ، فييسرون لعمل أهل الشقاء) ، ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى). رواه البخاري. فالمرء لن يعمل إلا بما قدر الله له في كتابه ، ولكنه لما أتيح له من الأسباب ما يمكنه من سلوك الطريق السوي ، وبين له ذلك ، وجهل ما قدره الله له من السعادة أو الشقاوة يوم القيامة - كان عليه أن يعمل ويأخذ بالأسباب الشرعية ويدع ما سواها ، ويدعو الله أن يرزقه الثبات على الدين. فإذا اطمأنت نفس المسلم لذلك ، فلا ينبغي له البحث وكثرة السؤال ، والاسترسال مع وساوس الشيطان التي يريد أن يفسد بها دين المرء ودنياه وأخراه. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - عن قوم قد خصوا بالسعادة ، وقوم قد خصوا بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقي لا يسعد وفي الأعمال لا تتراد لذاتها ؛ بل لجلب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال ، فلا وجه لإتعايب النفس في عمل ، ولا كفها عن ملذوذ ؛ فإن المكتوب في القدم واقع لا محالة ، بيتوا ذلك. فأجاب - رحمه الله :- "الحمد لله ، هذه المسألة قد أجاب فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غير حديث ؛ ففي "الصحيحين" : عن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله ، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: (نعم)! قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: (كلٌ ميسر لما خلق له) وفي رواية البخاري: قلت: يا رسول الله ، كلٌ يعمل لما خلق له أو لما يسر له؟ رواه مسلم في "صحيحه". عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين: رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق ، أو فيما يستقبلون به ممّا أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم ، قال: فقال: أفلا يكون ذلك ظلماً ، قال: ففرغت من ذلك فرعاً شديداً ، وقلت: كلٌ شيء خلق الله وملئ يده ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فقال: يرحمك الله ، إنني لم أرد بما سألتك إلا لأجود عقلك ؛ إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا: يا رسول الله ، رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون به ممّا أتاهم به نبيهم

وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: (لا ، بل شيءٌ فُضي عليهم ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). وروى مسلم في "صحيحه": عن زهيرٍ عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: جاء سراقه بن مالك بن جُعشم فقال: يا رسول الله ، بين لنا ديننا كأننا خُلِقْنَا الآن ، فيمَّ العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأَقلامُ وجرت به المقادير؟ أم فيما يُستقبل؟ قال: (لا ، بل فيما جفَّت به الأَقلامُ وجرت به المقادير) ، قال: ففيمَّ العمل؟ قال زهيرٌ: ثمَّ تكلم أبو الزُّبير بشيءٍ لم أفهمه ، فسألت عمَّا قال ، فقال: (اعملوا فكلُّ ميسرٍ) ، وفي لفظ آخر: فقال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - : (كلُّ عاملٍ ميسرٌ بعمله). وفي "الصَّحيحين": عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: كنَّا في جنازةٍ في بقيع الغرقد ، فأتانا رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فقعد وقعدنا حولَه ومعه مخرصة ، فنكس فجعل ينكثُ بمخصرته ، ثمَّ قال: (ما منكم من أحدٍ ، وما من نفسٍ منفوسة ، إلَّا وقد كتب اللهُ مكانها من الجنة والنار ، إلَّا وقد كتبتُ شقيَّةً أو سعيدةً) ، فقال رجل: يا رسولَ الله ، أفلا نتكلُّ على كتابنا ونَدع العمل ، من كان من أهل السَّعادة فسيصيرُ إلى عملِ أهل السَّعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصيرُ إلى عملِ أهل الشقاوة؟ فقال: (اعملوا فكلُّ ميسرٍ ؛ أمَّا أهل السَّعادة فسييسرون لعملِ أهل السَّعادة ، وأمَّا أهل الشقاوة فسييسرون إلى عملِ أهل الشقاوة) ، ثمَّ قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) ، وفي رواية البخاري: أفلا نتكلُّ على كتابنا ونَدع العمل ؛ فمن كان منَّا من أهل السَّعادة سيصيرُ إلى عملِ أهل السَّعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة سيصيرُ إلى عملِ أهل الشقاوة؟ وقال: (أمَّا عملِ أهل السَّعادة..). الحديث. وفي روايةٍ في "الصَّحيحين" عن علي قال: كان رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ذات يومٍ وفي يده عود ينكثُ به ، فرفع رأسه فقال: (ما منكم من نفسٍ إلَّا وقد علم منزلها من الجنة والنار) ، فقالوا: يا رسولَ الله ، فلمَّ نعمل؟ أو لا نتكلُّ؟ قال: (لا ، اعملوا فكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له) ، ثمَّ قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إلى قوله: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) فقد أخبر النبيُّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في هذه الأحاديث وغيرها بما دلَّ عليه القرآن أيضًا ، من أنَّ الله - سبحانه وتعالى - تقدَّم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصيرُ إليه العباد من السَّعادة والشقاوة ، كما تقدَّم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم ؛ كما في الصَّحيحين عن عبد الله بن

مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطنِ أُمَّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مِضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا). وفي "الصَّحِيحِينَ": عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَرَفَعَ الْحَدِيثَ ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِالرَّحْمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ ، أَيُّ رَبِّ عِلْقَةٍ ، أَيُّ رَبِّ مِضْغَةٍ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ الْمَلِكُ: أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أَنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي بطنِ أُمَّه) ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ أَيْضًا. وَالنُّصُوصُ وَالْآثَارُ فِي تَقْدِيمِ عِلْمِ اللَّهِ وَكِتَابَتِهِ وَقَضَائِهِ ، وَتَقْدِيرِهِ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ خَلْقِهَا ، وَأَنْوَاعِهَا - كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنَافِي وَجُودَ الْأَعْمَالِ الَّتِي بِهَا تَكُونُ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يَبْسُرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، فَإِنَّهُ يَبْسُرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، وَقَدْ نَهَى أَنْ يَتَّكِلَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْقَدْرِ السَّابِقِ ، وَيَذَعَ الْعَمَلَ ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَنْ اتَّكَلَ عَلَى الْقَدْرِ السَّابِقِ وَتَرَكَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ - هُوَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَانَ تَرْكُهُمْ لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقْدُورِ الَّذِي يَسْرُوا بِهِ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ السَّعَادَةِ هُمُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الْمَأْمُورَ ، وَيَتْرَكُونَ الْمَحْظُورَ ، فَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ الْوَاجِبَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَفَعَلَ الْمَحْظُورَ مَتَّكِلًا عَلَى الْقَدْرِ ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ الْمَيْسَرِينَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. وَهَذَا الْجَوَابُ الَّذِي أَجَابَ بِهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَايَةِ السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَهُوَ نَظِيرُ مَا أَجَابَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا ، وَرَفَقٌ نَسْتَرْقِي بِهَا ، وَتَقَاةٌ نَتَّقِيهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: (هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ) ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هُوَ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهَا ، فَإِذَا كَانَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا تَكُونُ بِأَسْبَابٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ ، وَقَضَى أَنَّهَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدَّرَ ذَلِكَ - لَمْ يَجْزْ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ تَكُونُ بِدُونِ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ أَسْبَابًا ، وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ. مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا عَلِمَ اللَّهُ وَكَتَبَ أَنَّهُ

سُيُولد لِهَـذِينَ وُلِدْ ، وَجَعَلَ اللهُ - سَبْحَانَهُ - ذَلِكَ مَعْلَقًا بِاجْتِمَاعِ الْأَبْوِينِ عَلَى النَّكَاحِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ الْمَهِينِ الَّذِي يَنْعَقِدُ مِنْهُ الْوَلَدُ - فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَجُودُ الْوَلَدِ بَدُونَ السَّبَبِ الَّذِي عُلِقَ بِهِ وَجُودُ الْوَلَدِ ، وَالْأَسْبَابِ وَإِنْ كَانَتْ نَوْعِينَ: مَعْتَادَةً وَغَرِيبَةً. فَالْمَعْتَادَةُ: كَوِلَادَةِ الْآدَمِيِّ مِنَ الْأَبْوِينِ. وَالْغَرِيبَةُ: كَوِلَادَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ أُمَّ فَقَطْ ؛ كَمَا وُلِدَ عَيْسَى ، أَوْ مِنْ أَبِي فَقَطْ ؛ كَمَا وُلِدَتْ حَوَّاءُ ، أَوْ مِنْ غَيْرِ الْأَبْوِينِ ؛ كَمَا خُلِقَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ. فَجَمِيعُ الْأَسْبَابِ قَدْ تَقَدَّمَ عِلْمُ اللَّهِ بِهَا وَكُتِبَتْ لَهَا ، وَتَقْدِيرُهُ إِيَّاهَا وَقَضَاؤُهُ بِهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ رِبْطُ ذَلِكَ بِالسَّبَبَاتِ ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْأَسْبَابُ الَّتِي بِهَا يَخْلُقُ النَّبَاتَ - مِنْ إِنزَالِ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ - مِنْ هَذَا الْبَابِ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) ، وَقَالَ: (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) ، وَقَالَ: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. فَجَمِيعُ ذَلِكَ مَقْدَرٌ مَعْلُومٌ ، مَقْضِيٌّ مَكْتُوبٌ قَبْلَ تَكْوِينِهِ فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُلِمَ وَكُتِبَ أَنَّهُ يَكْفِي ذَلِكَ فِي وَجُودِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا بِهِ يَكُونُ مِنَ الْفَاعِلِ الَّذِي يَفْعَلُهُ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ - فَهُوَ جَاهِلٌ ضَالٌّ ضَلَالًا مُبِينًا ؛ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ جَعَلَ الْعِلْمَ جَهْلًا ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ يُطَابِقُ الْمَعْلُومَ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ - سَبْحَانَهُ - قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْمَكُونَاتِ تَكُونُ بِمَا يَخْلُقُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْوَاقِعُ ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا بَدُونَ الْأَسْبَابِ ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ الْبَاطِلَ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ وُلِدَ بِلَا أَبْوِينٍ ، وَأَنَّ هَذَا النَّبَاتَ نَبَتَ بِلَا مَاءٍ ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ الْعِلْمِ بِالْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ سِوَاءٍ فَكَمَا أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ الْمَاضِيِ بِعِلْمِ اللَّهِ بِوُقُوعِهِ بَدُونَ الْأَسْبَابِ يَكُونُ مُبْطَلًا ، فَكَذَلِكَ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ طِينٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يَتَنَاسَلُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَنَاسُخٍ ، وَأَنَّهُ أَنْبَتَ الزَّرُّوعَ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ وَلَا تَرَابٍ ، فَهُوَ بَاطِلٌ ظَاهِرٌ بَطْلَانُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَكَذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَكَذَلِكَ "الْأَعْمَالُ" هِيَ سَبَبٌ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِلَا ذَنْبٍ ، وَأَنَّهُ قَدَرَ ذَلِكَ ، أَوْ قَالَ: إِنَّهُ غَفَرَ لآدَمَ بِلَا تَوْبَةٍ ، وَإِنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ - كَانَ هَذَا كَذِبًا وَبَهْتَانًا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قَالَ: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ، فَإِنَّهُ يَكُونُ صَادِقًا فِي ذَلِكَ. وَاللَّهُ - سَبْحَانَهُ - عَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْ آدَمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ "قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ" ، فَإِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادَ وَثَمُودَ ، وَفَرَعُونَ وَلُوطَ وَمُذِينَ وَغَيْرَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَنَّهُ

نَجَّى الْأَنْبِيَاءَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ ؛ كما قال: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي سَامٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ، وقال: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) وقال: (ذَلِكَ جَزَاءُهم بِبَغْيِهِمْ) ، وقال: (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) ، وقال: (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) ، وقال: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ، وقال: (وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) ، وقال: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ، وقال: (ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ، وقال: (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) ، وقال: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) ، وأمثال ذلك في القرآن كثيرة. وكذلك خبره عما يكون من السعادة والشقاوة بالأعمال ؛ كقوله: (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) ، وقوله - تعالى - : (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، وقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ، وقوله: (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) ، وقوله: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) ، وقوله: (هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ، وقوله: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نَطْعُمِ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ \* حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ \* فَمَا تَتْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) ، وأمثال هذا في القرآن كثيرة جدًا. بين - سبحانه - فيما يذكره من سعادة الآخرة وشقاوتها: أن ذلك كان بالأعمال المأمور بها والمنهي عنها ، كما يذكر نحو ذلك فيما يقضيه من العقوبات والمثوبات في الدنيا أيضًا. والوجه الثاني: أن العلم بأن الشيء سيكون ، والخبر عنه بذلك ، وكتابة ذلك - لا يُوجِبُ استغناء ذلك عما به يكون من الأسباب التي لا يتم إلا بها ، كالفاعل وقدرته ومشينته ، فإن اعتقاد هذا غاية في الجهل ؛ إذ هذا العلم ليس موجبًا بنفسه لوجود المعلوم باتفاق العلماء ؛ بل هو مطابق له على ما هو عليه ، لا يكسبه صفة ، ولا يكتسب منه صفة ، بمنزلة علمنا بالأمور التي قبلنا ، كالموجودات التي كانت قبل وجودنا ، مثل علمنا بالله وأسمائه وصفاته ، فإن هذا العلم ليس



مؤثراً في وجود المعلوم باتِّفاق العلماء ، وإن كان من علومنا ما يكون له تأثير في وجود المعلوم ، كعلمنا بما يدعوننا إلى الفعل ويعرفنا صفته وقدره ، فإنَّ الأفعال الاختيارية لا تصدر إلاَّ ممَّن له شعورٌ وعلم ؛ إذ الإرادة مشروطةٌ بوجود العلم ، وهذا التفصيل الموجود في علمنا بحيث ينقسم إلى علمٍ فعلي له تأثير في المعلوم ، وعلمٍ انفعالي لا تأثير له في وجود المعلوم - هو فصلُ الخطاب في العلم وهكذا علمُ الرَّبِّ - تبارك وتعالى - فإنَّ علمه بنفسه - سبحانه - لا تأثير له في وجود المعلوم ، وأمَّا علمه بمخلوقاته التي خلقها بمشيئته وإرادته ، فهو ممَّا له تأثيرٌ في وجود معلوماته ، والقول في الكلام والكتاب كالقول في العلم فإنَّه - سبحانه وتعالى - إذا خلق الشيء خلقه بعلمه وقدرته ومشيئته ؛ ولذلك كان الخلق مستلزماً للعلم ودليلاً عليه ؛ كما قال - تعالى - : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ، وأمَّا إذا أخبر بما سيكون قبل أن يكون ، فعلمه وخبره - حينئذٍ - ليس هو المؤثر في وجوده ؛ لعلمه وخبره به بعد وجوده ؛ لثلاثة أوجه: أحدها: أنَّ العلم والخبر عن المستقبل كالعلم والخبر عن الماضي. الثاني: أنَّ العلم المؤثر هو المستلزم للإرادة المستلزما للخلق ، ليس هو ما يستلزم الخبر ، وقد بيَّنا الفرق بين العلم العملي والعلم الخبري. الثالث: أنَّه لو قدر أنَّ العلم والخبر بما سيكون له تأثيرٌ في وجود المعلوم المخبر به ، فلا ريبَ أنَّه لا بدَّ مع ذلك من القدرة والمشيئة ، فلا يكون مجرد العلم موجباً له بدون القدرة والإرادة ، فتبيَّن أنَّ العلم والخبر والكتاب لا يوجب الاكتفاء بذلك عن الفاعل القادر المرید ؛ ممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ الله - سبحانه وتعالى - يعلم ويخبر بما سيكون من مفعولات الرَّبِّ ، كما يعلم أنَّه سيقيم القيامة ويخبر بذلك ، ومع ذلك فمعلومٌ أنَّ هذا العلم والخبر لا يوجب وقوع المعلوم المخبر به بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً له. إذا تبيَّن ذلك ، فقول السائل: "السعيد لا يشقى ، والشقي لا يسعد" كلامٌ صحيح ؛ أي: من قدر الله أن يكون سعيداً ، يكون سعيداً ؛ لكن بالأعمال التي جعله يسعد بها ، والشقي لا يكون شقياً إلاَّ بالأعمال التي جعله يشقى بها ، التي من جملتها الاتكال على القدر ، وترك الأعمال الواجبة. وأمَّا قوله: "والأعمال لا تُراد لذاتها ؛ بل لجلب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال" ، فيقال له: السابق نفس السعادة والشقاوة ، أم تقدير السعادة والشقاوة علماً وقضاءً وكتاباً؟ هذا موضع يشتهه ويغلط فيه كثيرٌ من النَّاس ؛ حيث لا يميِّزون بين ثبوت الشيء في العلم والتقدير ، وبين ثبوته في الوجود والتَّحقيق ، فإنَّ الأوَّل هو العلم

به والخبر عنه وكتابته ، وليس شيء من ذلك داخلاً في ذاته ولا في صفاته القائمة به ؛ ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال: قلت: يا رسول الله ، متى كنت نبياً؟ وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال: (وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ والجسد) ، فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ ، وهذا جهل ؛ فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره وقد قال له: (بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) ، وقال: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) ، وفي الصحيحين أن الملك قال له - حين جاءه -: (اقرأ) فقال: (لست بقارئ) - ثلاث مرات. ومن قال: إن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان نبياً قبل أن يوحى إليه ، فهو كافر باتفاق المسلمين ، وإنما المعنى: أن الله كتب نبوته ، فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم ، وقبل نفخ الروح فيه ، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته ، بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ؛ كما في حديث العزباض بن سارية الذي رواه أحمد وغيره عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: (إني عبد الله وخاتم النبيين) وفي رواية: (إني عبد الله لمكتوب خاتم النبيين ، وإن آدم لمجنودل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ؛ رأيت حين ولدني أنه خرج منها نوراً أضاءت له قصور الشام). وكثير من الجهال - المصنفين وغيرهم - يرويه: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" ، "وآدم لا ماء ولا طين" ، ويجعلون ذلك وجوده بعينه ، وآدم لم يكن بين الماء والطين ؛ بل الماء بغض الطين ، لا مقابله ، وإذا كان كذلك ، فإن قال: السابق نفس السعادة والشقاوة ، فقد كذب ؛ فإن السعادة إنما تكون بعد وجود الشخص الذي هو السعيد وكذلك الشقاوة لا تكون إلا بعد وجود الشقي ، كما أن العمل والرزق لا يكون إلا بعد وجود العامل ، ولا يصير رزقاً إلا بعد وجود المرتزق ، وإنما السابق هو العلم بذلك وتقديره ، لا نفسه وعينه ، وإذا كان كذلك ، فالعمل - أيضاً - سابق كسبق السعادة والشقاوة ، وكلاهما معلوم مقدر، وهما متأخران في الوجود ، والله - سبحانه - علم وقدر أن هذا يعمل كذا ؛ فيسعد به ، وهذا يعمل كذا ؛ فيشقى به ، وهو يعلم أن هذا العمل الصالح يجلب السعادة ، كما يعلم سائر الأسباب والمسببات ، كما يعلم أن هذا يأكل السم ؛ فيموت ، وأن هذا يأكل الطعام ؛ فيشبع! ويشرب الشراب ؛ فيروى! وظهر فساد قول السائل: فلا وجه لإتباع النفس في عمل ، ولا لكفها عن ملذذات ؛ والمكتوب في القدم واقع لا محالة ؛ وذلك أن

المكتوب في القدم ، هو سعادة السعيد ؛ لما يُسّر له من العملِ الصالح ، وشقاوة الشقي ؛ لما يُسّر له من العملِ السيئ ، ليس المكتوب أحدهما دون الآخر ، فما أمر به العبدُ من عملٍ فيه تعب أو امتناع عن شهوة ، هو من الأسباب التي تُنال بها السعادة ، والمُقدر المكتوب هو السعادة ، والعمل الذي به يُنال السعادة. وإذا تَرَكَ العبد ما أمر به ، متكللاً على الكتاب ، كان ذلك من المكتوب المقدر الذي يصيرُ به شقيّاً ، وكان قوله ذلك ، بمنزلة من يقول: أنا لا أكل ولا أشرب ، فإن كان الله قضى بالشبع والرّي ، حصل ، وإلا لم يحصل ، أو يقول: لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد ، فإنه يكون ، وكذلك من غَطَّ فترَكَ الدُّعاء ، أو ترك الاستعانة والتوكل ، ظانّاً أن ذلك من مقاماتِ الخاصة ، ناظرًا إلى القدر ، فكل هؤلاء جاهلون ضالّون ؛ ويشهد لهذا ما رواه مسلم في "صحيحه" عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: (المؤمنُ القوي خيرٌ من المؤمنِ الضعيف ، وفي كلِّ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل: لو أني فعلتُ ، لكان كذا وكذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإنَّ "لو" تفتح عمل الشيطان) ، فأمره بالحرص على ما ينفعه ، والاستعانة بالله ، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر ، ثم أمره إذا أصابه شيء ، أن لا ييأس على ما فاته ، بل ينظرُ إلى القدر ، ويسألُ الأمرُ لله ، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك ؛ كما قال بعضُ العقلاء: الأمورُ أمران ؛ أمرٌ فيه حيلة ، وأمرٌ لا حيلةَ فيه ، فما فيه حيلة ، لا يعجز عنه ، وما لا حيلةَ فيه ، لا يجزع منه. وفي "سنن أبي داود": أن رجُلين اختصما إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقضى لأحدهما فقال المقضي عليه: حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمرٌ ، فقل: حسبني الله ونعم الوكيل) ، وفي الحديثِ الآخر: (الكيس من دانَ نفسه ، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمان) ؛ رواه ابن ماجه والترمذي ، وقال حديث حسن. ثم قال: "ومما يوضح ذلك: أنَّ الله قد علم وكتب أنه يخلق الخلق ، ويرزقهم ويميتهم ويحييهم ، فهل يجوزُ أن يظنَّ أن تقدم العلم والكتاب مغنٍ لهذه الكائنات عن خلقه وقدرته ومشينته؟! فكَذلك علم الله بما يكونُ من أفعالِ العباد وأنهم يسعدون بها ويشقون ، كما يعلم - مثلاً - أنَّ الرجلَ يمرضُ أو يموت بأكله السم ، أو جرّحه نفسه ، ونحو ذلك. وهذا الذي ذكرناه ، مذهبُ سلف الأمة وأئمتها ، وجمهور الطوائف من أهلِ الفقه والحديث وغيرهم ، وإنما

نازع في ذلك غلاة القدرية... " ، إلى آخر ما قال ؛ وهو بحث نادر حريٌّ بأن يقرأ كاملاً. واعلم أن الله - سبحانه - لا يقضي قضاءً إلا لحكمة بالغة ، ومصلة عظيمة ، وقد تخفى هذه المصلحة على العبد ، فيبادر بالتسخط والاعتراض ، والأولى له أن يرضى بحكم الله ، ويستسلم لقضائه وقدره ؛ قال - تعالى - : (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). والله - تعالى - لا يقضي قضاءً للمؤمن إلا كان خيراً له ، فارض بما يقدره الله ويقضيه ، واستسلم لحكم الله فيك ، واعلم أنه الخير لك والمصلحة ، ولا تظن بالله ظنَّ السوء ؛ يقول الحافظ ابن القيم - رحمه الله - : "فأكثر الخلق - بل كلُّهم - إلا من شاء الله ، يظنون بالله غير الحق ظنَّ السوء ؛ فإنَّ غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ، ناقص الحظ ، وأنه يستحقُّ فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ، ومنعني ما أستحقُّه ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكره ، ولا يتجاسر على التصريح به ، ومن فتن نفسه وتغلغل في معرفة دفانها وطواياها ، رأى ذلك كامناً كموثَّ النار في الزناد ، فاقدر زناد من شئت ، ينبك شراره عمًا في زنده ، ولو فتشت من فتشته ، لرأيت عنده تعتبا على القدر ، وملامةً له ، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقلَّ ومستكثرَّ ، وفتش نفسك: هل أنت سالمٌ من ذلك؟ فليعتنِ النبيبُ الناصح لنفسه بهذا الموضوع ، وليتب إلى الله - تعالى - وليستغفره كلَّ وقتٍ من ظنَّه بربه ظنَّ السوء ، وليظنَّ السوءَ بنفسه التي هي مأوى كل سوءٍ ، ومنبع كل شرٍّ ، المركبة على الجهل والظلم ؛ فهي أولى بظنَّ السوء من أحكام الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، الغني الحميد الذي له الغنى التام ، والحمد التام ، والحكمة التامة ، المنزه عن كلِّ سوءٍ في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه ؛ فذاته لها الكمال المطلق من كلِّ وجه ، وصفاته كذلك ، وأفعاله كذلك ، كلها حكمةً ومصحةً ورحمةً وعدلٌ ، وأسماؤه كلها حسنى". اهـ. وليس الإعطاء من عرض الدنيا الفاني هو علامة الاصطفاء والرضا عن العبد ، ولا المنع منها هو علامة السخط عليه ؛ فقد يمنع الله عبده شيئاً من الدنيا ، وهو يحبه ؛ لعلمه أنه لو أعطاه ذلك ، لكان خلاف مصلحته ، والعكس بالعكس ؛ كما قال - تعالى - : (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ \* كَلَّا... ). يقول ابن القيم: "أي: ليس كلُّ من وسعت عليه وأكرمته ونعمته ،

يكون ذلك إكراماً مني له ، ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته ، يكون ذلك إهانة مني له". اهـ. وبه يتبين لك بياناً واضحاً أن العطاء والمنع في الدنيا ليس هو أمارة رضا الله عن العبد ، أو محبته له ، وأن الواجب على العبد أن يصبر لحكم الله ، وألاً يتسخط شيئاً من أفضيته عالماً أن فيها المصلحة والرحمة والحكمة. كما أنه - سبحانه - قد نزه نفسه عن الظلم في غير موضع من كتابه ، فالظلم من صفات النقص ، وهو مستحيل في حقه - تعالى - لأنه موصوفٌ بكمال العدل ، واعتقادٌ خلاف هذا ، تكذيبٌ لصريح القرآن ؛ قال - جل اسمه - : ( وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ) ، وقال - تعالى - : ( وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) ، وقال - عز وجل - : ( وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ) ، وقال : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ) ... ، إلى غير ذلك من الآيات. وفي الحديث القدسي الشريف الذي خرجه مسلم في "صحيحه" : ( يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي). وليس للعباد عليه - سبحانه - حقٌ يستوجبون به فضلاً أو إحساناً ، بل ما أعطاه إياهم ؛ فهو محض فضله ورحمته وما منعه إياهم ، فلعله وحكمته ، فأفعاله - سبحانه - دائرة بين الفضل والعدل ، والحكمة والرحمة. يقول ابن القيم - رحمه الله - : "التصرفات الواقعة منه - تعالى - في ملكه لا تكون ظلاماً قط ، وهذا حق ؛ فإن كل ما فعله الرب ويفعله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة ، فليس في أفعاله ظلم ولا جور ولا سفه ، وهذا حق لا ريب فيه فهو - سبحانه - في تصرفه في ملكه غير ظالم". انتهى بتصرف. وذكر أدلة هذا الأصل الشريف وبيان كلام العلماء فيه يطول جداً! فعلى المسلم أن يعتقد كمال الرب - عز وجل - وأنه منزّه عن كل نقص ، وأنه ما أصابه من الخير والنعمة فهو محض فضله - تعالى - وما أصابه من البلاء والشر فهو بحكمته وعدله - تعالى - وقد استحقه بما كسبه يده ولم يظلمه الله - تعالى - شيئاً ؛ كما قال - تعالى - : ( مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ). يقول ابن القيم - رحمه الله - : "النفس جاهلة ظالمة ، وهي منشأ كل شرٍّ يحصل للعبد ، فلا يحصل له شرٌّ إلا منها ، قال - تعالى - : ( مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ) ، وقال - تعالى - : ( أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ) ، وقال : ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) ، وقال - تعالى - : ( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) ، وقال : ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ). وقد ذكر

عقوبات الأمم من آدم إلى آخر وقت ، وفي كل ذلك يقول: إنهم ظلموا أنفسهم ، فهم الظالمون لا المظلومون ، وأول من اعترف بذلك أبواهم: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) "اهـ. أما إعجاز القرآن فأوضح من الشمس ، ومما يدل على ذلك أن الله تحدى العرب بالإتيان بقرآن مثله فعجزوا ، ثم تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم تحداهم بسورة من مثله فعجزوا ، ثم أخبر - سبحانه وتعالى - أنهم لن يأتوا بمثله ولو تعاونوا جميعاً! ولم يسمع في التاريخ من ذلك العصر إلى اليوم أن أحداً كتب مقالاً يحاكي القرآن ، وصدق الله - تعالى - إذ يقول: (قُلْ لَنِيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ؛ قال ابن كثير في "البداية والنهاية" - في معرض حديثه عن دلائل النبوة المعنوية :- "وهي معنوية وحسية ؛ فمن المعنوية: إنزال القرآن عليه ، وهو أعظم المعجزات ، وأبهر الآيات ، وأبين الحجج الواضحات ؛ لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافر دواعي أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا ، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله ، فعجزوا عنه ، وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً ؛ قال الله - تعالى :- (قُلْ لَنِيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ، وهذه الآية مكية. وقال في سورة الطور - وهي مكية :- (أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ \* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) ؛ أي: إن كنتم صادقين في أنه قاله من عنده ، فهو بشر مثلكم ، فأتوا بمثل ما جاء به ؛ فإنكم مثله ، وقال - تعالى - في سورة البقرة - وهي مدنية - معيذاً للتحدي: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ، وقال الله - تعالى :- (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ، وقال الله - تعالى :- (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ



كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ) ، فَبَيِّنْ - تعالى - أَنَّ الخلقَ عاجزون  
 عن معارضة هذا القرآن ، بل عن عشرِ سورٍ مثله ، بل عن سورةٍ منه ، وأنهم لا  
 يستطيعون ذلك أبداً ؛ كما قال الله - تعالى - : ( فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ) ؛ أي :  
 فإن لم تفعلوا في الماضي ، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل ، وهذا تحدُّ ثانٍ ؛  
 وهو أنه لا يمكن معارضتهم له ، لا في الحال ، ولا في المال ، ومثل هذا التحدي  
 إنما يصدرُ عن واثقٍ بأنَّ ما جاء به لا يمكن للبشرِ معارضته ، ولا الإتيانُ بمثله ،  
 ولو كان من مُتَقَوِّلٍ من عند نفسه ، لخاف أن يعارض فيفتضح ، ويعود عليه  
 نقيضٌ ما قصده من متابعَةِ النَّاسِ له ، ومعلوم لكلِّ ذي لبٍّ أَنَّ محمداً - صَلَّى اللهُ  
 عليه وسلَّم - من أَعْقَلَ خُلُقِ اللهِ ؛ بل أَعْقَلَهُمْ وَأَكْمَلَهُمْ عَلَى الإِطْلَاقِ فِي نَفْسِ  
 الأَمْرِ! فما كان ليقدمَ هذا الأَمْرَ إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ، وهكذا وقع  
 فإنه من لُدُنِ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وإلى زماننا هذا ، لم يستطع أحدٌ  
 أن يأتيَ بنظيره ، ولا نظيرِ سورةٍ منه ، وهذا لا سبيلَ إليه أبداً ؛ فإنه كلامُ ربِّ  
 العالمين الذي لا يشبهه شيءٌ من خلقه ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في  
 أفعاله ، فأنى يشبهه كلامُ المخلوقين كلامَ الخالقِ؟! هـ . والأصل أن يُحمد الله في  
 كل حال ولو كان ظاهره لا يسرّ ولا يسعد! ولكن لأنه من عند الله فالرضا أولى!  
 فالحمد لله على كل حال ، وأعوذُ بالله من حال أهل النار ، ومن أراد أن يدرك صدق  
 الذي أقول فليغض عينيه لدقائقٍ ليدرك قيمة عين يرى بها ، ويضاف إلى ذلك أن  
 نعلم أن قيمة الخَلِّ لا تقدر بكلمات ولا بأشعار ولا بمال ولا بأي شيء. إن الصديق  
 الوفي عملة نادرة في زماننا ، وما ذلك إلا للانتكاس الذي نعيش في المعايير  
 والموازن ، وكذلك إن العين جوهرة تتلألأ في وجه صاحبها ، ويرى بها الدنيا  
 والناس ، ولا أجد من الكلمات ما أعبر به عن قيمة اللؤلؤتين اللتين تزينا وجه كل  
 إنسان. ولقد زُرَعَتْ في مُقَلَّتِي عدسةٌ صناعيةٌ ، وَنَجَحَتْ العَمَلِيَّةُ نَسِيبًا ، وأتى  
 الأطباءُ ليرَوا ثَمَرَةَ جُهودهم ، وكشفوا الضمادةَ ، وإذا بالعين ترى بصيصًا من  
 النورِ بعدَ أن كانتَ بياضًا في بياض ، ففرحتُ ، وَحَمِدْتُ اللهُ عَلَى فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ  
 وَبَعْدَ ذَلِكَ تناولتُ اليراعةَ وكانَ ميلادُ هذِي القَصِيْدَةِ التي أعتبرها بمثابة العزاء  
 لهذه العين المبتلاة. ولم يكن فرحي وحدي ، بل كان أيضاً فرح الفريق الطبي الذي  
 أشرف على إجراء هذه الجراحة! فتخيلت العين عروساً وهذا يوم عرسها ، وكانت  
 القصيدة بمثابة التبريكة أو المباركة الشعرية لتلك العين. والحمد لله على كل حال!

والحقيقة أن الشعراء الذين نجوا من سب القضاء والقدر والتسخط عليهما قليلون  
عبر التاريخ. إذ لا يزال الشيطان بأحدهم ، حتى يخرجهم من دينه ، إن كان ذا دين!

والكربُ أوسَعَهَا حُزْنًا وَتَشْوِيهَا  
واليومَ أودعَ أنوارَ الدُّنَا فِيهَا  
والله أشكرُ مَنْ قَلْبِي أَهْنِيهَا  
ما زلتُ أبكي ، وبالشكوى أعزِّيها  
حَمْدُتُهُ ، مُسْتَرِيحِ النَّفْسِ رَاضِيهَا  
إنَّ القُتُوطَ يُذِيبُ الرُّوحَ يَكُويهَا  
بل مِلءَ مَا شَاءَ رَبِّي مِنْ أَقَاصِيهَا  
والحمدُ لله تُرَضِي النَّفْسَ ، تَرُويهَا  
والله أكبرُ يَا عَيْنَا أَسْأَلِيهَا  
يا ذِي العَرُوسِ كُفَى ، وَأَقْصِرِي تِيهَا  
لو كانَ وَسِعَ يَدِي نُوقًا أو اشْرِيهَا  
أو كانَ وَسِعَ يَدِي الألبانَ أَسْديهَا  
وبات عرسُك نُورًا في دِياجِيهَا  
وسُقَّتْ فرحتُك الخَجَلَى أَحْلِيهَا  
عُرسُ الحبيبة ، مَنْ عِنْدِي يُدَانِيهَا؟  
نورُ النفوسِ ، وَحِصْنٌ مِنْ أَعَادِيهَا  
والنورُ يَسْرِي - عيبرًا - في لِيالِيهَا  
أنتِ البَطُولَةُ في أَسْمَى مَعَانِيهَا  
واليومَ تُسعدُنِي فرحًا وتُرْفِيهَا  
إذ عادتِ العَيْنُ خَجَلَى مِنْ تَسَامِيهَا

عَجِبْتُ لِلْعَيْنِ ، غَاصَتْ في دِياجِيهَا  
سُبْحَانَ رَبِّكَ مَنْ بِالْأَمْسِ أَظْلَمَهَا  
والْحَمْدُ لله باريها ومُوجِدِها!  
إنِّي لأمرِ التي باتت تُورِقُنِي  
في يومٍ أن رحلتِ دعوتُ خالقِها  
مُسْتَرَجِعًا بدموعي ، لَمْ أَكُنْ قَنَطًا  
واليومَ أَحْمَدُهُ مِلءَ السَّما فرحًا  
والمُؤْمِنُ الحَقُّ يدعو رَبَّهُ أَبَدًا  
الله أكبرُ يَا فرحًا يُظَلِّلُنِي  
فِيْمِ الدُّمُوعِ وَأنتِ اليومَ مُشْرِقَةٌ؟  
فِيْمِ الدَّلَالِ وشكرُ الله حِيَلْتُنَا؟  
أو كانَ وَسِعَ يَدِي يا مقلتي بقرا  
بذلتُ ما عِنْدَنَا اللهُ أَشْكرُهُ  
وحامَ ثوبُكِ فوقَ النُّورِ مُبْتَهَجًا  
أنتِ العروسُ ، وَأنتِ اليومَ بهجَتُنَا  
أنتِ البرينةُ ، ما أذنبتِ يا أملي  
عادتِ إلينا تَزْفُ البُشْرِياتِ لَنَا  
الله أكبرُ يَا عَيْنَا مُعَذِّبَةٌ  
يا مَنْ سَقَتْنِي كُنُوسَ الحزنِ يومَ غَفَتْ  
ساعاتُ عِيدِ أَنْتِ ، والله بَارِكْهَا



والله ما طرَبت نفسي ، وما غرَبت  
إلا وقلبي على ظن بعودتها  
لا تسخري من دموعي ، إنني وجل  
حتى علثني همومي ، فاكتويت بها  
يا عين يا هبة الرحمن ، يا أملي  
تجلدي ، واصبري ، فالخير موعدا  
إن الهموم تهزُّ الروح ، تقتلها  
كفّي الدموع ، عيون الجرح نازفة  
ناجي الفؤاد ، ولو بالآه جامحة  
والله ، إن الدجى عمّت برائثه  
واليوم عيدٌ فلا حزنٌ ولا أرق  
هذي الكريمة يا قومي ، وجوهرتي  
كم ذا تلاعب بي وهمي وأخيلتي!  
بضاعتي بعد إيماني القريض هنا  
والنفس في أرق ساجٍ ومهابة  
حتى إذا أبصرت عيني فرحت بها  
فالله أكرم من يدعو الورى أبداً  
ثبتت على ملة العذنان أفئدة  
كادت تذوب على الإسلام كيف فلا  
فأرحم إلهي ضعاف المسلمين بها

شمسٌ لعيني ، وفي رُوحِي بلاويها  
تبارك الله مُرضيها ومُبكيها  
بالأمس أدمت جراحاً! مَنْ يُداويها؟  
واليوم نورها - بالرّي - باريها  
والنفس تهفو لمن لطفاً يُنجيها  
والروح باسمه ، زينت أماليها  
لكنّما الأمل الحاني يُعافيها  
وخرقة الدمع شبت في مغانيها  
إنّ الفؤاد كسيرُ النفس بآيها  
من بعد أن جرّحت نفسي مساويها  
فيم الدموع؟ وقد جفت ماقيها  
هذي الحبيبة في دنيا أمانيها  
ما حيلتي ، والهوى تاجٌ يُجاليها؟  
إنّ العمالة أعيّت من يُعاديها  
تشكُّو الرزايا إلى الرحمن هاديها  
ما حاب ظني في ربي ، ولا فيها  
تبارك الله تشريعاً وتنزيهاً  
دانث بحق صراح ، ليس تمويها  
هذي الديار ، فليت الموت يطويها  
من ذا سواك يقوي أزر داميها؟!

نُشِرتْ هذي القصيدة في جريدة الوحدة العربية

وذلك يوم 1995/12/26م

## لن يخلقوا ذبابًا

(متى يكون الطب محراب الإيمان؟ سؤال جوابه يطول. إن الطبيب قد اطلع على ما لم يطلع عليه غيره ، وعلم ما لم يعلمه غيره ، ووقف على أسرار في جسم الإنسان ، وخفايا وخبايا لا يعلمها مثله من بني البشر ، وربما لو أتاحت ذات الفرصة لغيره ، ليتعلم مثلما تعلم ، ما استطاع أن يفري فريته ، ولا أن يبدع إبداعه ، ولا في عالم الرؤى والأحلام ، فلماذا الطب اليوم - من وجهة نظري - ليس محرابًا للإيمان أبدًا؟ ذلك أن جُلَّ أطبائنا قد خرجوا عن أخلاقيات وأدبيات وضوابط وسلوكيات ومشاعر وأحاسيس مهنة الطب ، التي هي في حقيقتها إنسانية بحتة ، وقامت يوم قامت في الأرض ، وكان لها هذا البأس والعز والشرف والصولجان ، من أجل الإنسان. أما أن تتحول إلى مهنة لا رسالة من ورائها تجتني ، سوى جمع الأموال ، فكلًا وألف كلًا. قال لي أحد الأطباء مازحًا: ستعودُ عينك بعد زرع العدسة الصناعية أفضل ممَّا كانت. وعند ذلك ظننته فعلاً يمزح. لكنه كان جادًا ، حيث كرر على مسمعي ومرآي كلامة الذي أسلفت. فقلتُ له: أنت تريد أن ترفع من رُوحِي المعنوية - على عادة الأطباء - أليس كذلك؟ فقال: إنني أحدثك بكل صدق. فدخلنا في الجدل ، فانتصر للعلم ، وفي الختام قال: لا يكون ذلك أبدًا ، فافتخرتُ به وسعدتُ جدًّا ، وتذكرتُ أبياتًا للشاعر الكبير الأستاذ الأديب الذي تتلمذنا على قصاده صغاراً وكباراً / بديوي علي بديوي:

قَلْ لِلطَّيِّبِ تَخْفِئُهُ يَدُ الرَّدَى	يَا شَافِي الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَ؟
قَلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَمَا	عَجَزَتْ فَنُونُ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟
قَلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ	مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحَ دَهَاكَ؟
قَلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةَ	فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ؟
بَلْ سَائِلِ الْأَعْمَى خَطَا بَيْنَ الزَحَامِ	بِلا اصْطِدَامٍ مَنْ يَقُودُ خُطَاكَ؟
وَاسْأَلْ بَطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ	شَهْدًا ، وَقَلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلَاكَ؟

وذلك إلى أن يصل قول الشاعر الأديب الحكيم ، وهو يُعدُّ ألوانَ الربوبية:

والله في كُلِّ العجائب خالقٌ      إن لم تكن لتراه فهو يراكَ

وكتبت قصيدتي على الفور وهي: (لن يخلقوا ذبابًا) والتي الهدف الرئيس

منها أن أثبت أن خلق الله لا يضاها ، وجعلت عنوانها من القرآن للتحدي  
والإعجاز! والأصل أنني ما توقعت أن يجترئ مخلوق على مثل هذا القول أبدا!

حَدَّثَ الَّذِي مَا لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ مَوْعُودَةً عَيْنٌ ، فَكَيْفَ بِهَِا تَرَى أَنَا لَسْتُ شَكَكًا بِقُدْرَةِ رَبِّيَا خَلَقَ الْمَلِيكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ؟ مَنْ كَانَ يَخْلُقُ ، هَلْ سِوَاهُ خَالِقٌ قَالَ الْإِلَهِ بِأَنَّ هَذَا خَلْقُهُ أَمْ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ قَدْ جَعَلُوا لَهُ أَشْشَابَةَ الْخَاقَانِ: خَلَقَ إِلَهَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا ، وَخَالَقَ الْوَرَى إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ مِنْ دُونِهِ حَتَّى وَإِنْ سَلَبَ الذَّبَابُ شُعَيْرَةً لَمَّا ابْتُلِيَتْ بِمُقَاتِي ، اسْتَرْجَعْتُ لَمْ وَتَبَسَّ الْقُرْآنُ بَيْنَ أُنَامِي وَحَلَّتْ لِعَاطِفِي الْحَيَاةَ ، وَلَمْ أَكُنْ لَكِنْ سَمِعْتُ مَنْ دَعَى أَنْ الْمَعَا الْكُلُّ أَنْصَتَ لِلْهُرَا ، إِلَّا أَنَا! مَنْ كَانَ لَيْسَ بِخَالِقِ ذُبَابَةَ قَالُوا: صَدَقْتَ فَخَلَقَ رَبُّكَ يَسْتَحْيِي

مَا ضَاعَ مِنْ شَيْءٍ ، فَأَنَّى يَرْجِعُ؟  
مِثْلَ الَّذِي كَانَتْ تَرَاهُ ، وَأَنْصَحُ؟  
لَكِنْ أَنَا حِي الطَّبَّ: هَلْ يُتَوَقَّعُ؟  
لَنْ يَخْلُقُوا ظَفَرًا ، وَإِنْ يَتَجَمَّعُوا  
أَوَلَيْسَ مِنْ عَقْلِ لَآيٍ يَسْمَعُ؟  
فَأَرَوْهُ مَاذَا قَدْ خَلَقْتُمْ يَنْفَعُ؟  
شُرَكَاءَ قَدْ خَلَقُوا؟ فَبِئْسَ الْكَلْعُ!  
وَمَنْ ادَّعَا؟ هَذَا ضَلَالٌ يَخْدَعُ!  
الوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، يَا قَوْمِي ارْجِعُوا  
لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابَةَ ، فَتَقُوا وَغُوا  
مِنْهُمْ ، فَلَنْ يَسْتَنْقِذُوهَا ، فَاخْشَعُوا  
أَكْ قَانِطًا ، إِنَّ الْقَنُوطَ يُضَيِّعُ  
فَذَكَرْتُ أَيَّ اللَّهِ تَتَرَى ، تَسْطَعُ  
أَحْفَلُ بِهَا ، بِالْحَقِّ إِنِّي أَقْنَعُ  
مِثْلَ عِنْدَهَا عَيْنٌ تَرَى ، فَتَسْمَعُوا  
أَنْ يَخْلُقَ الْمَخْلُوقُ ، لَا أَتَوَقَّعُ  
أَتَرَاهُ يَخْلُقُ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَا جَعُوا  
لِ مَثِيْلُهُ ، وَاسْتَغْفَرُوا ، وَتَرَفَعُوا

## لنن شكرتم لأزيدنكم

(ساعة الحادث المريع الفظيع أظلمت الدنيا ، وأمسيَتْ أرى السواد وأبصر الظلماء ، فرثيت لحال العُميان ، ورحتُ أتذكر من كان من معارفي وأصحابي قد ابتلاهم الله - عز وجل - بالعمى ، فتأثرت جداً بهذي التذكرة ، وتذكرتُ معها قول الله عز وجل: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور). وكان مصابي أعتى عندما مر ممارس عام طبيب على عنبر جراحة الرجال الذي كنت أرقد فيه ليلة الحادث ، مروراً لا قيمة له ولا معنى ولا طائل من ورائه ولا جدوى ، اللهم إلا الروتين فقط. ودار بيني وبينه حوار شبه عقيم حيث صممت وقلتُ: «في عيني زجاج» ، فعقب بأن: «لا» ، وهنا رحتُ أنكر عليه وأقول: «إن هذي العين عيني وأنا أحسُّ بها ، فاذهب واستدع طبيباً آخر تخصصه العيون ، أو أدعو عليك!» ، فمضى ، ثم جاءني بعد حين لفيفٍ من أطباء العيون وبدأوا صولتهم وجولتهم ، وفي النهاية عولجت علاجاً نسبياً ، والحمد لله رب العالمين.

والشكرُ قرينُ زيادةِ النِّعمة ، هذه بديهيةٌ حقّةٌ تُقرُّها آياتُ قرآنية. حتى إنّ المُسلم المؤمنَ المُوحِدَ ليستنبطها من ظاهر النص القرآني ، ولقد منَّ اللهُ علينا - في مُصابنا - وقَدَّرَ ولفظ ، ولو شاء لأهلك ، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ، ألا له الخلقُ والأمرُ تبارك اللهُ ربُّ العالمين. ثمَّ تفضّل اللهُ علينا ، وأبصرتِ العيُن - ولو نسبياً - بعدَ عدم ، والحمد لله ، ما أطفَ صنَع اللهُ وخلقه. لقد عُدتُ بالذاكرةِ إلى الوارعِ حيثُ أخذ الشعراءُ يُناجي رَبَّهُ معدداً بعض صور الربوبية ، فيقول:

يَا مَنْ يَرى مَدَّ البَعوضِ جَنَاحَها      في ظِلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَئيلِ  
ويَرى مَنَاطَ عُرُوقِها في نَحْرِها      والمُخِّ في تلكِ العِظامِ النَّحْلِ

وَيَرى خَرِيرَ الدَّمِّ فِي أوداجِهَا      مُتَنقِلاً مِنْ مِفْصَلٍ فِي مِفْصَلٍ  
وَيَرى وَصولَ غِذا الجِنينِ بِبطنِها      فِي ظِلْمَةِ الأَحشا بِغَيرِ تَنقُلٍ  
وَيَرى مَكانَ الوِطءِ مِنْ أَقدامِها      فِي سَيرِها ، وَحِثِثِها المُسْتَعجِلِ  
وَيَرى وَيَسْمَعُ حَسًّا ما هُوَ دونِها      فِي قاعِ بحرٍ مَظْلَمٍ مُتَهَوِّلِ  
أَمِنُّنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمحُو بِها      ما كانَ مِنِّي فِي الزَّمانِ الأَوَّلِ

جاء في تفسير القرطبي في التعليق على مشهد موسى عليه السلام مع قومه ما نصه: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد). قوله تعالى: "وإذ تأذن ربكم" قيل: هو من قول موسى لقومه. وقيل: هو من قول الله؛ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك كذا. و"تأذن" وأذن بمعنى أعلم؛ مثل أوعد وتوعد؛ روي معنى ذلك عن الحسن وغيره. ومنه الأذان، لأنه إعلام؛ قال الشاعر: فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الأذينا. وكان ابن مسعود يقرأ: "وإذ قال ربكم" والمعنى واحد. "لئن شكرتم لأزيدنكم" أي لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي. الحسن: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي. ابن عباس: لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب، والمعنى متقارب في هذه الأقوال؛ والآية نص في أن الشكر سبب المزيد؛ وقد تقدم في "البقرة" ما للعلماء في معنى الشكر. وسئل بعض الصلحاء عن الشكر لله فقال: أن لا تتقوى بنعمه على معاصيه. وحكي عن داود عليه السلام أنه قال: أي رب كيف أشكرك، وشكري لك نعمة مجددة منك علي؟ قال: يا داود الآن شكرتني. قلت: فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم. وأن لا يصرفها في غير طاعته. وأنشد الهادي وهو يأكل: (أنالك رزقه لتقوم فيه \* بطاعته وتشكر بعض حقه)، (فلم تشكر لنعمته ولكن \* قويت على معاصيه برزقه)، فغص باللقمة، وخنقته العبرة. وقال جعفر الصادق: إذا سمعت النعمة الشكر فتأهب للمزيد. "ولئن كفرتم إن عذابي لشديد" أي جحدتم حقي. وقيل: نعمي؛ وعد بالعذاب على الكفر، كما وعد بالزيادة على الشكر، وحذفت الفاء التي في جواب الشرط من "إن" للشهرة. وقوله تعالى: "وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد" والمعنى هنا: لا يلحقه بذلك نقص، بل هو الغني. (الحميد) أي (المحمود). هـ. رحم الله القرطبي! والآن أردد فأحتسب مقلتي عند الله تعالى،

وأسأله بها أن يدخلني الجنة ، آمين. وعلى إثر ذلك كتبت القصيدة الطريفة ،  
والتي عنوانها بعض آية: لنن شكرتم لأزيدنكم. فأنشدت من شعري هذا أقول:-)

هذي الغادة أضحت تُبصر  
أقيم الليل ، وصم لا تُفطر  
وعلى الذنب اندم واستغفر  
وترفق يا صاح ، وأكثر  
ولرحمات الله اسـمـمـمـمـم  
أتعلمت ، لَمَـا إذا تصـمـمـمـم  
كفـمـمـم دمـمـمك دـمـمـمـا ، واشكر  
هل ما عند المولى يُخسر؟  
فـمـمـم صـمـمـمك ، تبـمـمـم تجـمـمـم  
تبـمـمـم فيه ، ولم تتـمـمـم  
وغـمـمـم بعد شـمـمـم المنـمـمـم  
عـمـمـم هـمـمـم ، كـمـمـم لا تُفـمـمـم  
دمـمـمك هـمـمـم غـمـمـم عـمـمـم!  
أنت الحـمـمـم ، وعـمـمـمك تنـمـمـم  
فاجـمـمـم بصـمـمـماتك ، واسـمـمـم  
فـمـمـم الله الحـمـمـم يرـمـمـم

احمد ، واضرع ، واسجد ، واشكر  
احمد من أعطاك النعمى  
واقرا أي الذكر مليا  
وتصدق يا صاح ، وأجمل  
وتسامح ، لا تدبح قلبك  
قلت لك: اصبر ، لا تستعجل  
اثبت ، إن الحق عزيز  
كانت عينك عند المولى  
قبض المولى نور الخجالي  
وغزا شغرك سمع الدنيا  
قلبك أفضى بلواعجه  
رد المولى نور النشوى  
فلَمَـا إذا تبكي يا هذا؟  
دمع الحـمـمـم ثـمـمـمـم جـمـمـم  
كم جـمـمـم المـمـمـم وتفضل!  
واجعل دعواتك دائمة

## عَفْوًا أَيْتَهَا الطَّبِيبَةُ

(في مقدمة قصيدة سبقت ، سألتنا سؤالاً ، وقد فاتنا أن نجيب عليه ، لِمَا كان يكتنفُ الجواب من المقدمات والبديهيات والحواشي اللازمة التي كنا قد انشغلنا بعرضها على حساب الجواب. وكان هذا السؤال: «هل الطب اليوم محراب الإيمان؟» وأقطع بأن: «لا». إن الطب يكون محراب الإيمان إن انبثق من الإيمان بالله الشافي المعافي الخالق المعبود ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، الذي هو الرب الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم. وساعتئذ تناقشُ الطبيب ، فإذا أنت أمام قمة في كل من الطب والإيمان ، والتوحيد والعقيدة. وأما الوضع الحالي فلأسف ألف كثير من الأطباء الدماء والأشلاء والجماجم التي أصحابها أموات أو أحياء ، كما ألفوا الماء والهواء ، ففقدوا بذلك محرابية الإيمان. ولقد أشرفتُ الطَّبِيبَةَ الجِرَّاحَةَ الكبيرة ، والاستشاريَّةَ العِمْلَاقَةَ **الدكتورة «ثريا عبد الله نُور الدين»** وهي أخصائية جراحة وطب العيون بالمستشفى القاسمي بالشارقة على علاجي هناك ، فكان من قَدري أن أجرتِ الدكتورة ثريا عمليتين جراحتين في مُقَلتي اليسرى ، وجزاها اللهُ خيراً على ما بذلت ، وأصلح اللهُ لنا ولها الدينَ والدنيا والآخرة ، آمين. ولا يشكرُ اللهُ مَنْ لَيْسَ يشكرُ للناس. وفي أحد الفحوص تَحَدَّثْتُ إليَّ الدكتورة عن نِعْمَةِ البَصَرِ ، ووصفتها الطَّبِيبَةُ على حَدِّ قولها بأنَّها أفضلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ على بني آدم ، فقلتُ لها: بل أفضلُ نِعْمَةٍ بإطلاق هي نِعْمَةُ الإسلام ، فكم من مُبْصِرِينَ وهم عُميان! وكم من أصحَّاء وهم كُفَّار! ألا وإنَّ الواحدَ مِنْ أصحابِ محمدٍ ﷺ ورضيَ اللهُ عن صحابته ، كان يُقدِّرُ نِعْمَةَ الإسلامِ حقَّ قدرها ، فيقول: الحمدُ اللهُ على نِعْمَةِ الإسلامِ وكفى بها نِعْمَةً. وكانت هذي القصيدة ترجمةً للموقف ، ولكن تمَّ تأليفها واكتمالها ونضجها بعد سبع وسبعين يوماً من الحادث ، والله الحمدُ أولاً وآخراً ، والحمدُ اللهُ على نِعْمَةِ الإسلامِ ، وكفى بها نِعْمَةً! كما كان أصحاب النبي - عليه السلام - يرددون!)

سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَ سَبْعِ يَاحِبِيبَةٍ      لَمَّا تَرَيْنَ النَّوْرَ وَالنَّفْسَ السَّالِيبَةَ  
سَبْعُونَ يَوْمًا وَالرِّزَايَا وَالْبَلَايَا      تَجْتَاخُنَا ، وَيُلَاهُ ، مَا أَقْسَى الْمُصِيبَةَ  
وَاللَّهُ صَبْرَنَا ، وَصَبْرَ مَنْ لَدَيْنَا      تَقْوَى الْمَلِكِ رَفِيقَةَ الدَّرْبِ الْمُرِيبَةَ

بَارِكْ إِلَهَ الْكَوْنِ فِي هَذِي الْحَبِيبَةِ  
 وَكَأْتَنِي فِي عُرْسِ هَاتِيكَ الْخَطِيبَةِ  
 وَتَلَوْتُ آيَ الذِّكْرِ بِالْعَيْنِ الْأَرِيبَةِ  
 وَالسَّرِّ دُونَكَ رَحْمَةَ اللَّهِ الْقَرِيبَةِ  
 يَا مَوْعِدَ الْخِلَانِ ، يَا عَيْنِي الرَّبِيبَةِ  
 هَيْهَاتَ تُمْسِكُهُ يَدُ الْبَشْرِ الْعَطِيبَةِ  
 سُبْحَانَهُ ، أَعْلِمْتَ يَا هَذِي الطَّيْبَةَ؟  
 قَالَ الْمُهِمِنُ: «كُنْ» ، فَكَانَ بَغِيرِ رَبِيبَةِ  
 وَالرُّوحِ مُعْجِزَةً ، وَمُعْجِزَةً عَجِيبَةَ  
 لَا فِي السَّمَا أَبَدًا ، وَلَا الدُّنْيَا الرَّحِيبَةَ  
 وَالسَّرِّ لَسْتُ أَرَاهُ فِي هَذِي «الزَّبِيبَةِ»  
 مَنْ يُهْمَلُونَ وَلايَةَ اللَّهِ الرَّطِيبَةَ  
 مَلْعُونَةً هَذِي النُّوَايَا مِنْ عَطِيبَةِ  
 رَاجِعْتُهَا ، قَالَتْ: صَدَقْتَ ، بِكُلِّ طَيْبَةِ  
 رَفَعَ السَّمَا ، مَأْلُوفَةٌ لَيْسَتْ غَرِيبَةَ  
 مَنْ يَدْعُهُ فَيَسِيلِقُهُ صَدَقًا حَسِيبَهُ

وَالْيَوْمَ عَادَتْ لِلْفَوَادِ الْعَيْنُ هَذِي  
 إِنَّ الْحُبُورَ مُرَافِقِي لَمَّا رَأْتَنِي  
 حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ كِتَابَ اللَّهِ سُرَّتْ  
 الْمُعْجِزَاتُ - الْيَوْمَ - فِيهَا تَحْتَوِيهَا  
 وَالنَّاسُ عِنْدَكَ بَارَكُوا طَرَبًا ، وَسُرُّوا  
 مَا يَفْتَحُ الْمَوْلَى لِعَبْدٍ مِنْ نَعِيمٍ  
 كَلًّا ، وَإِنْ يُمْسِكُ ، فَمَنْ يُرْسِلُهُ قَوْلِي  
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فِي الْبَرَائِيَا  
 بِالْكَافِ وَالنُّونِ أَنْبَرِيْتُ ، وَصِرْتُ خُلُقًا  
 مَا كَانَ شَيْءٌ مُعْجِزًا رَبَّ الْبَرَائِيَا  
 وَالْعَيْنُ عَادَتْ حِينَ رَبِّي قَالَ: كُونِي  
 مُتَمَرِّدًا هَذَا الْيَرَاعُ عَلَى النَّدَامِي  
 مَنْ يَرَكْنُونَ إِلَى الدَّوَا تَرَكَوْا الْمُدَاوِي  
 لَكُنَّمَا بِالْحَقِّ قَدْ نَطَقْتُ «ثَرِيًّا»  
 إِسْمٌ أَرَاهُ عَلَى مُسَمَّى وَالذِّي  
 وَاللَّهُ فَوْقَ الْكُلِّ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ

(مع اعتذاري للدكتورة ثريًا ، فلعلها لا تُريدُ أن أذكر ذلك. وأمَّا كلمة  
 «الزبيبة» التي وردت في هذه القصيدة ، فنعني بها العدسة الصناعية التي  
 زُرعت في المقلة اليسرى ، وهي في حجم حبة العدس أو الزبيبة المتناهية في  
 الصغر ، أمريكية الصنع! انبهر بها الأطباء ورأوها تضاهي التي قبلها للأسف!)



## عذراً صاحبة الدموع

(خَرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَ الطَّبْرَانِي بِإِسْنَادِهِمَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ وَجَزَعِهِ مِنَ السَّقَمِ ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السَّقَمِ ، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا الدَّهْرَ» ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحَكَ ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مِمَّ رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ مَلَكَئِنِ ، كَانَا يَلْتَمِسَانِ عَبْدًا فِي مُصَلًى كَانَ يُصَلِّي فِيهِ فَلَمْ يَجِدَاهُ ، فَرَجَعَا فَقَالَا: يَا رَبَّنَا ، عَبْدُكَ فُلَانٌ كُنَّا نَكْتُبُ لَهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، فَوَجَدْنَاهُ حَبْسَتْهُ فِي حَبَالِكَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (اَكْتُبُوا لِعَبْدِي عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ، وَلَا تُنْقِصُوا مِنْهُ ، وَعَلَيَّ أَجْرُهُ مَا حَبَسْتَهُ وَلَهُ أَجْرُ مَا كَانَ يَعْمَلُ). وَهَذَا الْحَدِيثُ يُقَلِّلُ مِنَ الْحُزْنِ وَالدمْعِ وَالهم. وَتَدْمَعُ عَيْنَا المرءِ ، حَالُ حُزْنِهِ وَحَالُ مُصَابِهِ ، وَهَذِهِ بِدِيهِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ لَا مَرِيَّةَ فِيهَا. وَلَكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ سَاعَةً فَرَجَهُ بِنِ سُرُورِهِ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مَدْهَشٌ مُضْحِكٌ ، لَوْلَا أَنَّهُ أَدْعَى إِلَى كَوْنِهِ مُسْتَبْعَدًا مِنْ دَائِرَةِ النَّقَاشِ. وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَقَلَّتِي هَذِهِ ، حَيْثُ إِنَّهَا عِنْدَمَا أُصِيبَتْ دَمَعَتْ ، وَكَذَا عِنْدَمَا شَفَاهَا اللَّهُ وَنَجَحَتْ جِرَاحَتُهَا - عَلَى الْأَقْلِ فِي الْحِفَافِ عَلَى هَيْئَتِهَا الْعَامَّةِ حَتَّى تَتَنَاسَقَ مَعَ كُلِّ الْوَجْهِ وَالْجَبْهَةِ - دَمَعَتْ وَانْتَحَبَتْ ، وَمِنْ هُنَا رُحْتُ أَعْتَذِرُ لَهَا وَأَقُولُ: إِنَّمَا الْعَيْبُ عَيْبُهَا. وَعِشْتُ مَعَ شِعْرِ الشَّافِعِيِّ - يَقُولُ:

نَعِيبُ زَمَانِنَا ، وَالْعَيْبُ فِينَا	وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهَجُوا ذَا الزَّمَانِ بَغِيرِ ذَنْبِ	وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا
فَدُنْيَانَا التَّصَنُّعَ وَالتَّرَائِي	وَنَحْنُ بِهَا نُخَادِعُ مَنْ يَرَانَا
وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبِ	وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانَا
لِبِسْنَا لِلْخِدَاعِ مُسُوكَ ضَانِ	فَوَيْلٌ لِلْمُغِيرِ إِذَا أَتَانَا

فدنيانا التصنع والتراخي ونحن بها نخادع من يرانا

وكم تأثرت بهذه الأبيات الشافعية العملاقة ، التي تسبُرُ أغوارَ النفس  
الإنسانية وتحددُ ماهيتها ، وتفضحُ طبيعتها المُعَوَّجة. وأعودُ لعيني التي أوبخها  
بأبيات الشافعيّ الفذِّ ثمَّ بعد ذلك أكتب قصيدةً عنوانها: عُذْرًا ، صَاحِبَةَ الدُّمُوعِ).

وآهاتها تسـتـجيشُ الوُلُوعِ  
فواعجبًا مِن ظلالِ الهُـلُوعِ!  
لقد أحرقتُ وجنتي الدُّمُوعِ  
أليسَ لفجرِ السَّنا مِن ظُلُوعِ؟  
وفي السَّعدِ دَمَعٌ يَؤُزُّ الضُّلُوعِ!  
أجيبني عَليَّ بغيرِ الخُضُوعِ؟  
«على الرأسِ دمَعُك» بَلْ والجُرُوعِ  
سُرورًا يَفُوقُ سُرورَ الجُمُوعِ  
ومَرَحِي بغابِةٍ ، والرُّجُوعِ  
ومنَ عانٍ مُسْتَرِيبِ النَّرُوعِ  
نَعَمَ للمُضَاءِ ، ولا للهُجُوعِ!  
سأوقدُ للعائِـداتِ الشُّمُوعِ  
وتخبُّو النجومَ ، ونجمي سَطُوعِ  
ولي هِمَّةٌ كانَ دَفَاعِ السُّبُوعِ  
وناصِعةٌ كانتِ عَاشِ الرِّبِيعِ  
وإنَّ مَصَّابِكِ حَقًّا مُرِيعِ  
لَهُ الخَلْقُ والأمرُ رَبِّي البَدِيعِ

دَهَشْتُ لِعَيْنِ نَحْبِ الدُّمُوعِ  
وإنَّ البُكَاءَ عَدا سَمَمَتِهَا  
وَلَكِن: أَبْعَدَ النَّجَاحِ البُكَاءِ؟  
دَهَشْتُ لِأَمْرِكَ ، يا مُقَلَّتِي  
ففي الحُزنِ دَمَعٌ يَفْتُ الحِشَاءِ!  
أأمسي على الدَّمَعِ ، كُلِّي جوى  
إذا كُنْتُ بالدَّمَعِ مَحْبُورَةً  
وإنَّنا سُررنا بَعُودَ الضُّيَا  
هَنيئًا لَكَ النُّورُ يا غادِتي  
يَمِينًا أَصُـونُوكِ مِن نَظَرَةٍ  
وربُّ السُّورِ شَاهدٌ نيتي  
فإنَّ المَضَاءَ عَدا دِيـدَني  
ولنَّ أَسْتَكِينَ لِمَـانِـنِـي  
يُبَدِّدُ كُلَّ ظَلامِ الكَرِي  
بِخَيْرِ أَرَاكِ ، أَيَا مُقَلَّتِي  
وأنتِ بوجهِ الفَتَى شامَةٌ  
وَلَكِن قُضَاءَ المايكِ الَّذِي

## يا عين يا أنشودتي

(«رنا» فتاة صومالية تعمل في المستشفى ، قامت بقص رموش العين التي ستجرى لها الجراحة بعد ساعتين تقريبًا ، فبدأ منظر العين في غاية السوء والقبح ، فسبحان الذي أبدع خلقه وجعله في أحسن تقويم. وجمال العين الأكبر والأحلى أن ترى وتبصر. إن العين في وجه صاحبها ياقوتة في غاية الجمال ، وجوهرة لا يمكن أن تقدر بمال أو تثنى بثمن. وإن كنوز الأرض لا ترجح كفة عين عند صاحبها ، ولو خُير بين كنوز الأرض وعينه لاختار بلا تفكير عينه. وأخذت أسترسل مع هذا المعنى بعدما خرجت رنا ، فتولد هذا المعنى الذي يضمنه المطلع الغنائي الذي أخذت أنسج على منواله ، مُعزِّيًا مقلتي المبتلاة الحزينة:

**إِيهِ يَا غَايَةَ الْمُنَى      إِنِّي فِي ذُرَى الْهَنَاءِ**

ألا وإن العين في وجه المرء نشيد جميل عذب الألبان ، بن لطيف الترانيم. وعلى سرير المرض كنت أتابع شريطاً في الشعر ، فأعجبتي نعمة أحد الشعراء ، فرحت أكتب هذه القصيدة على رويّه ، طبعاً مع الفارق الكبير ، حيث إن هذا الشاعر شاعر عملاق فحلّ جهبذ ، وأهديت القصيدة بعد لعيني البائسة المبتلاة ، وكأني أعزّيها ، وتذكرت أبياتاً أربعة من الشعر كنت أتغنى بها كلما نزلت بي نازلة ، وكلما ضجرت مني الدنيا وكلما ضاقت عليّ الأرض! يقول الشاعر فيها:

وما الحال إلا مثل ما قال من مضى      وبالجملة الأمثال للناس تُضرب  
لكل اجتماع من خليلين فرقة      ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب  
فحسوا مطايا الارتحال ، وشمروا      إلى الله ، والدار التي ليس تحرب  
فما أقرب الآتي ، وأبعد ما مضى!      وهذا غراب البين في الدار ينعب

فتأثرت هذه المرّة وأنا أتذكر هذي الأبيات الأربعة ، فأنشدت قصيدتي هذه والتي عُنوانها: يا عين يا أنشودتي. أحاول عبرها تعزية عيني التي لم يعزها أحد!)

(إِيهِ يَا غَايَةَ الْمُنَى      إِنِّي فِي ذُرَى الْهَنَاءِ)  
مَازِحِي الْقَلْبَ ، غَرْدِي      وَاسْكُبِي الْعِطْرَ فِي الدُّنَا

مِنْكَ إِلَّا ضِيَا السَّنَا  
 فاقبلهيا ، بلا ثنا  
 أشعت نار حبا  
 والوفيا ، ذاك طبعنا  
 يا غاية المنى  
 إنما البأس سمثنا  
 حطممي موقد العنا  
 ليس لي عنك من غنا  
 يذهب الحزن والضنا  
 عنك فليرحل الفنا  
 منذ ألفت به «رنا»  
 عوض الله جرحنا  
 يبدأ الخير من هنا  
 لا تقولي - إذن - «أنا»  
 إنما الخير جاءنا  
 قد سعدنا بشعرنا  
 والتسامي هو الجنى  
 فاسمعيني بربنا  
 ثم يمحو كروبنا  
 عين ، أرضي مليكنا

أنت نُورٌ ، فلا أرى  
 عينٌ ، هذي عواطفِي  
 عينٌ تأتك مشاعري  
 بيننا العهد لم يزل  
 والأمانِي تزيده الخُ  
 لا تخافي أسى الهوى  
 صديقيني ، وأجملي  
 يا فتاة ، أحبها  
 في جبينِي ضياؤها  
 زادك الله فرحة  
 رمثك المرتمي بكى  
 عينٌ: لا تحزني ، لقد  
 والذِي يرزق الورى  
 لست - وخلي - معذبا  
 فاصبري ، يا عزيزتي  
 مردهر على الأذى  
 إنما الصبر حيلة  
 إنما العز في الهدى  
 يكثف السوء والبلأ  
 فازرعِي النور في الورى

## زنبقة في فلاة الجاهلية

(إنني أتعجب كثيراً من قوم يفتنون بالعلم المعاصر ، وما قدم من التقنيات والمعطيات والأحاجي والمبتكرات التي أذهلت الكثيرين في شتى بقاع الأرض من الأجناس والعقائد. ولكن العقيدة الحقّة التي كان ينبغي لأصحابها مجابهة العلم وتقنياته ومبتكراته ، يقف أصحابها اليوم على هامش الحياة ، وفي ذيل الأمم والشعوب ، وتحت أرجل أرباب العلم المادي الدنيوي والحضارات. إن عقيدة (المسيح ابن الله) وعقيدة (عزيز ابن الله) وعقيدة (عبادة البقر) وعقيدة (كريشنا) وعقائد الهندوس ومن يؤلهون غير الله ، إن هذه العقائد كان ينبغي لأصحابها من الكفار والمشركين والوثنيين والملاحدة - كان ينبغي لهم - جميعاً أن يكونوا هم في ذيل الأمم والشعوب! وما كان يليق بهم البتة أن يتبوأوا اليوم أرقى القمم في الحضارات والتقنيات ، وكان أولى وأليق وأجدر بأمة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) المسلمة ، أن تتبوأ أسمى المكنات ، وترفع أقوم الشعارات ، ويخضع لها القاصي والداني ، ويعطي غير المسلمين من أهل الكتاب لها الجزية عن يد وهم صاغرون ، فلماذا لا يكون ذلك كذلك اليوم؟ إن الجواب عن هذا السؤال يطول شرحه ، ومختصره أن أمتنا تعيش في عالم اللاشعور والملاوعي! ولا مخرج إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، تطبيقاً ودعوة وعملاً واعتقاداً وجهاداً وسلوكاً وحباً. إن أمتنا إن هي فعلت ذلك ، فما أشبهها بالزنبقة في فلاة الجاهلية التي نعيش. إن العالم بأسره اليوم يعيش في جاهلية جهلاء ، وأمتنا جزء بسيط منه. إن الوردة الجميلة في بستان الشوك وفلاة الجاهلية ودرك الشقاء تتألم - ولا شك - ولا يشعر بها أحد ، وعلى الرغم من كثرة ما تلاقيه من العذاب والألم والوحشة والوحدة والنفي والإحساس بتقل العزلة ومشاعر الأسى ، إلا أنها تظل تعطي الأريج والعطر الزكي والنفحات الطيبة ، ولو كان منها ذلك للشوك والزقوم والشيح والحنقوق والغرقد ، ذلك أنها جُبلت على العطاء والمنح والجود والكرم ، لا على الشح أو البخل أو المنع! ألا وإنني أهدي هذي القصيدة الجنائزية لكل زنبقة رطيبة في فلاة أيّ جاهلية على أرض الله اليوم ، وأوصي كل معطاء للخير ، معوان عليه ، باذل في سبيله أن يستمر ، ولا يركن إلى المُرْجفين المُتَبْطين طرفة عين أو أقل من ذلك. إنّ الجاهلية سوف تزول - إن شاء الله - ويبقى الإخلاص والعطاء. والأصل أن نشكر الله ونحمده على كل حال. ألا إنه ليس

يحمد على مكروهه سواه سبحانه وتعالى. والذي يعطي أذنيه للمرجفين المثبطين المتخَرِّصِينَ لا يلومَنَّ إلا نفسه ، إن هو انتكس في إيمانه وأخذه للحق في حياته والعمل الجاد بمقتضاه. والكتاب والسنة فيهما البشارات تلو البشارات للمؤمنين!

ولهذا قَد حَارَ فِي التَّيْهِ أَمْرِي  
ولهذا خَبَأْتُ فِي الْقَلْبِ سِرِّي  
كَيْفَ أَلْقَى عَلَى الْأَرَانِلِ خَيْرِي؟  
وَأَرَانِي عَلَى اللَّطْيِ كُنْتُ أَجْرِي  
كَمْ كَوَى قَلْبِي كُلَّ صَدِّ وَجْمَرِي!  
بَيْنَمَا فِي الْفَرْحِ قَدْ نَامَ غَيْرِي!  
هَلْ يُعِيدُ الْعُمَرَ الْمُغَاضِبَ شِعْرِي؟  
أَهْ مِنْ قَيْدٍ يَحْتَوِي بِوُحْ فَكْرِي  
بِفَوَادٍ فِيمَا أَعَانِيهِ حُرِّي؟  
وَالِامِ أَحْيَا بظَلَمٍ وَشُرِّي؟  
وَمَتَى يَا قَلْبَاهُ يَبْزُغُ فَجْرِي؟  
وَذَلَّلْنَا - بَيْنَ الْبِرَايَا - بِقَهْرِي  
وَالْأَعَادِي فِينَا تَبِيعَ وَتَشْرِي!  
وَعَذَارِي أَتَقَنَّ فَنَ التَّعْرِي  
وَعَلِيهَا فِي الْعَيْنِ دَمْعِي يَسْرِي  
وَتُخَالِي دُعْرَ الْبَغَايَا بَعَطْرِي  
وَتُعْطِي التَّقْوَى بِحَيْفٍ وَسِحْرِي  
وَعَلَيْنَا جَمْرٌ بِمِخْلَابِ نَسْرِي  
عَيْنُهُ - فِي دَمْعِ الْجَوَى - عَيْنُ هَرِي  
ضَاقَ عَنِ عَصِيَانِ الْوَرَى كُلَّ حَصْرِي

غَيْرُ مُجْدٍ فِي الْعَيْرِ لَوْمِي وَشِعْرِي  
لَيْسَ يَلْوِي عَلَى اتِّبَاعِي غَفَاةً  
كَيْفَ يُعْطَى نُورَ الرِّشَادِ سَفِيَّةً  
فِي دِيَارِي قَدْ بَدَلْتُ عَطَائِي  
فَأَبْنَيْتُ الْمُنْهَاجَ ، لَمْ أَتَخَوْفِ  
كَمْ سَاهَرْتُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ أَعَانِي  
وَهَنَّ الْعِظْمَ الْمَسْتَكِينَ بِجِسْمِي  
إِنَّمَا الْأَهَاتُ الْمَرِيرَةُ تَتْرَى  
فَمَتَى أَمْشِي بَيْنَ قَوْمِي حُرًّا  
وَمَتَى يَحْيَا الْقَلْبَ فِيهِمْ قَرِيرًا؟  
وَمَتَى نَلْقَى فِي قَرَانَا رَجَالًا؟  
أَرْضُنَا ضَاعَتْ ثُمَّ خَارَتْ قَوَانَا  
كَمْ زَهَدْنَا فِي الدِّينِ دَهْرًا طَوِيلًا  
وَشَبَابٌ فِي كُلِّ صُقْعٍ تَرْدِي  
حُرْمَاتٌ أَمْسَتْ تُدَاسُ بِأَرْضِي  
وَذُنَابٌ تَجْتَنُّ كُلَّ جَمِيلِ  
تَذْبِيحُ الْحَقِّ الْمَسْتَبِينَ جَهَارًا  
مُلْتَقَاهُمْ مِثْلُ الْخَوَارِجِ صِدْقًا  
وَتَرَاهُ عِنْدَ الطَّوَاغِي نَسِيمًا  
أَحْرَامٌ أَنْ يَصْدُقَ الرَّبُّ يَوْمًا؟!

وسواءً عند الورى كلَّ زَيْفٍ  
أيها اللاهون الغفاه ، أفيقوا  
نَبْتَةَ أَرْدَتْ فِي الْبَرَايَا صِبَاها  
إن هذي في الروض ، لم تتطهر  
شككت في نور «الظلال» ، وعَابَتْ  
دلست فيَّ طَهَرَ «المعالم» عمداً  
رُبَّ عِلْمٍ قَادِ الْقَطِيعَ لَجْهَلٍ!  
وبقايَا عِلْمٍ تَرُوخُ وَتَغْدُو  
ونفوسٍ فِي الْجَهْلِ كَمِ تَتَمَطَّى!  
وشبابٍ أَضْنَى الرِّجَالَاتِ بَحْثًا  
وهوَ مِنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالَاتِ خَالٍ  
يَحْسَبُ الْعِلْمَ الْمَسْتَنِيرَ حِسَاءً  
وَادْعُوا أَنْ الْعِلْمَ فِيهِمْ تَسَامَى  
جعلوا الشيطانَ الرجيم دليلاً  
إنهم أقزامٌ جيلٌ تدنى  
وأحاسيسٌ عربدتُ دون وعي  
ليت شعري كيف الضلال طواها؟  
وجهولٌ أمسى عليهم إماماً  
مَلَأُوهُ بِالزُّهُوِّ حَتَّى تَمَادَى  
قلبه لم يَعْرِفَ سَنَا الْبَشْرِ يَوْمًا  
ولهُ أَخَذَ فِي الْكَلَامِ عَجِيبٌ  
وإذا مِنْ حَوْلِ الْفَتَى الْقَوْمِ صَرَعَى  
وعيونٌ كَمِ كَابَدَتْ مِنْ لِيَالِ

ورشادٍ ، إذ أهدروا كل قدر  
قلت رأيتُ ، عند الْمُهَيِّمِ أَجْرِي  
ولها فيهم لم يعد أي ذُكْرٍ  
لم تطقُ من بين الورى بعضَ طهر  
«سيداً» عُذْوَانًا بِغِلٍّ وَمَكْرٍ  
أتراها يا صاحبي ليس تدري؟  
وظننُونِ سَأَقَتْ لِإِثْمِ وَوِزْرِ!  
لا تُسَاوِي . بِاللَّهِ . فَلَسَا لِحَبْرِ  
مالها عند الملتقى ظل صبر  
خصَّها بالتكرار في بعض عمر  
آه من مستهجنِ الرأيِ غر!  
إن هذا شيءٌ يَؤُوزُ وَيُزْرِي  
وهُمُ دُونَ الْعِلْمِ حَقًّا بَدْهَرٍ  
وأبَا جَهْلٍ يَسْتَثِيرُ وَيُغْرِي  
وُثْنٌ صَيَغَتْ مِنْ حَدِيدٍ وَصَخْرٍ  
سَكِرَتْ ، وَالتَّضَلِيلُ يَأْتِي بِسَكْرِ  
وطوى أعناق الأنام بخمر؟  
واستعاروا نورًا يليق ببدر  
في هواه في سِرِّهِ وَبِجْهَرٍ  
إنما في التَّكْشِيرِ فَاقَ الْمَعْرِي  
تارة يُنْبِي ، ثم أخرى يُورِي  
بوجوهٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَحْثِ صُفْرِ  
تنشُدُ الْعِلْمَ الْمَصْطَفَى بِتَحَرٍّ!

وسطورٍ مِنْ كلِّ زيفٍ وعُهرٍ!  
وحوارٍ يمتدُّ مِدةً شهر  
وهراءٌ لِمَا يُعَدُّ لنشر  
ورعايدٍ للخرافات تشري  
جَوْقةً سيست في قراها بجور  
قد حذقنا في دارنا كل نحر  
وخرجنا من ذا الحساب بصفر  
واختلقنا كابن السلول ونضمر  
وسقطنا في كل غمطٍ وكبير  
فشربنا من كل فسق وكُفر  
ربِّ واجبرُ ذلي وضعفي وكسري  
يبتغي فيها كل رُشدٍ وخير  
خاف خزيًا في يوم بعثٍ وحشر  
سحقتها بكل طردٍ وزجر  
فاستساعت من كل نارٍ وضير  
فمخا منها كل حُسنٍ لبكر  
فبكاها من كل إنسٍ وطير  
وحمى هودًا خلف صخرٍ ودير  
فاستحال القُصرُ المشيدُ لُوكر  
وشوى أهداب الإباء بقدر  
ربِّ فرجٍ ، وابعث طيوفًا لنصر

وقراطيسٍ كم حوتٍ مِنْ عزيِفٍ  
وشريطٍ يُثيرُ فتنةً هلكى  
وعلى أوراقِ الجرائدِ قسطٍ  
وشياةً أضحت تُصْفِقُ دوماً  
فاسعدوا يا أذئاب صهيون ، إننا  
إننا أسدُّ على من أنابوا  
قد قتلنا الأفذاذَ منا عيانًا  
نحن قد شوَّهنا الحنيفةَ عمدًا  
وسخَرنا مِنْ كلِّ غالٍ كريم  
وانطلى تزييفُ النصارى علينا  
ربِّ أدرك عبْدًا يذوبُ انكسارًا  
«في فلاةٍ للجاهلية» عبْدٌ  
فاح مِنْهُ النورُ الأغر عطيْرًا  
«نبتة» بيِّدواؤها قتلتها  
خَمَّشتها الأشواكُ حتى استكانت  
وسقاها الصَّبارُ كأسَ مَرارٍ  
وأباد الشَّيخُ البغيضُ صباها  
وأزال الضريعُ بغيضُ الأماني  
وتحدى الشَّيخُ الظلومُ ضياها  
وطوى الزقوم الحَقودَ سناها  
كَيْفَ يحلو في ذي الهزيمة عيشٌ؟



## نبال المنية

(عندما وقع الحادث ، وحُملتُ إلى المستشفى ، بعد ما يقارب خمسًا وثلاثين دقيقة تقريبًا ، لم أكن أفكر في نفسي بقدر ما فكرت في زوجي وولدي. أما عبد الله وعبد الرحمن ولداي فهما صغيران ، وقليلًا ما ينتبه الصغير لمثل ما أنا فيه ولو كنت أباه. فتركز تفكيري على أم الأولاد ، كيف أخبرها وأنا في هذا الحال؟ كيف أزعجها وهي التي تنتظرنني ككل ليلة؟ وهل إذا علمت من غيري يكون أفضل؟ كل هذه الأسئلة دارت بخَلدي وأنا على سرير العلاج ، وقد دارت رحي الهواجس بي يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، ورأيت أن أوصي الشرطي في قسم الحوادث بالمستشفى في دار غربتي ، أن يُدخلها إذا هي جاءت مع أخيها لأنها بالطبع ستعرف من غيري ، وآثرت أن تعلم هي كيف شاءت ولا أخبرها بنفسِي. وهذا الذي حدث بالفعل! والحقيقة أنني استرسلتُ مع خيالي ، وتذكرتُ يوم كان جحدر بن ربيعة بطلًا مغوارًا وشجاعًا مقدمًا جسورًا ، وكان قد حارب جنودَ الحجاج بن يوسف الثقفي في اليمامة ، وكان فعلاً قد انتصر عليهم ، فكتب الحجاجُ إلى عامله يطلب منه القبض على جحدر بن ربيعة والإتيان به. واستطاع عامل الحجاج هذا أن يوقع به بالمكر والحيلة ، واقتيد أسيرًا إلى الحجاج ، فقال له: أنت جحدر بن ربيعة؟ قال: نعم ، أصلح الله الأمير. فقال الحجاج: ما الذي جعلك تتجرأ علينا يا جحدر؟ فقال جحدر: أصلح الله الأمير ، تكالبُ الزمان وجفوةُ السلطان وجرأةُ الجبان. وظل الحجاج يسأل ، وجحدر يجيب ، فأعجب الحجاج برجاحة عقله ، بل بقوة حجته ، وقال: يا جحدر ، سأرميك إلى أسد عظيم ، فإن قتلك كفانا مشقة قتلك ، وإن أنت قتلته عفونا عنك. قال جحدر: قربُ الفرَج إن شاء الله تعالى. ولما حان الوقت جيء بجحدر ، وتقدم نحو الأسد الذي خرج من قفصه وقد عضه الجوع ، فلما أن رأى جحدرًا يتقدم إليه حاملاً سيفه زار زئيرًا مخيفًا ثم انقضَّ عليه ، فما كان من جحدر إلا أن اقترب منه وداوره ثم ضربه ضربة قوية بسيفه فقتله في الحال فكَبَّرَ الناس ، وأعجب الحجاج بهذا البطل الصنديد وقال له: لله دَرَكٌ مَا أَنْجَبَكَ! ثم قربه إلى جواره وولاه على اليمامة. **وفي ضوء هذا الموقف أقول:** هكذا نرى صنيع الكوارث عندما تتوالى على المرء فتحيله مصارعًا للأسد. لا أنسى يوم الحادث عندما عاد أحدهم بجهاز «النداء» الإليكتروني ، والساعة الفضية إلى زوجي في بيتها ، وقد تضمخا بالدم من أثر الحادث فعزبتها. وكانت ليلة حزينة

كنيبة مزعجة! وقد شدت الأحداث المتلاحقة من أزري ، واستيقنت أنه ابتلاء من الله لمحو السيئات ورفع الدرجات ، فاحتسبت المصاب عند الله ، وتجلدت وتعزيت وتصبرت وتسلت! وأنشدت على البحر البسيط هذه القصيدة الخدائية في تعزية زوجي وموازرتها وتسليتها! وأثرت أن أضمن القصيدة شيئاً من حالها!

والقلبُ في حسرةٍ يشقى ويضطرمُّ  
وتلك يعجزُ عن تصويرها القلم  
وكثرةُ الحزن يُردي بأسها الألم  
والوحي منسكها ، والحبُّ والسلم  
يشكو الخطوب ، وملء الجيب منه دم  
فما بدا عبرها رمزٌ ولا رقم  
يفوح منه الجوى والحزن والنعم  
والدمعُ تشربه الأفياء والأكم  
لولا القضاء أتى ما زلت القدم  
على الذي قد مضى لا ينفع الندم  
فالمرءُ حتماً يرى ما حطت القسَمُ  
يبكي عليه الأسى والوجد والعدم  
وحبلٌ ودك باقٍ ، ليس ينصرم  
لأجعل الخاطر المحزون يبسم  
وأسعد الروح بالأفراح ترتسم  
حتى يعالج ، لا حمى ولا سقم  
عند المليك جنان الخلد ، فاغتموا  
نسألك ركاب الشقا ، أو الذين عموا  
حتى بكتني على ما حل بي القيم

تألى يعربد في إحساسها الألم  
نارُ الفجيعَةِ أفنت كل أمنيّة  
والحزن يجعل قلب المرء ملتهباً  
كانت ترتب بيت الزوج باسمه  
حتى أتاه «الندا» بغير موعده  
وحمرة الجرح تخفي ضوء شاشته  
والصوت يبعث في الأفاق صولته  
يبكي الأليف على الآكام منظرها  
يا «أم عبد» سيوف الكرب مشهرة!  
فاستمسكي بالنقى ، لا تحزني أبداً  
تجلدي ، وانكري الرحمن ، واصطبري  
قلبي لدمعك ملتاع ومنفطر  
تهفو إليك الروى في كل خاطرة  
إني أثوق إلى رؤياك في ولع  
أقود قلبك نحو الصبر محتسباً  
وأطرب الأمل المحموم في غدنا  
أطمئن الأهل والأولاد أن لنا  
إن نحن متنا على هدي النبي ولم  
لكنما صدقي ، هو المصاب طغي

وَأَنْتِ أَصْدَقُ مَنْ أَهْوَى وَأَحْتَرَمَ  
 حَارَ الْفَوَادِ ، وَأَرْدَى عَزْمَتِي الْبَكَمَ  
 فَأَخْبِرُوكِ بِمَأْسَاتِي ، وَفِي حَمْوَا  
 حُزْنِي عَلَى دَمْعِكَ الْهَتَّانِ يَنْسَجِمُ  
 حُزْنِي عَلَى بَسْمَةٍ فِي فَيْكِ تَنْتَلِمُ  
 وَحَارَ - مَثَلِي - الْوَرَى وَالخِلِّ وَالرَّحِمِ  
 أَيَحْرِقُ السَّمْعَ فِيهَا الْحَزْنَ وَالجَحْمَ؟  
 بَلْ فَعَلَّةٌ مُرَّةٌ ، وَمَا بِهَا حِكْمُ  
 فَانْسَابِ دَمْعُكَ فَوْقَ الْخَدِّ يَرْتَمُ  
 عَسَى الْجِرَاحُ بِهَا يَا «عَزَّ» تَلْتَمِمْ  
 وَأَذْكَرُ اللَّهَ حَتَّى يَرْحَلَ السَّامَ  
 خَطَى الرَّشَادَ ؛ لَكِي يَسْتَأْصِلُ الصَّنَمَ  
 وَمِشْفَرُ الْكَرْبِ مَنَابَاتٍ يَنْتَقِمُ  
 وَمَوْقِدُ الْيَأْسِ فِي أَكْبَادِنَا حُمَمُ  
 يَخْشَى الْحِسَابَ ، وَبِالرَّحْمَنِ يَعْتَصِمُ  
 وَالْمَشْرُكُ الْغُرُّ بِالْأَحْزَانِ يَنْهَزِمُ  
 وَبِالْمَعَانَاةِ تُرْجَى فِي الدُّنَا الْقِمَمُ  
 وَلَنْ تَرَى النُّورَ فِي إِعْرَاضِهَا الْأَمَمِ  
 لَضَاعَ مِنَّا اللَّوَا ، وَانْفَلَتِ الدَّمَمُ  
 إِنِّي بِذَلِكَ يَا أَخْتَاهُ أَخْتَمِ

بَعْدَ الْمُهَيْمَنِ أَنْتِ الْيَوْمَ مَنَقْدَتِي  
 رُوحِي لِكَرْبِكَ غَاصَتْ فِي كَوَارِثِهَا  
 لَمَّا اتَّصَلْتَ بِهِمْ ، زَادُوكِ مَلْهَبَةً  
 وَمَا حَزَنْتُ عَلَى جُرحٍ يُخْمَشِنِي  
 وَلَا حَزَنْتُ عَلَى عَيْنٍ بُلِيَتْ بِهَا  
 وَاحْتَرْتُ كَيْفَ بِمَا قَدْ حَلَّ أَخْبَرَهَا؟  
 أَنْكَسِرُ الْقَلْبَ بِالْأَخْبَارِ مُفْجَعَةً؟  
 أَنْطَعُنُ الرُّوحَ؟ مَا هَذَا بِمَكْرَمَةٍ  
 حَتَّى أَتَاكَ بِمَا قَدْ حَلَّ بِي خَبَرٌ  
 إِنِّي أَقْدَمُ يَا أَخْتَاهُ تَعَزَيْتِي  
 وَأَطْرَحُ الْكَرْبَ أَرْضًا عَنِ عَزَائِمِنَا  
 وَأُكْسِرُ الْقَيْدَ وَالْأَغْلَالَ مَقْتَفِيًّا  
 فَالْحَزْنَ كَالصَّخْرِ جَاثٍ فَوْقَ مَطْمَحِنَا  
 سَحَابُ الْوَهْمِ تَعْشَى كُلَّ مِصْطَبِرٍ  
 وَيَنْجُ الْيَوْمَ فِي بِلَوَاهِ مُحْتَسِبٍ  
 لَا يَهْزِمُ الْيَأْسُ مُعْتَزًّا بِخَالِقِهِ  
 وَبِهَجَاةِ الْعُمُرِ بِالْأَلَامِ نَلْمُسُهَا  
 لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ شَعْبٌ فِي نُعُومَتِهِ  
 لَوْلَا الْعَقِيدَةُ فِي الدِّيَانِ تَرْفَعُنَا  
 أَخْتَاهُ كُفِيَ الْأَسَى وَالِدَمْعَ ، وَاحْتَسَبِي

## العين والعقل والقلب

(إِنَّهَا النِّعْمُ الثَّلَاثُ الَّتِي تَفَضَّلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَلَى الْإِنْسَانِ بِهَا ، وَذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِهِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ). وَسَبَبُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي الْحَقِيقَةِ حِوَارٌ خَفِيفٌ لَطِيفٌ ظَرِيفٌ كَانَ مَعَ بَعْضِ الْأَطْبَاءِ ، فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ هِيَ نِعْمَةُ الْقَلْبِ ، وَآخِرُ يَقُولُ: بَلِ الْعَقْلُ ، وَثَالِثُ يَقُولُ: بَلِ الْعَيْنُ. فَقَاطَعْتُ الْجَمِيعَ بِقَوْلِي: بَلْ إِنَّ أَفْضَلَ النِّعَمِ بِإِطْلَاقٍ هِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ. وَتَرَكْتُ الْمَقَامَ وَمَكثْتُ مَعَ نَفْسِي ، وَعَقِيبَ صَلَاةِ ظَهْرٍ أَخَذْتُ أَسْأَلُ قَلْبِي وَنَفْسِي وَعَقْلِي وَعَيْنِي: مَا أَفْضَلُ نِعْمَةٍ؟ وَكَتَبْتُ الْقَصِيدَةَ. مَوْقِنًا أَنَّ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ هِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ (وَكَفَى بِهَا نِعْمَةً) ، وَتَلِيهَا نِعْمَةُ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ!)

فَرَدَّ الْعَقْلُ: قَدْ وَدَّعْتُ خَطْبِي  
زَمَانًا ، فَاكْتَوَيْتُ بِنَارِ كَرْبِي  
فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْسَ الذَّنْبُ ذَنْبِي  
فَإِنَّ الْأَمْرَ - هَذَا - أَمْرُ رَبِّي  
وَنُرْجِعُ لِلْمُهَيَّمِنِ ، إِي ، وَرَبِّي  
فَنُورُ بِالْيَقِينِ الْعَذْبِ قَلْبِي  
فَإِنَّ الْعَيْنَ - عِنْدِي - ذَاتُ جَنْبِي  
وَأَمَّا الْعَقْلُ - هَذَا - فَهُوَ لَبِّي  
وَأَنْتُمْ فِي الدُّنَا زَادِي ، وَصَحْبِي  
وَيَكْفِي نِعْمَةَ التَّقْوَى ، وَرَبِّي!

يَسْأَلُنِي: لَمَّاذَا السَّعْدُ قَلْبِي؟  
بِعُودِ كَرِيمَةٍ ، بَخَلَّتْ عَلَيْنَا  
فَعَارَ الْقَلْبُ: إِنِّي كُنْتُ أَوْلَى  
خَلَقْنَا لِلْبَلَاءِ ، وَلَا كَلَامَ  
بَلَاءٍ بِالنَّعِيمِ ، وَبِالرِّزَايَا  
كَمَا نَوَّرْتَ يَا رَبَّاهُ عَقْلِي  
وَيَا قَلْبُ اسْتَدَلَّ ، وَلَا تُكَابِرْ  
وَأَنْتَ الْأَصْلُ يَا قَلْبُ صَبُوحْ  
وَأَنْتُمْ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْنَا  
وَأَفْضَلُ مِنْكُمْ الْإِسْلَامُ حَقًّا

## ألا يا سرير الكرب

(إنّها لحظات الخروج من المستشفى ، وذلك بعد جراحة ودماء ، وسهر وعذاب ، وأرقٍ وتعبٍ ونصب ، ومُعانةٍ ومُكابدةٍ ومُقاساةٍ. شعرتُ - خلال هذه اللحظات - بأنّ سريرَ المرضِ عزيزٌ عليه أنْ يُفارقني ، فهو حريصٌ على بقائي! وكنت قد جهزتُ كل كُتبي وشرائطي وألة التسجيل الصوتية والملابس وما شابه ذلك! وأخذت أَسْتعد نفسيّاً للخروج من المستشفى القاسمي بعد فترة طويلة تحت العلاج ، وبعد معاناة لا يعلم إلا الله مداها! أدركت الكثير عن المرض والعبر التي نستلهمها من المرض! وعبر موعظةً بليغةً له بعنوان: (المرض دروس وعبر) قال الأستاذ أمير بن محمد المدري ، إمام وخطيب مسجد الإيمان - باليمن ، ما نصه بتصريف زهيد: (ما من خير عاجل ولا أجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله سبيل موصلٍ إليه! وما من شرٍ عاجل ولا أجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله عز وجل حرز متين وحصن متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره! وإن الدنيا دار بلاء وأمراض ، وهي ظل زائل ومتاع منته! ما من إنسان في هذه الدنيا إلا ولا بد له من أن يواجه فيها مرضاً وعافية وسروراً وفرحاً وحزناً وسراءً وضراءً! ونسأل: لماذا كل هذا؟ والجواب في قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ). وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). إن كثيراً من الناس قد يواجههم المرض ، لكنهم ينسون الصبر عليه ، وينسون ما في المرض والبلايا ، من فوائد جمّة في الدنيا والأخرى. فإن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه نعمة! ولولا أن الله خلق العذاب والألم لما عرف المتنعمون قدر نعمة الله عليهم. ولولا الليل لما عُرف قدر النهار! ولولا المرض لما عُرف قدر الصحة والعافية! وأهل الجنة يفرحون ، ويزداد فرحهم عندما يتفكرون في آلام أهل النار! بل إن من نعيم الجنة رؤية أهل النار وما هم فيه من عذاب. وعموماً المرض تهذيب للنفوس وتصفية لها من الشر الذي فيها: (وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). فإذا أصيب العبد ، فلا يقل من أين هذا ولا من أين أتى؟ فما أصيب إلا بذنبٍ اقترفه! فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى ، حتى الشوكة

يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). متفق عليه. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل على مريض من أقاربه ، وهو مريض بالحمى وقال: (لا بارك الله فيها "أي الحمى") ، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الحمى ، فإنها مكفرة للذنوب والخطايا). وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة). وقال صلى الله عليه وسلم: (ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب ، وما يدفع الله عنه أكثر). والاختلاج هو الحركة والاضطراب ، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خير له من عقوبة الآخرة حتى تكفر عنه ذنوبه. وعن أنس قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا أراد الله بعبد الخير ، عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبد الشر ، أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة). رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري. ومن الناس من له ذنوب وليس له ما يكفرها ، فيبتليه الله بالحزن والمرض ، لتصفيته وتنقيته من الذنوب ، إن صبر واحتسب. فعن عائشة أن رسول الله طرده وجع ، فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه ، فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الصالحين يشدد عليهم ، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك ، إلا حطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). ومن فوائد المرض أنه يعقبه لذة وسرور في الآخرة ، فإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، والنعيم لا يدرك بالنعيم ، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). وإن الابتلاءات سنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار ، لتكون داراً للامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات كما يكون الابتلاء بكثرة الأموال والأولاد والصحة! قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون). والأمراض حيث يبتلي الله بها من شاء من عباده. وإذا نزل بالعبد مرض أو مصيبة ، فحمد الله واسترجع وصبر إلا أعطاه الله من الأجور ما لا يعلم قال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). فكل الأعمال قد تجد لها أجراً معيناً ، إلا الصبر لعظمته ، فأجره بغير حساب. والمصائب والآلام ملازمة للبشر ، ولا بد لهم منها لتحقيق العبودية لله. قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ). قال بعضهم: لولا حوادث الأيام ، لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللنام. وجاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن العبد قال الله لملائكته ، وهو أعلم: قبضت ابن عبدي! قالوا: نعم. فيقول وهو أعلم: فماذا قال؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فقال: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد). ويوم القيامة يتمنى أهل العافية في الدنيا ، لو أن جلودهم وأجسادهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاد والأمراض عند الله. ومن فوائد المرض أنه يُعرف به صبرُ العبد على بلواه ، وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط. وإذا صبر العبد إيماناً وثباتاً ، كُتِبَ في ديوان الصابرين! ويكفي الصابرين شرفاً أنهم في معية وحفظ الملك جل وعلا! قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ). وإن حمد العبد وشكر ، كتب في ديوان الشاكرين! ويكفي الشاكرين شرفاً أنهم أهل الزيادة قال تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم). أخرج مسلم عن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له! وليس ذلك إلا للمؤمن). والصبر المأجور صاحبه هو الذي لا بد من أن يتدبر فيه أموراً ، منها أن يعلم أن المرض مقدر من عند الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، وأن يتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن والدته والناس أجمعين ، وأن يعلم أن ما أصابه هو عين الحكمة من الله ، وأن الله أراد به خيراً ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يصب منه) رواه البخاري ، وأن ما أصابه علامة على محبة الله له ، وأن يعلم أن الجزع لا يفيد ، وإنما يزيد آلامه ويفوت عليه الأجر. قال علي بن أبي طالب: (إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور). وإن المرض سببٌ للدعاء واللجوء والانكسار بين يدي الله. قال تعالى: (فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون). كم من أناس أعرضوا عن اللجوء إلى الله والدعاء والانكسار بين يدي الله جل وعلا. فمرضوا فلجأوا إلى الله خاشعين منكسرين. فأهل التوحيد إذا أصيبوا ببلاء أو مرض صبروا ولجأوا إلى الله وحده واستعانوا به وحده جل جلاله. ويقول صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة). رواه البخاري ، وقوله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري.

ومعنى احتسبه أي صبر على فقده ، راجياً الأجر من الله. وأيوب – عليه السلام – فقد ابتلاه الله في أهله وماله وولده وجسده ، حتى ما بقي إلا لسانه وقلبه! ومع هذا كله كان يمسي ويصبح وهو يحمد الله ، ولم يشكُ حاله إلا إلى الله جل وعلا ، وبعد سنين من البلاء والمرض ، رفع يديه إلى الله بكل ذل وانكسار (رب اني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين). فجاء الجواب من الجواد الكريم (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين). وقال تعالى: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب). وها هو عروة بن الزبير من أفاضل التابعين وأخيار الموحدين ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً ، دخل على الوليد في ثياب جميلة فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش ، ولا دعا بالبركة فقالوا أنه أصابه بالعين ، خرج هذا محمد بن عروة بن الزبير من المجلس ، فوقع في اصطبل للدواب ، فلا زالت الدواب تطأه حتى مات! ثم مباشرة وقعت الآكلة في رجل عروة ، وقالوا لا بد من نشرها بالمنشار وقطعها حتى لا تسري لأماكن الجسد فيهلك ، فنشروها فلما وصل المنشار إلى القصبه (وسط الساق) وضع رأسه على الوسادة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه وهو يهلل ويكبر ويذكر الله ، فأخذها وجعل يقلبها ويقبلها في يده وقال: (أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله) ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت وأمر بها أن تقدم إلى المقبرة ، لما جاء من السفر بعد أن بترت رجله ، وفقد ولده ، قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، ولما قالوا: نسقيك شيئاً يزيل عقلك؟ قال: إنما ابتلاني ليبري صبري ، ورفض. وها هو أبو قلابة التابعي الجليل ، ممن ابتلي في بدنه ودينه ، وأريد على القضاء ، وهرب إلى الشام ، فمات بعريضة ، وقد ذهب يدها ورجلاه وبصره ، وهو مع ذلك حامد شاكر ، وعندما سُئل على ماذا تحمد؟ فقال: ألم يعطني لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وبدناً على البلاء صابراً؟ ومن فوائد المرض أن الله يُخرج به من العبد الكبر والعجب والفخر! فلو دامت للعبد أحواله لتجاوز وطغى ، ونسي المنتهى! لكن الله سلط عليه الأمراض والأوجاع وخروج الأذى والريح ليعلم أنه ضعيف. وقال ابن القيم رحمه الله: (لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً أو آجلاً. ومن فوائد المرض معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله! فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه ، فهم الفقراء إليه فهو الغني سبحانه



ولولا أن سلّط على العبد هذه الأمراض والبلايا لنسي نفسه ونسي خالقه. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مصيبة تقبل بها على الله ، خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله). وقال تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد). ومن فوائد المرض أن فيه مساواه تامة: فهي سنة الحياة فلا يفرق المرض بين غني ولا فقير ، ولا يعرف فقيراً ولا عزيزاً. الناس سواء ، والمرض لا بد للجميع. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). ومن فوائد المرض أنه يهمس في قلوبنا قائلًا: بنيتك يا ابن آدم ليست من الصلب والحديد ، بل من مواد ضعيفة قابلة للتحلل والتفسخ ، فدع عنك الغرور ، واعرف عجزك ، وتعرف على أصلك ، وافهم وظيفتك في الحياة الدنيا. والمرض يجعلك تتأمل فيمن ابتلاه الله بأشد منك ، فيجعلك هذا تصبر وتحمد الله على ما أنت فيه ، وترضى بما قسمه الله لك. ولقد كان الصالحون يفرحون بالمرض والبلاء ، ويعدون نعمة كما يفرح الواحد منا بالرخاء قال صلى الله عليه وسلم: (وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدهم بالرخاء). ولما كان الأنبياء والصالحون هم أحب الخلق إلى الله تعالى كان بلاؤهم أشد من غيرهم ، فعن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً قال: (الأنبياء ثم الأقل فالأقل ، فنبيتي الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة). رواه الترمذي وهو صحيح. وهذا نبيكم سيد الخلق أجمعين كان أشد الناس بلاءً حيث يشتد عليه المرض أكثر من غيره! حتى قالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله). رواه البخاري ومسلم. وقال أبو سعيد: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت: يا رسول الله ما أشدها عليك؟ قال: (إنا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجرة ، قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ، قلت: ثم من؟ قال: الصالحون إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباة يحويها (يجمعها) ، وإن أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدهم بالرخاء). هـ. شعرت بأن سرير المستشفى لا يريدني أن أخرج للحياة! بل حرص على أن أأزمه ويلازمني. فرحنت أقول له: كفى ، ألا تملك يا هذا قلبًا. وكنت لا أشك مثقال حبة خردل ، أنه سيرد عليّ بلسان حاله بالطبع لا بلسان مقاله! فكم

نام عليه قبلي غيري ، وكم سينام عليه بعدي غيري! وهو على علته يرحب بهذا ويودع ذاك ، وليس يعنيه هذا أو ذاك! وكأنه يشبه الأم المستعارة في ملاجئ الأيتام ، فكل يتيم يتعلق بها ويتقرب إليها زاعماً أنها يمكن أن تجعل له مكاناً في قلبها! إن لها أولاداً تحن إليهم وتحنو عليهم ، وتتعلق بهم وتشتاق إليهم. وإن عملها في ملجأ الأيتام إن هو إلا من أجل الدريهمات المعدودة التي تحظى بها نهاية كل شهر! فكذلك سرير المستشفى الذي أودعه اليوم غير طامع أبداً في لقائه ولا أحلم بالعودة إليه! وإن هو أعطي لسانا ليقول بأنه يحبني لكان كاذباً!

عَادَتِ الْأَفْرَاحُ تُزَكِّي وَحَشَتِي  
فَانَا عَنِّي لَا تُعَكِّرُ فَرْحَتِي  
أَنْتَ نَعَشُ الْمَوْتِ ، هَذَا فِكْرَتِي  
ثُمَّ لَا تُبْكِيكَ - يَوْمًا - آهَتِي  
كَالسَّرَادِيْبِ تَوَارِي حُجْرَتِي  
عُنْكَ أَسْتَارًا ، تُحَبِّي نَشْوَتِي  
غَيْرَهَا ، قَدْ فَارَقْتَنِي كُرْبَتِي  
أَوْبَقْتَنِي - فِي الرِّزَايَا - حَوْبَتِي  
لَسْتُ أُدْرِي - فِي التَّدْنِي - كَبْوَتِي  
وِظْهِيرِي ، إِنْ تَعَالَتْ شِقْوَتِي

يَا سَرِيرًا يَرْتَوِي مِنْ فَرْحَتِي  
لَمْ يَرُقْ لِي فَوْقَكَ - الْيَوْمَ - الْكُرَى  
لَمْ يَعْذَلِي فِيكَ أَدْنَى رَغْبَةٍ  
كَمْ عَلَيَّ أَنْتَ نَفْسِي تَنْطَوِي!  
مِنْ حَدِيدٍ أَنْتَ صَلَبٌ جَلْمَد  
غَيْرَ أَنِّي - الْيَوْمَ - لَسْتُ سَانِلًا  
عَادَتِ الْحَجَالِي إِلَيْنَا ، فَالْتَمَسْ  
رَبِّ عَوْضَنِي بَعِينِي ، إِنِّي  
إِنِّي عَبْدٌ ضَعِيفٌ حَائِرٌ  
أَنْتَ يَا مَوْلَايَ حَقًّا نَاصِرِي

## العين جوهرة ثمينة

(الابتلاء في كلِّ شيء أسهلُّ وأهونُ مِنَ الابتلاءِ في الدينِ. وعينُ المرءِ جوهرةُ الغالية ، وإحدى نعمِ اللهِ الخالقِ عليه. ماذا يقولُ المرءُ الكسيرُ عندما يُبتلى فيها ؟ إن الكلمات كل الكلمات لتعجز أن تصور الألم الذي أصابها ولا الأمل في عودتها تنظر كما كانت! إذ يكاد الألم يكون بحجم الأمل ، وإن هو إلا المغايرة المكانية لحرفي: (الميم والام) في الكلمتين! وعموماً الأمل في الله كبير أن تعود!)

وَنُوراً قَدْ ذَمَّ لِقَابِي  
وَنَارٌ تَحْتَوِي دَرْبِي  
وَوَهْمِي قَدْ عَلَا كَرْبِي  
يُزِيحُ الْخُزْنَ عَن لُبِّي  
سَوَى الْمَنَانِ بِالْخُصْبِ  
وَكُنْتُ السَّيْفَ فِي حَرْبِي  
وَكُنْتُ النَّوْرَ فِي أَدْبِي  
وَأَنْتِ رَفِيقَةُ الْخَطْبِ  
بَعْدَ وُدِّ مَنَّتْهُي حُبِّي  
وَقَوْلِي دَائِماً «حَسْبِي»  
وَهَذَا مَنَّتْهُي نَسْبِي  
يَكُونُ الْأَمْرُ يَا حُبِّي

أَلَا يَا مَنَّتْهُي حُبِّي  
أَنَا - فِي الْقَوْمِ - مَقْتُولٌ  
وَدَمْعِي لَا يُفَارِقُنِي  
وَلَا خِيْلٌ يُسَلِّئُنِي  
سِوَى الصَّرْعَى سِوَى الْهَلْكَى  
وَكُنْتُ الْخِيْلَ، يَا عَيْنِي  
وَكُنْتُ الْعِلْمَ أُرْشَفُهُ  
وَأَنْتِ الْكُلُّ فِي بَيْتِي  
وَإِنَّ اللَّهَ أَسْنَدُنَا  
وَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ  
وَظَنِّي الْخَيْرُ بِالمَوْلَى  
وَرُبُّكَ إِنْ قَضَى أَمْرًا

## (عزيز النفس)

(إن ديوان «عزيز النفس» لعزيز جدًّا على نفسي. وكنت قد آثرت كتابته على كل البحور العربية الأصيلة. تلك التي يطلقون عليها في يقين جازم لقب «الخليلية»، ونحن نقبل هذا منهم باعتبار أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد اكتشفها ، وليس هو الذي ركبها وصاغها من عنديات نفسه. إن الأوزان وُجدت قبل أن يوجد الخليل ، فهي في أشعار العرب بلا أدنى شك ، وإنما كان دور الخليل اكتشافها. وأيضًا بعبارة أدق وأكثر إصابة استنباطها واستلالها من قصائد العرب الأوائل والذين زامنوا عصر الخليل. صغت قصائد ديوان «عزيز النفس» على كل بحور الشعر العربي الأصيل: أصيلها ومولدها ، وحتى ما يقال له شعر التفعيلة ، وما هو عندي ولا عند المنصفين من ذوي الأنواق السليمة النقية من متذوقي الشعر ، ما هو عندي ولا عندهم بالشعر ، إلا أنني اعتبرت بلا عودة المرة الأولى في حياتي ، الأولى والأخيرة التي أكتب فيها اللاشعر وأدعي للغة وللناس وللتاريخ أنه شعر ، وأعني بذلك خاطرة «قراءة في أوراق الماضي» ، ولا أسميها قصيدة كما وقع مني سهوًا في مناسبات سبقت ، على أنها بإعجاب كثيرين لكن لا. وإنَّهَا العِزَّةُ في عَيْرِ كِبَرٍ ، وإنَّه استعلاءُ العِزَّةِ وكذا الإيمان معًا. وإنَّهَا النظرةُ مِنْ عَلٍّ إلى حَضِيضِ الجاهليةِ التي نعيش. وإنَّ قَوْمًا لَمْ يَنَافِسُونَا فِي آخِرَتِنَا الطاهرةِ التي أُعِدَّتِ الجِنَاتُ فيها للمتقين - نسأل الله من فضله - فليسَ مِنْ العقلِ أو الحكمةِ أَنْ تُنَافِسَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ التي هي متاعُ العُرُورِ. وإن الآخرة أولى منها بالاجتهاد! ألا وإن زهدهم في الآخرة يجب أن يوجد عندنا أضعافه في الدنيا!

قال ابن عثيمين في شرحه لرياض الصالحين (باب الابتلاء بالحبيبيتين) ، ما نصه: (شرح حديث أنس - رضي الله عنه- "إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبْرَ عَوَضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ". فعن أنس - رضي الله تعالى عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الله - عز وجل- قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه

فصبر عوضته منهما الجنة ، يريد عينيه). رواه البخاري. هذا الحديث من جملة الأحاديث القدسية ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يخبر عن ربه - تبارك وتعالى- عظم الجزاء لمن وقع له عظيم البلاء في هذه الأحاديث ، فهذا الذي يصبر في حال الطاعون ، ولا شك أنه مصيبة يكفي سماعه لتضطرب كثير من النفوس ، فكيف بالصبر عند مواجهته؟ فيكون له أجر شهيد ، وكذلك من قبض صفيه من أهل الدنيا ، وهو من يصفاه ، - من أحب الناس إليه - فلا تسأل عن وحشته وحسرتة على فقده ، فمثل هذا إذا احتسبه ليس له جزاء إلا الجنة. وهكذا في مثل هذا الحديث ، إذا فقد الإنسان حبيبتيه وهما عيناه ، وذلك أن الإنسان إذا فقد نعمة البصر فاته كثير من نعيم الدنيا ، فإن كثيراً من النعيم إنما يدرك بحاسة البصر ، وأما من فقد ذلك فإنه لا يميز بين حسن وقبيح ، وليس له في نزهة مطلب ، ولا يتمتع كما يتمتع غيره في الدور الفارهة ، والمناظر الجميلة ، والزوجات الحسان ، وما إلى ذلك مما يتنافس عليه المتنافسون في دنياهم ، بل لربما تكاثروا بالأموال من أجل تحصيل تلك المطلوبات التي يجدون فيها متعة بتسريح أنظارهم فيها ، من زوجة حسناء ، أو دار واسعة جميلة ، يزوقون جدرانها وسقفها ، ويزينونها بألوان الزينات ، إلى غير ذلك من ألوان الأثاث ، فهذا الإنسان الذي فقد بصره لو وضعته في مكان مظلم ، ولو وضعته على أثاث لا منظر له ، ولا وجه من وجوه الحسن ، لو أنك زوجته بأقبح نساء الدنيا من حيث الصورة ، فإن ذلك لا يفترق بالنسبة إليه ، فكم فقد هذا الإنسان من النعيم ، فضلاً عن الافتقار إلى الناس في كل شأن من شئونه ، يفتقر إليهم في حاجته الخاصة ، وما إلى ذلك ثم هو يشعر بالترقب الدائم ، ولماذا شرع الاستئذان؟ من أجل أن يطمئن الناس في بيوتهم ، فتستكين نفوسهم ، وتستقر وتهدأ ، فلا يبقى الإنسان في حال ترقب دائم يرهق نفسه ، ويتآكل في داخله ، ويجلس بهيئة معينة ويلبس متهيناً للقاء كل أحد في كل لحظة ، ولكن هذا الإنسان الذي لا يبصر هو يتوقع أن الأنظار تنظر إليه ، وأن الداخل يدخل عليه في كل لحظة وهو لا يراه ، بل لربما لا يأمن نظر الناظرين وهو في أخص حالاته مع أهله في خلانه أو في غير ذلك ، دعك مما يقع له من ألوان الحرج بسبب أنه لا يرى ، فيضطر إلى كثير من الأمور التي ترهق نفسه. فالمقصود أن فقد البصر أمر لا يستطيع الإنسان أن يتصوره إلا إذا وقع له وجربه ، وانظر إلى حال الناس إذا انقطعت عليهم الكهرباء فجأة في الليلة ، كيف تكون حالهم من التخبط في الظلام ، ويرون أن

الأوقات تمضي عليهم من غير طائل ، لا يستطيعون فيها القيام بعمل شيء من مصالحهم الدنيوية ، أو طلب العلم ، أو غير ذلك ، بينما هذا الذي فقد بصره هو هكذا في كل أحواله. فالمقصود أن مصيبتة عظيمة فعظم الجزاء عليها ، قال: (فصبر عوضته منهما الجنة) ، فلا يضيع على الإنسان شيء ، كما ورد في أول هذا الباب: (عجباً لأمر المؤمن..) ، أضف إلى ذلك ما يعوضه الله - عز وجل - فيه في هذه الدنيا مما هو مشاهد من السلوة ، فإن عامة من يفقد بصره يورثه الله - عز وجل - من الانبساط ما لا يوجد عند غيره ، هذا أمر مشاهد ، ثم إن فقد هذا البصر ينعكس على البصيرة ، فيعوضه الله - عز وجل - من البصيرة ، والفهم الثاقب ، والحافظة القوية ما لا يوجد عند كثير من الناس ، وذلك أن المشوشات التي تسبب خلخلة في ذهن الإنسان غير موجودة بالنسبة لهذا الإنسان غالباً ، لأن عامتها يكون بسبب المشاهد التي يراها ، فتنتطح في ذهنه فتشغله ، فهو يعيد النظر فيها مرة بعد مرة ، ويفكر فيها إلى غير ذلك ، وأما هذا فإنه لا يحصل له شيء من ذلك ، فيكون عنده من قوة الإدراك والحافظة ، والتمييز ما لا يوجد عند كثير من الناس ، ولذلك لو سألت كثيراً ممن فقدوا أبصارهم ، فإنك تجد عنده من الحس المرهف الذي يميز به بين كثير من الأشياء ويميز بين الناس بالأصوات ، ويميز بينهم حتى في قبضة اليد ، واللامسة ، ولو بعد سنين ، ويستطيع في الغالب أن يحدد عمر الإنسان الذي يتحدث معه لأول مرة ، إذا سئل كم عمر فلان؟ فيأتي بالعمر ، لربما زاد سنة ، أو نقص سنة ، ولربما أعطاه الله المزيد ، فيدرك الألوان في الجملة ، يدرك أن هذا الإنسان يلبس ثوباً فاقعاً ، أو شديد الحمرة ، أو نحو ذلك ، وقد سألت بعض هؤلاء فأخبرني بذلك ، رأيت بعضهم يشتري أغلى الأثاث والحقائب وأموراً من هذا القبيل ، فسألته قلت: ما شأنك بهذه الأشياء ، حقيبة دبلوماسية بخمسة وعشرين ألف ريال مثلاً ، ما شأنك بهذه الأشياء؟ هل تدرك؟ قال: نعم يوجد عندي إدراك ، بعضهم لما أراد أن يتزوج كان يشترط شروطاً من طول المرأة ، طول قامتها إلى آخره ، فقلت: يستوي عندك السوداء كالليل ، والبيضاء كالكاפור ، فقال لا ، أدرك في الجملة ، أدرك أن الذي أمامي طويل ، أو قصير ، أو متوسط القامة ، أدرك هذه الأشياء ، وأدرك لوناً من الجمال ، وإن لم يكن كالمبصرين بطبيعة الحال ، هذا شيء مشاهد ، وبعضهم قد يستغني عن القائد ، فيذهب ، ويجيء ، ويعمل ، بل لربما عمل في الأعمال الدقيقة لنفسه ولغيره ، ويقوم بأمور لا يقوم بها

المبصرون ، بل لربما أدرك أن بالحضرة أحداً ، أن بحضرته بالمجلس هنا أحداً ، من الموجود هنا؟ من الذي دخل؟ من الذي جالس؟ لربما من الأنفاس أو شيء آخر الله أعلم. فالمقصود أن الله يعوض هؤلاء في الدنيا ، ومن صبر عوضه الله الجنة في الآخرة ، فالإنسان إذا أصلح التفكير فإنه لا يبتئس ، هي مصيبة عظيمة تحصل ، ولكن إذا أصلح تفكيره أدرك أن الله أخذ منه شيئاً وأعطاه أشياء وعوضه ، وأبقى أيضاً له أشياء ، أضف إلى ذلك أنه يستريح من كثير من الحساب ، ويستريح من كثير من العناء ؛ لأن أكثر ما يورط الناس بالموبات إنما هو البصر ، ينظر ثم يجره هذا النظر إلى أمور أخرى ، فيقع فيما لا يحمد عقباه ، أما هذا فقد استراح ، فكثير من فتنة الدنيا لا يقع له ، فإذا نظر الإنسان إلى هذا واعتبره هانت عليه مصيبته ، ناهيك عما يحصل له من الأجر العظيم).هـ. وعندما كانت إصابتي هذه أدركت معها كيف الأصحاب والرِّفاق ، وتحركت هذي القصيدة جيناً في خاطري وُلِدَ بعد حين وانفجرتِ الفكرة الشعرية بهذا المطلع:

### عزيرُ النفسِ ديوانُ الجِراحِ      تُحطِّمُ سَعْدَهُ الحَرْبُ الرِّدَاخِ

ثم انطلقت القصيدة من رَحِمِ الفكرة لَمَّا أتى الفكرة المَخَاض. والأصل أن كثيراً من الشعراء يعمدون إلى تسمية إحدى قصائد الديوان باسمه ، وتكون الأطول والأعمق والأجمل والأهم. ووجدت عندي هذه الفكرة وإن أنتني بعد الفراغ من هذا الديوان الحزين! فسطرتها لتحمل اسم الديوان وإن لم تكن الأهم ولا الأعمق!

«عزيرُ النفسِ» ديوانُ الجِراحِ	تُحطِّمُ سَعْدَهُ الحَرْبُ الرِّدَاخِ
أصوُّرُ فيه مأساة طَغَتْ	يُعكِّرُ شَرُّهَا المَاءَ القَرَاخِ
وهَمُّ فَوْقَ هَمِّ يَبْتَلِي	هُمُومٌ . تَلِكُ . عَاتِيَةٌ قَبَاخِ
وأهاتُ تَرْمِجُ فِي النِّهْيِ	وَتَمَعِنُ فِي التَّأوهِ والصَّيَاخِ
وظَنُّ فَوْقَ ظَنِّ يَرْتَوِي	ظَنُونٌ . تَلِكُ . دَامِيَةٌ فِسَاخِ

وَقَلْبٌ تَحْتِ مَلْهَبَةِ الرَّمَاحِ  
 وَيَسْأَلُ: أَيْنَ أَنْوَارِ الصَّبَاحِ؟  
 أَيَحْيَا الطَّيْرُ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ؟  
 فَلَا تُكْثِرُ مُعَاوِدَةَ النَّوَاحِ  
 فَآمِنِ ، إِنَّمَا التَّقْوَى السَّلَاحُ  
 وَكَمْ أودتْ بِمَكْرُوبِ جِرَاحِ!  
 وَكَمْ غَطَى مَسَاوِيهَا وَشَاحِ!  
 هَشِيمًا صَارَ تَذْرُوهَ الرِّيَّاحِ!  
 يِنَاغِي فِي بِيَايِدِهِ الرَّرَّوَّاحِ  
 يَمْجُجُ الدَّمْعَ فِي القَلَمِ المُنَاحِ  
 تُعْرِقُهَا عَنِ النَّظَرِ الصُّرَاحِ  
 وَيَسْأَلُ: أَيْنَ وَلَى الارْتِيَّاحِ؟!  
 وَذُلُّ الرَّرُّوحِ يُزْرِي بِالفَلَّاحِ  
 وَتَعْصِيفِ دَمْعَتِي ظِلَّ المَرَّاحِ  
 وَخَلْفَ جَوْقَةِ تَهْوَى النَّبَّاحِ  
 وَتَقْتُلُ فَرِحَةَ الغَيْدِ المِلاحِ  
 وَقَدْ أودعَتْهَا أَمَلِ الكِفَّاحِ  
 وَإِنَّ الحَبْرَ فِيهَا مُسْتَبَاحِ  
 طَرَحَتْ الكَسْرَ أَرْضًا ، وَالكُسَّاحِ  
 فَحَلَّقَ فِي الغُدُوِّ وَفِي الرَّرَّوَّاحِ  
 فَبَالَعَ فِي الثَّنَاءِ وَالامْتِدَاحِ

وَنَفْسٌ فِي ذُرَى العَلْيَا سَمَّتْ  
 «عَزِيْزُ النَّفْسِ» يَبْكِي عَيْنَهُ  
 وَفِي عَيْنَيْهِ سُؤْلٌ يَشْتَكِي  
 نَصِيبَ مَا جَرَى ، يَا صَاحِبِي  
 وَأَقْدَارٌ بِأَمْرِ مَلِيكِنَا  
 وَإِنَّ الجُرْحَ دَامَ ، وَالمُنَى  
 وَكَمْ لِلْمَرْءِ ، كَمْ ، مِنْ زَلَّةٍ!  
 وَكَمْ أَمَلٍ بِأَيَّامِ الفَتَى  
 «عَزِيْزُ النَّفْسِ» هَذَا شِعْرُهُ  
 وَيَرِثُنِي مَقَالَةٌ بِدَمَانِهِ  
 وَيَجَارُ ، وَالفَيْوُدُ بِعَيْنِهِ  
 مَرَارَ - لِيَأْنَهُ - وَنَهَارُهُ  
 إِبَاءً فِي هَجِيرِ مَذَالَةِ  
 وَكَرْبُ النَّفْسِ يَقْتُلُ بِسَمْتِي  
 «عَزِيْزُ النَّفْسِ» ، وَالأَلَمُ انْتَهَى  
 وَتَذْبَحُ فِي الظَّلَامِ قَصَانِدِي  
 أَلَا ، وَالغَيْدُ تِلْكَ مَشَاعِرِي  
 وَطَرَّرْتُ القَرِيضَ بِحُرْقَتِي  
 وَإِنْ كَسْرٌ بَدَا بِقَصِيدَةٍ  
 وَدَاعِبَتْ المَعَانِي بِالصَّادِي  
 وَأَعْطَيْتُ الخَلِيلَ عَرَائِسِي



وَلَمْ أَلْقَ الْأَدَى مِنْ فِكْرَتِي  
«عَزِيْزُ النَّفْسِ» دِيَوَانِي الَّذِي  
وَجَادَلْتُ الْيَرَاعَ ، فَهَالِنِي  
يَرَاعُ الشُّعْرُ يَنْبُوغُ الْهَوَى  
أَدَاةٌ فِي يَدِي تُصَلِّي الْجَوَى  
أَعْرِي الْعَيْنَ ، فِي دَمِ كَرْبَهَا  
عَلَى أَنِّي مُحِبٌّ ، لَيْسَ لِي  
«عَزِيْزُ النَّفْسِ» دِيَوَانٌ حَوَى  
وَقَدْ حَبَّرْتُهُ بِدَجَى الْعَنَا  
وَبَارَزْتُ الْقَرِيضَ ، وَصُغَّتُهُ  
أَلَا ، وَبُكُلِّ بِحُرِّ صُغَّتُهُ  
وَإِنْ وَجَدَ الْأَنَامُ بِهِ خَطَا  
وَمِنْ نَفْسِي الْمَزَالِقُ وَالْهَوَى  
«عَزِيْزُ النَّفْسِ» بِالْمَوْلَى اهْتَدَى

وَلَكِنْ كَانَ فِيهَا الْمُسْتَرَّاحُ  
بَذَرْتُ الْجِدَّ فِيهِ ، فَلَا مِرَّاحُ  
فَهَلْ فِي شَرْعِهِ الْبَلَوَى تَبَّاحُ؟  
وَتَنُورُ الْحَوَاضِرِ وَالْبِطَّاحُ  
وَحَرْبَةَ فَارِسٍ لِمَا تَتَّاحُ  
وَأَخْتَارُ الْكَلِمَاتِ الصَّحَّاحُ  
سِوَاهَا ، هَلْ عَلَى قَلَمِي جُنَّاحُ؟  
شُعُورِي ، وَالِدَّمَاءُ بِهِ سِفَّاحُ  
وَأَشْهَرْتُ السُّيُوفَ ، كَذَا الرَّمَّاحُ  
فَلَمْ يَسْطِعْ . لَذَا . كَبَّحَ الْجَمَّاحُ  
وَقَدْ أَلْهَبْتُ «مُخْتَارَ الصَّحَّاحِ»  
أَنَاشِدُهُمْ لِأَشْعَارِي السَّامَّاحُ  
وَمِنْ رَبِّي السَّدَادُ وَالْإِنْشِرَاحُ  
وَبِالْأَسْرَارِ . فِي الْأَشْعَارِ . بَّاحُ

## ويمضي الزمان

(في يوم 1995/11/25م ، والذي يُزامن مرور سنة بأكملها على الحادث رحّت أذكر المحن والألم والكرب ، فتولد مطلع في غاية الشجن يعبر عن ألمي:

### مرت الأيام والنفس أسيفة تجبر المأساة في العين الضعيفة

ورحت أوالي الكتابة ، حتى فرغت من قصيدتي ورأيت أن أسميها «ويمضي الزمان» ؛ إشارةً إلى الأيام التي تمر من سني العمر مر السحاب ، وتحمل معها عذب الذكريات ومُرّها. نعم ، تحمل الطفولة والشباب بلا عودة ، تحمل بعض عمري أو شطره تقريبًا ، ولا يبقى لي إلا هذه الأشعار التي اجتهدت في غير زمان الرواة وفي غير زمان اللغة أن أجعلها في ديوان واحد يلم شتاتها ويجمع ما تبعثر منها على دروب الغربة الملتوية ، وما تفرق في تلافيف العمر الراحل. إن هذه القصائد هي العمر كله ، أجعله بين أيدي المحبين المتذوقين للعربية شعرها ونثرها ، فقصيدتي بعد عام. وبعد مرور عام كامل على مأساة العين اليسرى تلك ، رحّت أذكر الجرح والألم ، وأخذت في عزاء العين المنكوبة المبتلاة بعد أن أدركت الفكر والنظر وقلبت الذكريات وتذكرت أنه في العام المنصرم كنت أبصرُ بها واليوم لا ، إلا من سرابٍ أبيض لا يُعبرُ عن حقيقة شيءٍ بعينه ، ومن هنا عشتُ ذكرياتِ الصبر وشآبيب الاحتساب المبتلة بدموع الاسترجاع ويقين التوحيد ثم مزجتها بلواعج الثبات والعزيمة. والله المستعان. ويحسن بنا هنا أن نشير إلى قيمة الصبر وما للصابرين المحتسبين من عقبى! ففي موقع الإسلام سؤال وجواب يجيب الأستاذ محمد المنجد على سؤال يتعلق بالمصائب والصبر عليها فيورد في بعض قوله ما نصه: (يقول الله تعالى في سورة البقرة: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). فيخبر سبحانه أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ، ليتبين الصادق من الكاذب ، والجازع من الصابر ، وهذه سنته تعالى في عباده ، كما قال سبحانه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) ، وقال عز وجل: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). فتارة بالسراء ، وتارة بالضراء من خوف

وجوع ؛ فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه ، قال تعالى: (بَشِيءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) أي: بقليل من ذلك ؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله ، أو الجوع ، لهلكوا ، والمحن تمحص لا تهلك. (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) أي: ويبتليهم أيضاً بذهاب بعض أموالهم ، وهذا يشمل جميع النقص المعترى للأموال من جوائح سماوية ، وغرق ، وضياع ، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة ، وقطاع الطريق وغير ذلك. (وَالْأَنْفُسِ) أي: ذهاب الأحباب من الأولاد ، والأقارب ، والأصحاب ، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد ، أو بدن من يحبه ، (وَالثَّمَرَاتِ) أي: الحبوب وثمار النخيل والأشجار كلها والخضر ، ببرد ، أو حرق ، أو آفة سماوية من جراد ونحوه. فهذه الأمور ، لا بد من أن تقع ، لأن العليم الخبير أخبر بها ، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين ، فالجارع ، حصلت له المصيبتان ، فوات المحبوب بحصول هذه المصيبة ، وفوات ما هو أعظم منها ، وهو الأجر بامثال أمر الله بالصبر ، فرجع بالخسارة والحرمان ، ونقص ما معه من الإيمان ، وفاته الصبر والرضا والشكران ، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان. وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب ، فحبس نفسه عن التسخط قولاً وفعلاً ، واحتسب أجرها عند الله ، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له ، فهذا قد صارت المصيبة نعمة في حقه ، فلماذا قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب. ثم وصف الله الصابرين بقوله: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ) وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره. (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) أي: مملوكون لله ، مدبرون تحت أمره وتصريفه ، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء ، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بماليكه وأموالهم ، فلا اعتراض عليه ، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم ، الذي هو أرحم بعبده من نفسه ، فيوجب له ذلك الرضا عن الله ، والشكر له على تدبيره ، لما هو خير لعبده ، وإن لم يشعر بذلك. ومع أننا مملوكون لله: فإننا إليه راجعون يوم المعاد ، ليجازي كل عامل بعمله ، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده ، وإن جزعنا وسخطنا ، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر ، فكون العبد لله ، وراجع إليه ، من أقوى أسباب الصبر. (أُولَئِكَ) الموصوفون بالصبر المذكور (عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ) أي: ثناء وتنويه بحالهم (وَرَحْمَةٌ) عظيمة ، ومن رحمته إياهم ، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ، (وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ) الذين عرفوا الحق: وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله ، وأنهم إليه راجعون ، وعملوا به: وهو هنا صبرهم لله. ودلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم ، فحصل له الذم من الله والعقوبة والضلال والخسار ، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين ، وأعظم عناء الجازعين ، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها ، لتخف وتسهل إذا وقعت ، وبيان ما تقابل به إذا وقعت ، وهو الصبر ، وبيان ما يعين على الصبر ، وما للصابر من الأجر ، ويعلم حال غير الصابر بصد حال الصابر ، وأن هذا الابتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وقد هون الله على عباده شأن المصائب ، بما وعد من البشارة الصالحة والوعد الحسن في قوله: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرْفًا. "تفسير ابن كثير". هذا في الآخرة ، وفي الدنيا: فروى مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا). وقال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). وهذا من أعظم السلوى ؛ فإن العبد إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأنه لو قدر شيء لكان ، استكانت نفسه. وقال عكرمة: "ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا والحزن صبرًا". انتهى من "تفسير ابن كثير". هـ. وتحت عنوان (إنا لله وإنا إليه راجعون) – ليست مجرد تعزية) يقول الأستاذ نبيل بن عبد المجيد النشمي ما نصه بتصريف يسير: (ما أروعها من جملة ، وما أطيبها من كلمة ، جامعة مانعة ، تجمع بين السهولة والقوة ؛ سهولة اللفظ وقوة المعنى ، وبين العبودية والعزة ، عبودية المخلوق للخالق ؛ وعزة المخلوق بخالقه . فلقد جرت العادة بأن هذه الكلمة إذا سُمعت فإنها تُوحى بمصيبة وهذا ما جاءت في القرآن لأجله ؛ قال الله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ولذلك ينطقها اللسان بنبرات حزينة وربما برأس مخفوض ووجه عبوس وقلب مكلوم. نعم هي ترافق المصيبة وتأتي معها ؛ لكن لا لتزيدها أو تعمق جراحها ، بل لتخففها وتقوي

الصبر عليها ؛ وهل التعزية إلا التقوية؟ يقولها أهل المصائب مؤمنين بها مستسلمين لحكمها (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْنَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ). "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" تدعو إلى التفاؤل وتعني التسلية عن المصائب وتهدف إلى رفع الروح المعنوية واستقرار الحالة النفسية وهي حصن للمسلم من الوقوع في عدم الرضا بالقضاء ومنجاة له من الاعتراض على القدر. إنها تخاطب المصاب: بألا تحزن فأنت ملكٌ لله سبحانه ، وألا تتشائم فأنت قادمٌ على الله سبحانه وتعالى ، ومن فقدت فهو ملكٌ لله وقادمٌ إليه ، وألا تياس وألا تستلم لدواعي القنوط ، وألا تقعد عن العمل. تقوى بها السحرة الذين آمنوا برب موسى وهارون على فرعون لما هدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم وصلبهم تعزوا: {قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } {قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ} أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا ، إنا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم (التفسير الميسر). ولا نختلف أن الحزن أمر طبيعي وفطري في البشر وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن على مفقود ، لكن لا بد للمصاب من تسلية وتقوية فكانت هذه الهبة الربانية "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا). "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (لكيلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) ، لذلك كانت جائزة أهلها المؤمنين بها الذين امتثلوا القول بها لما أصابتهم المصيبة: (أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون). "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" منهج تربوي رباني في التعامل مع المصائب والموقف منها ، منهج يحمينا بإذن الله من شر الأمراض النفسية والحالات العصبية الناتجة عن التأثر بالمصائب ، ويجعل بيننا وبينها ما بين المشرق والمغرب ، ويكفينا عناء البحث عن الأدوية والعقاقير المهدئة والتنقل بين العيادات للبحث عن علاجات. "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" ، علاج وجائزة ، و"ليست أبداً مجرد تعزية"! هـ. ومن هذا المنطلق أنشدتُ من شعري أقول:-)

مَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّفْسُ أَسِيفَةٌ      تَجْبُرُ الْمَأْسَاءَ فِي الْعَيْنِ الضَّعِيفَةِ  
وتذُرُ الْكَرْبَ فِي نَحْرِ اللَّيَالِي      وتُتَاجِي - فِي الدَّجَى - عَيْنًا طَرِيفَةً  
إِيهِ ، يَا عَيْنًا قَلَاهَا الضُّوْءُ دَهْرًا      ثَمَّ تَاهَتْ فِي الدِّيَابِيرِ الْكَفِيفَةِ

أَسْكَبُ الْأَحْزَانَ فِي آيَةِ الْأَسِيفَةِ  
 بَعْدَ عَامٍ مَرَّ مِنْ جُرْحِ الْعَفِيفَةِ  
 ذَهَبَتْ - فِي التَّيْهِ - أَحْلَامٌ رَهِيْفَةٌ  
 مُقْلَةٌ كَمْ أَبْصَرْتُ نُورَ الصَّحِيْفَةِ!  
 كَوَكْبًا يَمْحُو عَذَابَاتِي الْكَثِيْفَةَ؟  
 وَبِهَاءٍ ، كَالْيَوَاقِيْتِ الظَّرِيْفَةِ  
 غَادَةٌ كَانَتْ تُسَلِّئُنِي طَرِيْفَةَ  
 وَلَمَّا فَرَطْتُ فِي عَيْنِي اللَّطِيْفَةَ  
 ذَاكَ مَسْطُورٌ بِأَيَّاتِ شَرِيْفَةِ  
 أَدْرَكْتُ مَعْرَاةَ الْبَابِ نَظِيْفَةَ  
 لَيْسَ يُنْجِي مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ خِيْفَةَ  
 فَلَمَّاذَا الدَّمْعُ يَا هَذَا الْأَيْفَةَ؟!  
 ثُمَّ ذَابَ الْقَلْبُ فِي الْبَأْوَى الطَّفِيْفَةَ  
 غَابَ عَنْ سَمْعِ الْوَرَى نُورَ (الْخَلِيْفَةَ)  
 وَالْبَقَايَا فِي الدَّهَالِيْزِ الْمُخِيْفَةَ  
 وَأَرَاهَا لِلشَّيَاطِيْنِ حَلِيْفَةَ  
 قَدْ حُجِبَتْ الْيَوْمَ عَنْ رَجْسٍ وَجِيْفَةَ  
 حَازَلُوا التَّوْحِيْدَ عَمْدًا وَالْحَنِيْفَةَ  
 لَا تَخَافِي ، لِكِ فِي الْمَأْوَى وَظِيْفَةَ  
 وَاعْمَلِي لِلْعِزِّ فِي الدَّارِ الْمَنِيْفَةَ  
 لَيْسَ تَهْوَاهَا سِوَى الرُّوحِ السَّخِيْفَةَ

يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ أَنِّي فِي عَنَاءٍ  
 وَأَسْأَلِي الْعَيْنَ فِي الْأَحْزَانِ هَذَا  
 أَظْلَمَ الْكَوْنُ ، وَغَطَّنِي شُجُونِي  
 مُقْلَةٌ كَمْ أَمْتَعْتَنِي بِالْعَطَايَا!  
 لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَتْ فِي حَيَاتِي  
 وَجَمَالًا فِي جَبِيْنِي شَمْسَ عِزِّ  
 وَضِيَاءً يَمَلَأُ الْقَلْبَ ازْدِهَاءً  
 آه لَوْ خِيَّرْتُ مَا اخْتَرْتُ عَذَابِي!  
 لَكِنَّ الْأَقْدَارَ فَوْقَ الْكُلِّ سَيْفٌ  
 وَقَضَاءُ اللَّهِ فَوْقَ الْكُلِّ حَتْمًا  
 عَيْنُ هَذَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ صِدْقًا  
 بَدَلُ الْمَخْلُوقِ مَا اسْتَطَاعَتْ يَدَاهِ  
 مَرَّ ذَاكَ الْعَامَ دَهْرًا ، صَدَّقْتَنِي  
 فِتْنُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِي رُكَامٌ  
 وَقِرَاطِيْسُ الْهُدَى ضَاقَتْ عَلَيَّهِ  
 وَبِرَايَا لَا تَخَافُ اللَّهَ جَهْرًا  
 عَيْنُ أَنْتِ فِي نَعِيمِ صَدَّقْتَنِي  
 إِنْ رَأَيْتِ الْقَوْمَ لَا ، لَنْ تَغْبِطِيَهُمْ  
 إِنْ رَأَيْتِ الْآنَ أَشْبَاحًا وَظَلَالًا  
 فَاصْبِرِي يَا عَيْنُ كُونِي فِي رَبَاطٍ  
 وَازْهَدِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَثِيرًا

## ترنيمة الختام

(إنَّهَا آخِرُ قَصِيدَةٍ أَنْشَدْتُهَا لِلْمَقَلَّةِ الْحَبِيبَةِ. وَهَذَا بَعْدَ أَنْ غَادَرْتُ الْمَسْتَشْفَى ،  
وَبَقِيَ عَلَيَّ أَنْ أُرَاجِعَ - فَقَطْ - بِقَصْدِ الْإِطْمِنَانِ. وَلِذَا أَسْمَيْتُهَا «تَرْنِيمَةُ الْخَتَامِ» ،  
وَكَانَتْ الْبِدَايَةُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ ، وَأَمَّا النِّهَايَةُ فَهِيَ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ مِنْ جِهَةِ  
وَبَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى ، وَلَا أَعَادَ اللَّهُ لِي وَلَا لِأَيِّ مُوَحِّدٍ مَا رَأَيْتُ  
أَبَدًا. وَمِنَ الْخَيْرِ هُنَا أَنْ أُورِدَ بَعْضَ أَقْوَالِ الْمَفْسُرِينَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (خَتَامَهُ  
مَسَكَ & خَاتَمَهُ مَسَكَ) ، لِجَعْلِ ذَلِكَ مَسَكَ خَتَامِ دِيْوَانِي الْجَرِيحِ: (عَزِيزِ النَّفْسِ)!  
جَاءَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ تَعْلِيْقًا عَلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (خَتَامَهُ مَسَكَ) مَا نَصَهُ: (يَقُولُ  
تَعَالَى: حَقًّا إِنْ كَتَابَ الْأَبْرَارَ - وَهُمْ بِخِلَافِ الْفَجَّارِ - {لَفِي عَلِيَيْنِ} أَي مَصِيرَهُمْ إِلَى  
عَلِيَيْنِ وَهُوَ بِخِلَافِ سَجِينِ ، رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ هَلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: سَأَلَ ابْنَ  
عَبَّاسٍ كَعْبًا - وَأَنَا حَاضِرٌ - عَنْ سَجِينِ ، فَقَالَ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ  
الْكَفَّارِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ عَلِيَيْنِ؟ فَقَالَ: هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ.  
وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {لَفِي  
عَلِيَيْنِ} يَعْنِي الْجَنَّةَ ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: أَعْمَالُهُمْ فِي السَّمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ:  
عَلِيُونَ سَاقِ الْعَرْشِ الْيَمْنِيِّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ: عَلِيُونَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَالظَّاهِرُ  
أَنَّ عَلِيَيْنِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُلُوِّ ، وَكَلِمَا عَلَا الشَّيْءُ وَارْتَفَعَ عَظُمَ وَاتَّسَعَ ، وَلِهَذَا قَالَ  
تَعَالَى مَعْظَمًا أَمْرَهُ وَمَفْخَمًا شَأْنَهُ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ}؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُؤَكِّدًا لَمَّا  
كُتِبَ لَهُمْ: {كِتَابَ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ} وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ قَالَهُ قَتَادَةُ ، وَقَالَ ابْنُ  
عَبَّاسٍ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقْرَبُوهَا ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} أَي  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ ، وَجَنَاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَمِيمٍ {وَعَلَى الْأَرَائِكِ} وَهِيَ  
السَّرْرُ تَحْتَ الْحِجَالِ {يَنْظُرُونَ} قِيلَ: مَعْنَاهُ يَنْظُرُونَ فِي مَلِكِهِمْ ، وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ  
مِنَ الْخَيْرِ ، وَالْفَضْلُ الَّذِي لَا يَنْقُضِي وَلَا يَبِيدُ ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ {عَلَى الْأَرَائِكِ  
يَنْظُرُونَ} إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ: (إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ  
لِمَنْ يَنْظُرُ فِي مَلِكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ وَإِنْ أَعْلَاهُمْ لِمَنْ  
يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ  
نُصْرَةَ النَّعِيمِ} أَي تَعْرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ {نُصْرَةَ النَّعِيمِ} أَي صِفَةَ  
التَّرَافَةِ وَالسَّرُورِ ، وَالدَّعَاةُ وَالرِّيَاسَةُ ، مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ. وَقَوْلُهُ  
تَعَالَى: {يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} أَي يُسْقُونَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَالرَّحِيقُ مِنْ



أسماء الخمر وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وفي الحديث: (أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري ، كساه الله من خضر الجنة) "أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً" ، وقال ابن مسعود في قوله: {ختامه مسك} أي خلطه مسك ، وقال ابن عباس: طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسكا ختم بمسك ، وقال الحسن: عاقبته مسك ، وقال ابن جرير ، عن أبي الدرداء: {ختامه مسك} قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل إصبعة فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها. "أخرجه ابن جرير" ، وقال مجاهد: {ختامه مسك} طيبه مسك ، وقوله تعالى: {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} أي وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتفاحرون ، وليتباهى وليستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى: {لمثل هذا فليعمل العاملون} ، وقوله تعالى: {ومزاجه من تسنيم} أي مزاج هذا الرحيق الموصوف {من تسنيم} أي من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، ولهذا قال: {عيناً يشرب بها المقربون} أي يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً "قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم". هـ. وجاء في تفسير الجلالين تعليقا على ذات الآية: (ختامه مسك): أي آخر شربه تفوح من رائحة المسك {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله. هـ. وجاء في تفسير الطبري: (وَأَمَّا قَوْلُهُ: {خَتَامَهُ مِسْكَ} فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: مَمْرُوجٌ مَخْلُوطٌ ، مَزَاجُهُ وَخَلْطُهُ مِسْكَ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: - حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا مَهْرَانٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَشْعَثِ بْنِ أَبِي \* الشَّعْثَاءِ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَعَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ {خَتَامَهُ مِسْكَ} قَالَ: لَيْسَ بِخَاتِمٍ ، وَلَكِنْ خُلِطَ . \* - حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَا: ثَنَا سُفْيَانَ ، عَنْ أَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ {خَتَامَهُ مِسْكَ} قَالَ: أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِالْخَاتِمِ الَّذِي يُخْتَمُ ، أَمَّا سَمِعْتُمُ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ تَقُولُ: طَيِّبَ كَذَا وَكَذَا خَلِطَهُ مِسْكَ. - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ: ثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ أَشْعَثِ بْنِ أَبِي الشَّعْثَاءِ ، عَنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، فِي قَوْلِهِ: {خَتَامَهُ مِسْكَ} قَالَ: خَلِطَهُ مِسْكَ. \* - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ: ثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ



الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله {مختوم} قال: منزوج {ختامه مسك} قال: طعمه وريحه. \* - قال: ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمة {ختامه مسك} قال: طعمه وريحه مسك. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن آخر شرابهم يُختم بمسكٍ يُجعل فيه. ذكر من قال ذلك: - حدثني علي ، قال: ثنا أبو صالح ، قال: ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله: {رحيق مختوم ختامه مسك} يقول: الخمر: ختم بالمسك. \* - حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس {ختامه مسك} قال: طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها حتى تُختم ، المسك. - حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة {ختامه مسك} قال: عاقبته مسك ، قوم تُمزج لهم بالكافور ، وتُختم بالمسك. \* - حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة {ختامه مسك} قال: عاقبته مسك. - حدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد ، قال: سمعت الصحاح يقول في قوله: {ختامه مسك} قال: طيب الله لهم الخمر ، فوجدوا فيها في آخر شيء منها ، ریح المسك. - حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا حاتم بن وردان ، قال: ثنا أبو حمزة ، عن إبراهيم والحسن ختامه مسك} قال: عاقبته مسك. - حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا {في هذه الآية: يحيى بن واضح ، قال: ثنا أبو حمزة ، عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي الدرداء {ختامه مسك} فالشراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل إصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها. وقال آخرون: عني بقوله: {مختوم} مطين {ختامه مسك} طينه مسك. ذكر من قال ذلك: - حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال: ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله: {مختوم ختامه مسك} قال: طينه مسك. - حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله: {مختوم} الخمر {ختامه مسك} ختامه عند الله مسك ، وختامها اليوم في الدنيا طين. وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح ، إن ريحها في آخر شربهم ، يُختم لها بريح المسك. وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة ، لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع ، والفراغ كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره ، فإذا كان لا وجه للطبع على شراب

أهل الجنة ، يفهم إذا كان شرابهم جارياً جزي الماء في الأنهار ، ولم يكن معتقاً في الدنان ، فيطين عليها وتُختم ، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر ، وهو العاقبة والمشروب آخرًا ، وهو الذي ختم به الشراب. وأما الختم بمعنى المزج ، فلا نعلمه مسموعاً من كلام العرب. وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار: {ختمه مسك} سوى الكسائي ، فإنه كان يقرأه: "ختمه مسك". والصواب من القول عندنا في ذلك: ما عليه قراءة الأمصار ، وهو {ختمه} لإجماع الحجة من القراء عليه ، والختم والخاتم ، وإن اختلفا في اللفظ فإنهما متقاربان في المعنى ، غير أن الخاتم اسم ، والختم مصدر ، ومنه قول الشاعر الفرزدق: (فبئن بجاني مصرعات \*\*\* وبت أفص أغلاق الختام). ونظير ذلك قولهم: هو كريم الطباع والطباع. وأما قوله: {ختمه مسك} فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم: معنى ذلك: ممزوج مخلوط ، مزاجه وخلطه مسك. ذكر من قال ذلك: - حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، وعلقمة عن عبد الله بن مسعود {ختمه مسك} قال: ليس بخاتم ، ولكن خلط. \* - حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالوا: ثنا سفيان ، عن أشعث بن سليم ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود {ختمه مسك} قال: أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم ، أما سمعتم المرأة من نسانكم تقول : طيب كذا وكذا خلطه مسك. - حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال: ثنا أيوب ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن ذكره ، عن علقمة ، في قوله: {ختمه مسك} قال: خلطه مسك. \* - حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة عن مسروق ، عن عبد الله {مخثوم} قال: ممزوج {ختمه مسك} قال: طعمه وريحه. \* - قال: ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمة {ختمه مسك} قال: طعمه وريحه مسك. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن آخر شرابهم يختم بمسك يجعل فيه. ذكر من قال ذلك: - حدثني علي ، قال: ثنا أبو صالح ، قال: ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله: {رحيق مخثوم ختمه مسك} يقول: الخمر: ختم بالمسك. \* - حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس {ختمه مسك} قال: طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم ، المسك. - حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة {ختمه مسك}

قَالَ: عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ ، قَوْمٌ تُمَزَّجُ لَهُمْ بِالْكَافُورِ ، وَتُخْتَمُ بِالْمِسْكِ . \* - حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ  
 الْأَعْلَى ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ {خِتَامَهُ مِسْكٌ} قَالَ: عَاقِبَتُهُ  
 مِسْكٌ . - حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ: ثَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ: سَمِعْتُ  
 الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {خِتَامَهُ مِسْكٌ} قَالَ طَيْبُ اللَّهِ لَهُمُ الْخَمْرُ ، فَوَجَدُوا فِيهَا فِي  
 آخِرِ شَيْءٍ مِنْهَا ، رِيحُ الْمِسْكِ . - حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ: ثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ  
 قَالَ: ثَنَا أَبُو حَمْرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَسَنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {خِتَامَهُ مِسْكٌ} قَالَ:  
 عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ . - حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ: ثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ ، قَالَ: ثَنَا أَبُو حَمْرَةَ ،  
 عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ {خِتَامَهُ مِسْكٌ} فَالشَّرَابُ  
 أَبْيَضٌ مِثْلُ الْفِضَّةِ ، يَخْتَمُونَ بِهِ شَرَابَهُمْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَدَخَلَ  
 أَصْبَعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، لَمْ يَبْقَ ذُو رُوحٍ إِلَّا وَجَدَ طِيبَهَا . وَقَالَ آخَرُونَ: غَنِي  
 بِقَوْلِهِ: {مَخْتُومٌ} مُطِينٌ {خِتَامَهُ مِسْكٌ} طِينُهُ مِسْكٌ . ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: - حَدَّثَنِي  
 مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ: ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ: ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ:  
 ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ:  
 {مَخْتُومٌ خِتَامَهُ مِسْكٌ} قَالَ: طِينُهُ مِسْكٌ . - حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ،  
 قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ: {مَخْتُومٌ} الْخَمْرُ {خِتَامَهُ مِسْكٌ} خِتَامَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِسْكٌ  
 وَخِتَامُهَا الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا طِينٌ . وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ  
 قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: آخِرُهُ وَعَاقِبَتُهُ مِسْكٌ: أَيِ هِيَ طَيْبَةُ الرَّيْحِ ، إِنَّ رِيحَهَا فِي آخِرِ  
 شَرِبِهِمْ ، يُخْتَمُ لَهَا بِرِيحِ الْمِسْكِ . وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ ،  
 لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلْخْتَمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا الطَّبْعُ ، وَالْفَرَاغُ كَقَوْلِهِمْ: خَتَمَ فُلَانٌ الْقُرْآنَ:  
 إِذَا أَتَى عَلَى آخِرِهِ ، فَإِذَا كَانَ لَا وَجْهَ لِلطَّبْعِ عَلَى شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يُفْهَمُ إِذَا كَانَ  
 شَرَابُهُمْ جَارِيًا جَرِي الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَقًا فِي الدُّنْيَانِ ، فَيُطِينُ عَلَيْهَا  
 وَتُخْتَمُ ، تَعَيَّنَ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْآخَرَ ، وَهُوَ الْعَاقِبَةُ وَالْمَشْرُوبُ آخِرًا ،  
 وَهُوَ الَّذِي خَتَمَ بِهِ الشَّرَابُ . وَأَمَّا الْخْتَمُ بِمَعْنَى الْمَرْجِ ، فَلَا نَعْلَمُ مَسْمُوعًا مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ . وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةٌ قُرَاءَ الْأَمْصَارِ: {خِتَامَهُ  
 مِسْكٌ} سِوَى الْكِسَائِيِّ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: "خَاتِمَهُ مِسْكٌ" . وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ  
 عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ: مَا عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ ، وَهُوَ {خِتَامَهُ} لِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءِ  
 عَلَيْهِ ، وَالْخِتَامُ وَالْخَاتِمُ ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ ، فَإِنَّهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى ،  
 غَيْرَ أَنَّ الْخَاتِمَ اسْمٌ ، وَالْخِتَامُ مَصْدَرٌ ، وَقَوْلُهُ: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}  
 يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَفِي هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ شَأُوهُ أَنَّهُ أُعْطِيَ هَوْلًا لِأَبْرَارِ

فِي الْقِيَامَةِ ، فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَالتَّنَافُسُ: أَنْ يَنْفَسَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرِصُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ ، وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ: فَلْيَجِدِ النَّاسَ فِيهِ ، وَإِلَيْهِ فَلْيَسْتَبِقُوا فِي طَلْبِهِ ، وَلْتَحْرِصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ. وَقَوْلُهُ: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَفِي هَذَا النِّعِيمِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَعْطَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ فِي الْقِيَامَةِ ، فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَالتَّنَافُسُ: أَنْ يَنْفَسَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرِصُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ ، وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ: فَلْيَجِدِ النَّاسَ فِيهِ ، وَإِلَيْهِ فَلْيَسْتَبِقُوا فِي طَلْبِهِ ، وَلْتَحْرِصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ). هـ. وأما تفسير القرطبي فقد قال: (قوله تعالى {إن الأبرار} أي أهل الصدق والطاعة. {لفي نعيم} أي نعمة ، والنعمة بالفتح: التنعيم يقال: نعمه الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى. أي إن الأبرار في الجنات يتنعمون. {على الأرائك} وهي الأسرة في الحجال {ينظرون} أي إلى ما أعد الله لهم من الكرامات ؛ قال عكرمة وابن عباس ومجاهد. وقال مقاتل: ينظرون إلى أهل النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (ينظرون إلى أعدائهم في النار) ذكره المهدوي. وقيل: على أرائك أفضاله ينظرون إلى وجهه وجلاله. قوله تعالى: {تعرف في وجوههم نضرة النعيم} أي بهجته وخصارته ونوره ؛ يقال: نضر النبات: إذا أزهى ونور. وقراءة العامة {تعرف} بفتح التاء وكسر الراء {نضرة} نصباً ؛ أي تعرف يا محمد. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن أبي إسحاق {تعرف} بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول {نضرة} رفعاً. {يسقون من رحيق} أي من شراب لا غش فيه. قاله الأخفش والزجاج. وقيل ، الرحيق الخمر الصافية. وفي الصحاح: الرحيق صفوة الخمر. والمعنى واحد. الخليل: أقصى الخمر وأجودها. وقال مقاتل وغيره: هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش النيرة ، وفي مثل ذلك قال حسان رضي الله تعالى عنه: (يسقون من ورد البريس عليهم \*\* بردي يصفق بالرحيق السلسل) وقال آخر: (أم لا سبيل إلى الشباب وذكره \*\* أشهى إلي من الرحيق السلسل) وقوله تعالى: {مختوم} المختوم الممزوج. وقيل: مختوم أي ختمت ومنعت عن أن يمسه ماس إلى أن يفك ختامها الأبرار. وقرأ علي وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي {خاتمه} بفتح الخاء والتاء وألف بينهما. قاله علقمة: أما

رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل خاتمه مسكا ، تريد آخره. والخاتم والختام متقاربان في المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم ، والختام المصدر ؛ قال الفراء. وفي الصحاح: والختام: الطين الذي يختم به. وكذا قال مجاهد وابن زيد: ختم إناؤه بالمسك بدلا من الطين. حكاه المهدوي. وقال الأعشى: وأبرزها وعليها ختم: أي عليها طينة مختومة ؛ مثل نفض بمعنى منفض ، وقبض بمعنى مقبوض. وذكر ابن المبارك وابن وهب ، واللفظ لابن وهب ، عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى {خاتمه مسك}: خلطه ، ليس بخاتم يختم ، ألا ترى إلى قول المرأة من نسانكم: إن خلطه من الطيب كذا وكذا. إنما خلطه مسك ؛ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها. وروى أبي بن كعب قال: قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟ قال: (غدران الخمر). وقيل: مختوم في الآنية ، وهو غير الذي يجري في الأنهار. فالله أعلم. {وفي ذلك} أي وفي الذي وصفناه من أمر الجنة {فليتنافس المتنافسون} أي فليرغب الراغبون يقال: نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة: أي ضننت به ، ولم أحب أن يصير إليه. وقيل: الفاء بمعنى إلى ، أي وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل ؛ نظيره {لمثل هذا فليعمل العاملون}. قوله تعالى {ومزاجه} أي ومزاجه ذلك الرحيق {من تسنيم} وهو شراب ينصب عليهم من علو ، وهو أشرف شراب في الجنة. وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل ؛ ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ، وكذلك تسنيم القبور. وروي عن عبدالله قال: تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ، ويمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب. وقال ابن عباس في قوله عز وجل {ومزاجه من تسنيم}: هذا مما قال الله تعالى {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}. وقيل: التسنيم عين تجري في الهواء بقدره الله تعالى ، فتصب في أواني أهل الجنة على قدر ماؤها ، فإذا امتلأت أمسك الماء فلا تقع منه قطرة على الأرض ، ولا يحتاجون إلى الاستقاء ؛ قال قتادة: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش. وكذا في مراسيل الحسن. وقد ذكرناه في سورة الإنسان {عيناً يشرب بها المقربون} أي يشرب منها أهل جنة عدن ، وهم أفاضل أهل الجنة صرفاً ، وهي لغيرهم مزاج. و{عيناً} نصب على المدح. وقال الزجاج: نصب على الحال من تسنيم ، وتسنيم معرفة ، ليس يعرف له اشتقاق ، وإن جعلته مصدراً مشتقاً من السنام ف {عيناً} نصب ؛ لأنه مفعول به ؛ كقوله تعالى:

{أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً} وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسنيم. وعند الأخفش بـ {يسقون} أي يسقون عيناً أو من عين. وعند المبرد بإضمار أعني على المدح). هـ. وبهذا الاستطراد حوله الآية الكريمة: (ختامه مسك & خاتمه مسك) ، نعيش مع قصيدة مسك الختام ، والتي هي إلى المقطوعة الشعرية أقرب منها إلى القصيدة! ولكن بما أنها زادت عن الأبيات السبعة فيحق لنا تسميتها قصيدة! وهذا على الأرجح والأشهر ، من أقوال وشروط أهل العروض جميعاً!

والله مَا فِي الْمَرْءِ مِنْ خَيْرٍ يُرَى  
وَجَمَالٍ وَجْهٍ ، وانبساطِ سَرِيرَةٍ  
ومليحِ زَوْجٍ فِي دِيَارٍ تَزْدَهِي  
والمَاءِ قِيَاضٌ يَلِي وديَانَهَا  
والجِسْمُ يَرْفُلُ فِي فَضَائِلِ صِحَّةٍ  
إِلَّا ، وَرُبُّكَ وَاهِبٌ مُتَفَضِّلٌ  
فَأَذْكُرُ عَطَاءَ اللَّهِ ، وَاِحْمَدُ وَاِصْطَبْرُ  
اليَوْمِ عَيْدٌ يَسْتَحِقُّ قِيَامَهُ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيرِ بِجَلْمِهِ  
فَتَبَارَكَ الْمَوْلَى الْمُعِزُّ بِجُودِهِ  
وَوَجَاهَةٌ يَسْمُو بِهَا بَيْنَ الْوَرَى  
ووفيرِ مَالٍ ، وانشراحِ فِي الْكَرَى  
وَالخُضْرَةِ الْوَسْنَى عَلَى وَجْهِ الْقَرَى  
وَالْقُوتِ فِي يَدِهِ ، يَتَّوَجَّهُ الْقَرَى  
مَوْفُورَةٍ ، وَالذَّيْنُ مَحْفُوظُ الْعُرَى  
فِي كُلِّ ذَلِكَ ، مَا اخْتَفَى أَوْ مَا يُرَى  
وَالعَيْنُ رُدَّتْ ، لَا افْتِرَاءً وَلَا مِرَا  
وَتَحَقَّقْتُ رُؤْيَاكَ ، مَا كَانَتْ فِرَى  
أَطْفُؤُ الْإِلَهِ مُصَاحِبٌ مَا قَدْ جَرَى  
خَلَقَ الْأَنْبَاءَ ، وَلِلْمَصَانِرِ قَدْرَا

## خاتمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. (يا أيها النَّاسُ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ، (يَا رَجُلًا مِنْهُمَا وَبَثَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَخَلَقَ وَاحِدَةً نَفْسٍ مِّنْ خَلْقِكُمْ الَّذِي رَبَّكُمْ اتَّقُوا رَقِيبًا). (يَا عَلَيْكُمْ اللَّهُ كَانَ إِنَّ وَالْأَرْحَامَ تَسَاءَلُونَ بِهِ اللَّهُ الَّذِي وَاتَّقُوا وَنِسَاءً كَثِيرًا لَكُمْ وَيَغْفِرْ أَعْمَالَكُمْ ، يُصَلِّحْ لَكُمْ سَدِيدًا قَوْلًا وَقُولُوا اللَّهُ اتَّقُوا الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ أَيُّهَا عَظِيمًا) ، أما بعد ، فإن أصدق فوراً فازَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ اللَّهُ يُطْعَ وَمَنْ ذُنُوبَكُمْ الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدْيِ هديُّ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة ، وكلُّ ضلالة في النار. إنه لا يشكر الله من لا يشكر للناس. ألا واني أحمد الله تعالى وأشكره أولاً وآخرًا ، ثم أتقدم بعاطر شكري للأستاذ/ سالم محمد سالم النوبي - موجه اللغة العربية - عجمان. الإمارات. حيث قام مشكوراً بمراجعة هذا الديوان كاملاً إلا قصيدة «قراءة في أوراق الماضي» ، وكما انتفعت بملاحظاته القيمة ، فجزاه الله عني خيراً ونفع الله به ، وأكرم به من والد ومرتب فاضل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا» (رواه مسلم). والحقيقة أننا نحب الأستاذ سالم النوبي في الله ولا نركيه على الله! وقد أرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يخبروا بعضهم بهذه المحبة ، روى أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره قال: «مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ جَالِسٌ فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَا قَالَ فَمُ فَأَخْبِرُهُ تَثَبَّتْ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبِرُهُ فَقَالَ أَنِّي أَحِبُّكَ فِي اللَّهِ أَوْ قَالَ أَحِبُّكَ لِلَّهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَحِبُّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ» (رواه أبو داود). وإن كان هناك تقصير منا في حقه فليعفو وليصفح ، وله الأجر من الله. ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن العفو يورث العز ففي مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً



وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله. والحق يقال: إن الأستاذ النبوي لشاعر ذو خلق وأمانة ، وقد أخبرني غير واحد من أهل بلده (أجا - دقهلية) ، أنه كذلك منذ طفولته وشبابه فله ذره من صديق عزيز! يقول عالم النفس الأميركي ، دانييل غولمان ، في كتابه الشهير "الذكاء العاطفي" ، إن علماء علم نفس النمو وجدوا من خلال دراساتهم ، أن جذور الأخلاق يمكن غرسها في الإنسان منذ مرحلة الطفولة ، فالأطفال منذ اليوم الأول لولادتهم ، يشعرون بالاضطراب والتوتر عند سماع طفل آخر يبكي ، ومثال ذلك ما جاء في دراسة عالم النفس مارتن هوفمان المختص في التعاطف ، بأن طفلاً عمره عام ، قام بجذب أمه نحو صديقه الطفل الذي يبكي لتواسيه وتخفف عنه ، متجاهلاً أم صديقه الطفل الموجودة بالحجرة ، وطفلة أخرى عمرها عاما تضع إصبعها في فمها إذا جرحت إصبع طفلة أخرى ، لتتبين هي أيضاً إن كانت ستشعر بالألم والأسى. ويرى هوفمان أن جذور الفضيلة أو الأخلاق موجودة في القدرة على إبداء مشاعر التعاطف ، بمعنى أن تتصور نفسك في مكان الآخرين ، وهذه القدرة هي التي تدفع الأفراد لمشاركة الآخرين في محنتهم والتحرك لفعل أي أشياء لمساعدتهم. ويرى هوفمان أن التعاطف مع الآخرين ينمو بشكل طبيعي منذ السنوات الأولى لمرحلة الطفولة ويستمر مع امتداد العمر. والأستاذ سالم النبوي فعل كل هذا معي. فلقد أحسن معاملتي وراجع أشعاري وأرشدني بإخلاص ونصحتني بصدق. فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني وعن شعري خير الجزاء! وأحييه على تواضعه الجم ، وأخلاقه الدمثة العالية!



## ديوان عزيز النفس

إن ديوان عزيز النفس هو بعض عمري أضعه بين يدي كل قارئ ، فما كان فيه من خير فمن الله وحده ، وما قد حوى من شطط أو غلط أو خطأ فمن نفسي والهوى والشيطان ، والله من زلي وخطي وغلطي وشططي بريء.

وإنني إذ أفكر من الآن في تدوين قصائدي مهما كلفني ذلك ، فلي العذر الكبير حيث إننا لا نعيش في زمان الرواة وأرباب القريض ، كما أن أغلب المعارف الأقربين والأبعدين ، ليسوا من أهل فن القصيد ولا الاهتمام باللغة العربية الأصيلة. وأخشى أن أموت ويموت معي شعري وأوضع في قبري ويوضع قبلي في سلة المهملات والقمامات ، كما قد حدث لكثير من الشعراء في السابق واللاحق عندما مات الواحد منهم مات معه شعره ، وربما مات هذا الشعر قبل أن يموت الشاعر من هؤلاء. وإذا كان ذلك كذلك ففي ظني - والله أعلم - أنه يتعين على شاعر هذا حاله وهذه رؤيته ، أن ينتبه لشعره ، ولا يحرم منه الأجيال القادمة التي قد تستنير بنور بثه فيه أو بنصيحة قد احتواها ، وإن كثيراً من الأجداد قد ورثوا من بعدهم لأبنائهم وأحفادهم الدور والقصور ، والمال والعقار ، والطين والأرض والوحل ، فعلى الأجداد الشعراء أن يعلموا أن خير إرث للابن وللحفيد هو الشعر الملتزم بأدب العقيدة والتوحيد ، الداعي إلى القيم والأخلاق ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الدال على الخير والزاجر عن الشر ، الحاث على الفضائل والمنفر من الرذائل. وعسى الله أن يفظن إلى ما أقول ابن أو حفيد لي ، فيعتني بهذا الشعر من بعدي ، وينشره في العالمين مكملًا بذلك المشوار الذي بدأته. وقد انتهينا بتوفيق الله وعونه من ديوان «عزيز النفس» يطيب لنا أن نقول بأن الابتلاء سنة ماضية ، والمؤمن عليه أن يصبر ويحتسب ، وإن كنت أنسى فلا أنسى يوم قرر الأطباء والجراحون في المستشفى «بدار

غربتي» ، قرروا خلع هذه العين البائسة ، وتركيب أخرى صناعية زجاجية بدلاً منها ، فحزنت حزناً شديداً لا يعلم مداه إلا الله تعالى. وقررت في نفسي أن آخذ في التوسل إلى الله بغية أن تبقى ، إذ كيف تتصور صفحة وجه إنسان بمقلة طبيعية ، تروح وتعود ، وتبصر وتنظر ، وتحملق وتدقق ، وتدمع وتبكي ، وأخرى ليست في شيء من ذلك ، إلا وهي صفر. ودعوت وابتهلت وأخذت في الكتابة ، حتى بلغت الكتابة ديواناً من الشعر العربي على كل بحور الشعر العربي أصيلها وكذلك مولدها ، كل ذلك من أجل تعزية الحال بالشعر ، ورسم الصورة المثلى لصبر المسلم واحتسابه وجلده ، في مواجهة المصائب بكل الاسترجاع والحوالة والحوالة والصبر والجلادة والصلابة ممزوجاً ذلك كله بمشاعر الاسترجاع والاحتساب والتصبر. وكانت تأتي الدكتورة الجراحة رئيسة القسم بالمستشفى/ ثريا عبد الله نور الدين ، وترثي لحالي فتقول: نم واسترح ، ولا تفتح عينك السليمة ، فإن ذلك يشكل خطراً على النظر بوجه عام. فأقول: وماذا بقي إن خلعت العين ، وصار الوجه مشوهاً؟ إنني المبتلى وليس أنتم ، والكتابة بالنسبة لي هي عزائي الوحيد يا قوم ، وعندما أكتب أشعر بالراحة ، وعندما أستمع إلى القرآن في المستشفى ، وأكتب الشعر وأعيش مع الشعراء والأدباء ، أجد العزاء والسلوان في الذي اخترت من النصوص أو الكتب أو ما أسطره من الشعر غضاً طرياً. فتجيبني الدكتورة ثريا قائلة: أعرف هذا ، ولكن هذا خطر عليك ، وبنومك وإغماض عينيك ، تكون قد ساعدتنا في العلاج وأسديت إلينا معروفاً نشكرك عليه الدهر ، نم واسترح. فأعقب: أنا كما أنا ، أقرأ وأكتب ولا أتنازل عن دوري في إثراء الأدب والشعر. وهكذا شعراء القيم ، هم شموع تحترق لتضيء الطريق للآخرين ومصايح تبدد حالك الدياجير التي يتخبط الناس فيها اليوم ، لا يبالون بأنفسهم أكلوا أم لم يأكلوا شربوا أم لم يشربوا ، لبسوا أم لم يلبسوا ، كان معهم

من المال ما يكفيهم أم لم يكن ، استراحوا أم لم يستريحوا. وكم سالت الدموع في غضون ذلك الحادث الأليم المروع ، الذي أحسبه كله بجراحه وآلامه ودمائه عند الله تعالى. ذلك الحادث الذي كشف لنا كثيراً من الأصحاب والمعارف ، وكشف لنا عن طبيعة المصائب ، وكيف أنها طريق إلى كسب الدرجات ومحو السيئات والذنوب والخطايا عند الله تعالى ، وليس الخبر كالمعاينة ، فإن كثيراً من الناس يرحب بكل المصائب نظرياً ، فإذا فاجأته سقط في أتون الابتلاء وقتل من رحمة الله عز وجل. لكن المؤمن الموحد ثابت صابر محتسب مسترجع في الابتلاء. وإن كنت أنسى فلا أنسى أبداً اعتدائي في الدعاء يوم قرر الأطباء خلعها وأنه لا سبيل إلى علاجها ، فقلت: «فقط يا رب تبقى مع زميلتها في وجهي ولو دون إبصار ، أو حتى أقرأ بها القرآن فقط» ، فيتحقق بقاؤها والقرآن فقط بعد سنتين في صراع مع المرض والعلاج وما شاكل ذلك والحمد لله تعالى. (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الرحيم). (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم). ولو طلب الصديق يوسف - عليه وعلى أبيه وعلى نبينا محمد صلوات الله وتسليماته - العصمة لعصمه الله، لكن حدد الدعاء ، فكان السجن أحب إليه من الفاحشة فذاق السجن. إنني والله أعلم لو دعوت بأن تقرأ العين كل شيء وتبصر كل شيء لكان أفضل ، بدلاً من طلب قراءتها القرآن وبقائها فقط ، لأنني لا أطلب من عاجز ولا بخيل - حاش لله وجل شأن ربي تعالى -. إنني أطلب من عزيز لا يغلب ، ومن قدير لا يعجز ، ومن متفضل جواد كريم ، ومن لطيف لما يشاء ، ومن رؤوف بعباده! وتحققت المعجزة لهذه المقلة المبتلاة البائسة عندما منَّ الله العليم بأحوال عباده والرحيم بهم واللطيف بهم ، إذا أبصرت العين مجمل الأشكال أول الأمر ، ثم بعد سنتين

ترى آيات القرآن الذي تكون أوراقه في حجم صفحة اليد. والله الفضل والمنة. والله لقد قالت الدكتورة ثريا رئيسة قسم العيون: لقد قررنا خلع هذه العين يوماً وما خالف منا أحد ، أسوة بمثلها من العيون في الحوادث المماثلة ، لكنها منة الله ورحمته تداركتها ، حيث إن الزجاج وصل إلى الشبكية ونال منها! ومن هنا رحت أدرك تمام الإدراك أن الطب يمكن أن يقول كلمة ويتم عليها الإجماع ، وإذا بالكلمة تصبح سراباً أمام إرادة الله تعالى ومشينته ونعمته التي ينعمها على عبد من عباده (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الرحيم) ، وقول المصدق عليه السلام: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وإذن ، فأيقنت أن القضية برمتها ، بقضها وقضيضها في الدعاء والابتهاال إلى الله ، فهو سبحانه أرحم الراحمين ، وقد كان واستجاب الله ، بعد أن عجزت فنون الطب ، وأبقى العين رغم كل التخرصات والتكهنات والتصورات والاحتمالات. وإن كنت أنسى فلا أنسى ذكريات المستشفى وآلام المرضى من حولي ، وقد كنتُ حرصتُ على زيارات دورية لهم أسليهم وأسلي نفسي ، وأدركت جيداً نعم الله التي لا تحصى في هذا الجسد ، فرأيت الذي كُفَّ بصره ، والذي فقد أطرافه واتخذ أطرافاً أخرى صناعية ، فلُكي يتناول قطعة الخيار من الصحن فإن ذلك يكون منه بالضغط على الزر الذي يُمسك به ، وهنا تمسك الأصابع الصناعية بقطعة الخيار ، ثم ضاغط آخر لكي يتم رفع القطعة إلى الفم ، ثم ضغطة أخرى لكي يعود كل شيء إلى مكانه الطبيعي ، فهي سلسلة من الضغوطات لكي يأكل قطعة من الخيار ذلك المبتلى. نسأل الله العفو والعافية

والسلامة! وآخر له أربع نسوة - من أجمل النساء على حد تعبير أخيه - وابتلي بالإيدز لجاهليته وبعده عن تعاليم القرآن وأحاديث خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، فدفع الثمن ، حيث وافته المنية في ريعان شبابه! وكنتُ أنظر إلى الممرضات وهن يأتين لغرفته بكل حيلة ، ويأمرنا بأن لا نقرب منه ولا من غرفته ، وخاصة أنا الذي أزور الكل ، فبعد سؤال أخيه قص عليّ قصته مع الرفاق الجاهليين والقنوات الفضائية العهرية والخدمات الفندقية والرحلة الدعارية التي انتهت بموت الفقيد غير مأسوف عليه ، فقد كان من أهل الفجور وترك التوحيد والصلاة ، وأفضى إلى ما قدم! وليعتبر اليوم من هم على دربه من الذين قد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فأروها حسنة. وإن كنت أنسى فلا أنسى يوم اشترطتُ عليهم أن يطبني رجل وأن لا تدخل غرفتي امرأة ، فعملوا بذلك ردحًا من الأيام ، تعاطفًا معي ومع مصابي ، ثم عادوا إلى دينهم ودينهم ، فجاءت الممرضات فحزنت وأذعنت ، وما كنت أستطيع أن أفعل إلا هذا لغلبة أهل الجاهلية وتمكنهم علي. وإن كنتُ أنسى فلا أنسى الزائرين الذين رأيت الحزن على مصابي في وجوه بعضهم وهذا البعض قليل ، ورأيت الشمت في وجوه الآخرين وهم كثر ، واحتسبت مصابي عند ربي فقط. إن ثمرة البلاء عندما يقع بصاحبه أن يكشف له عن نفسيات بعض المتباكين المنافقين الذين لا تؤلمهم آلام أهل الإيمان. إن (عزيز النفس) ديوان حبيب إلى قلبي ، رغم صغر حجمه ورغم الأحزان التي واكبت تأليفه ، في حادث لم أغب فيه عن الوعي قط ، منذ أول دقيقة فيه وحتى آخر خروج - اللهم إلا في ساعة العمليات الجراحية الأربعة بحكم التخدير العام الذي يُجرى إجباريًا. إن «عزيز النفس» حاولت فيه أن أتذكر الماضي وأبكي أحوالي بالشعر بكل صدق فني وشُعوري ، دونما مزايدة أو تجمل - اللهم إلا ما تفرضه أسلوبية الشعر وشروطه وضروراته من الخيال والصور

والبلاغية والمحسنات اللفظية والبديعية! إنني سعيد جداً بهذا الديوان الدامي الجريح ، لأنه يمثل مرحلة الصدق الفني في الأداء الشعري. فتارة يعيش القارئ مع الدموع ، وتارة يبصر لون النحيب ، وأخرى يسمع آلام التوجع ، ورابعة يعيش مع الآمال الحانية الدافئة ، التي تسلي الخواطر وتمتع العواطف وتسري عن الأحاسيس. إن هذا الديوان يمثل مرحلة من حياتي تمتد على مدى اثني عشر شهراً هي عام بأكمله مع الجراح والأفراح مع الآلام والآمال ، في الفترة من الساعة السابعة مساءً من يوم 1994/11/24م ، وحتى 1995/11/24م وأحتسبها عند الله ، وأرجو أجرها منه وحده عز وجل. وإن كنت قد سهرت الليالي على غير عادتي ففي الخير! وفي السهر يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (لقد أصبح الليل اليوم ميداناً لنصب الشباك ، واصطياد الشباب ، فنتجت ثلة من الشباب لا يقبلون دعوة ولا معروفاً ، ولا يهتدون إلى حق أو صواباً ، جيف بالنهار ، خفافيش بالليل ، أصبح ليلهم سهراً مخيفاً ، وسمر سخيف ، مجمع لكل مجرم موبوء ، ومزيلة لكل شر وسوء ، لا ترى فيه إلا قطعاناً من الماشية ، تفودهم الشهوات ، وتظللهم الشبهات ، تسيرهم القنوات وتحركهم المنكرات ، مواقف عجيبة ، وأحداث غريبة ، تمرض الأفئدة والقلوب ، وتولد الجرأة على الذنوب ، وما ذاك إلا نتاج إرضاع أجيال الأمة ، من كأس الحرية المزعومة ، والانفتاحية الموهومة ، إلا وإن من أسباب تلكم النقمات والمحدثات ، آباءً ضلوا طريق الصواب ، وارتكبوا سبل الخراب ، فنشأت أجيال لا تعرف لخالق ولا مخلوق حقاً ضيعوا الدين بالكلية ، وعصوا الله رب البرية ، رضعوا عادات الحياة الغربية ، وتقمصوا أحوال الهمجية ، وسلكوا مسالك اللصوصية ، شربوا سم العلمانية ، وهضموا خطط الصهيونية ، وتلبسوا لباس الصليبية ، فنكست الطباع ، وتغيرت الأوضاع ، زاد شررهم ، وتعاضم خطرهم ،

ولا بد من اجتثاث جرثومتهم ، واستئصال شأفتهم ، فلا معروفًا يعرفون ، ولا منكرًا ينكرون ، والآباء على تربيتهم غير قادرين ، ومن مسؤوليتهم متصلين ، شباب أينعت رؤوسهم وحن قفافها ، فلا بد من سيف الحجاج الخراب ، أو درة عمر بن الخطاب ، فإما هداية وعودة ، وإما حزم لا تؤدة).هـ. لكن كان سهري والحمد لله في طاعة واحتساب! وأحمد الله على ذلك ، نحمدك اللهم يا خالق النّسَمَات ومُبدِع الأرض والسموات ، ومرشدَ الإنسان إلى الهداية ، لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرسل. وكان آخرهم محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وكان كذلك تمامَ عقدهم ، وخريدةً قلاذتهم ومصدقَ رسالتهم ، وصفوةً الوجود ومِسْكَ الختام. ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله ، فصلَّ اللهمَّ عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين وبعد. فقد وصلنا بفضل الله وتوفيقه إلى آخر ديوان «عزيز النفس» ، ولا زلتُ أرى كلمة العماد الأصفهاني - رحمه الله - : «إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ في يومه ، إلا وقال في غده: لو عُيِّرَ هذا لكانَ أحسن ، ولو زيدَ كذا لكانَ يُستحسن ، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكانَ أجمل ، وهذا من أعظم العبر». وأنا أزيد على الراغب الأصفهاني فأقول: «وإنما الكمالُ لكتاب الله سبحانه وتعالى ، حيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...». ألا وإن هذا الديوان «عزيز النفس» إن هو إلا صورةٌ لتصوير المعاني التي يعيشها الشخص المُبتَلَى. نحمد الله على ما كان فيه من الحق والخير والمنفعة ، ونستغفرُ الله مما كان فيه من الزلل والخطأ والجهل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والله يقول الحق وهو سبحانه يهدي السبيل ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.





## الشاعر في سطور

الشاعر **أحمد علي سليمان عبد الرحيم**. وُلد في جمهورية مصر العربية - بورسعيد ، في يوم 1963/10/15م. حصل على ليسانس آداب قسم اللغة إنجليزية ، جامعة المنصورة - دفعة 1985م. له اهتمام بالغ بالأدب العف الجاد: نشره وشعره ونقده. له صفحة يومية بجريدة الوحدة العربية. والشاعر صعيدي قح حيث تعود أصوله لأبيه إلى الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج! ويفتخر بهذا الأصل كما الفخر!

## كتب للشاعر

**وهي في معظمها كتب في النقد الأدبي ، ودواوين شعر كَتَبَهُ في معاناته وغربته:**  
ديوان شعري بعنوان: نهاية طريق. ويقع هذا الديوان في أربعين ومائتين من القطع الوسط. وقصائده ذات طابع اجتماعي وتجربة ذاتية. وللمؤلف قيد الصف والإعداد والإخراج هذه الإصدارات الجديدة الوشيكة الصدور إن شاء الله تعالى:

- (1) قراءة أسلوبية في شعر عنتر بن شداد العبسي...
- (2) قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري...
- (3) قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية (دراسة نقدية).
- (4) سُويعات الغروب (ديوان شعر).
- (5) القوقعة الدامية (ديوان شعر).
- (6) ترنيمة على جدار الحب (ديوان شعر).
- (7) الأمل الفوّاح (ديوان شعر).



مسرد موسيقي نوعي هام

القافية	البحر	الصفحة	اسم القصيدة
النون	الوافر	31	اليراع والدموع
الباء	البسيط	35	دموع القوافي الدامية
الباء	الكامل	40	المقلة المبتلاة
الراء	الخفيف	51	ثباتاً أيها القلب
النون	المتقارب	44	الآهة الثقلى
الداال	الهجج	46	وحدي
الراء	الطويل	54	بضاعتي دموع العين
الواو	الرجز	55	عيناه جرحك غائر
النون	المضارع	58	عين أرداك الجوى
الفاء	المقتضب	62	إغفاءة اليراع
التاء	المجتث	65	الشكاة الخجلى
اللام	المنسرح	67	ماذا وراء الستار؟
الميم	الرمل	68	نجوم الليل
الميم	السريع	69	يا سائلي عن مقلتي
النون	الكامل	71	مضى الزمان أيها القلب
الكاف	المتدارك	72	اصبر وأنت البصير
الحاء	الممتد	74	ألا يا عين صبراً
النون	المستطيل	75	يا غادتي ، يا مقلتي

الميم	المُسْتَبْسِطُ	76	وشَجَّ الطرس عيني
الراء	المُتَنِّدُ	77	عيناه كُفِّيَ الدمع
الراء	المُنْسَرِدُ	80	جحيم الأشجان
اللام	المُطْرَدُ	82	عين أنت المنى
الهاء	المُتَوَافِرُ	84	ما عن العين صبر

### ملحوظة هامة

البحرُ الممتد هو مقلوب البحر المديد ، والمستطيلُ هو مقلوب الطويل ، والمستبسط هو مقلوب البسيط ، ولم أجدُه في كُتُب العروض ، وإنما ابتكرته من عندي على القياس والامتد هو مقلوبُ المجتث ، والمنسرد هو مقلوب المضارع ، والبحر المطرد هو مقلوب البحر المضارع ، ولكن بصورةٍ أخرى مغايرة لتفعيله البحر المنسرد. والبحور الستة السابقة هي من قبيل البحور التي استدرکها أو استنبطها عروضيون مُعاصرون على العروضيين الأوائل: **(يُوتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتِ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)**. وإنما أردتُ بهذي الملاحظة العروضية أن أوقف القارئ على حقيقة هذه البحور ، تلك التي قد لا يجدها ولا يسمعُ بها ، وخاصة إن كان من دارسي العربية. ويلاحظ أن القصائد الأربع والعشرين السابقة كانت على بُحورٍ مختلفة متباينة - كما وعدت - أن أرثي مُقلتي على جميع بحور الشعر العربي أصيلها ومولدها. ثم الفهرسُ القادم تأتي قصائده على البحور المعروفة ، باستثناء ما يُسمى بالشعر الحر أو شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر ، ومع عدم اقتناعي به كتبتُ عليه ؛ لأن مقلتي عندي أعلى منه ، وعمومًا أتت تفعيلاته في قصيدة: (قراءة أوراق الماضي) مكتوبة ومتناغمة ومُصاغة على البحر المتدارك وكذلك الكامل ، وأيضًا على البحر الطويل وكذا

على بحر الرمل - هذا على صفة العموم والشمول. ولقد تحدث النحوي عن عمود الشعر ، واختار تعريف المرزوقي الذي يحدد عمود الشعر في سبع خصائص على النحو الآتي: "... إنهم كانوا يحاولون ؛ شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ والمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. " ثم وضع الدكتور عدنان لبسا مفاده قصر الشعر على القافية والوزن من دون بقية الخصائص السابقة قائلًا: (لا بد من إزالة لبس يغلب على أذهان الكثيرين من أن الشعر العمودي يقصد به الكلام الموزون المقفى فقط ، ولقد رأينا في التعريف السابق كيف أن الاصطلاح يحمل معه سبع قواعد للشعر العمودي وليس اثنين ، ولكن الوزن والقافية أمران يردان لا كشرطين ، وإنما الذي يرد هو "تخير من لذيذ الوزن" ، وكذلك "شدة اقتضائهما للقافية" ؛ فالوزن والقافية أمران ثابتان أصلا وهما معيار التفرقة بين الشعر والنثر؛ فلا يذكران كشرطين من جملة الشروط السبعة، إنما يذكران في صدد صفة لهما ومطلب من مطالبهما "وعدم منافرة القافية للمعنى واللفظ).هـ. وأنا مع الدكتور النحوي قلباً وقالباً ، وألقى الله عز وجل على ذلك! وأتبنى رأيه الموافق لجمهور لغة الضاد في القديم والحديث!



## فهرست القصائد & مسرد موسيقي – عزيز النفس

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
13	وظفة	محف	يع الحق وق	جم
15	مة	م	أ	ك
17	لاف	ف	وضوع الو	م
19	مة	م	ق	م
21	داء			إه
25	ية	ح	ت	الأف
31	الضعينة	الوافر	اليراع والدموع	1
35	البسيط	الأربا	دموع القوافي الدامية	2
40	الكامل	نشعرُ بها	المقلة المبتلاة	3
42	الخفيف	أو ألغاز	لعنة المزاد	4
44	المتقارب	أشجانها	الآهة الثكلى	5
46	الهجج	لحدي	وحدي	6

49	البسيط	منطلقاً	غمانم الفاشلين	7
51	الخفيف	تسيرُ	ثباتاً أيها القلب	8
54	الطويل	له أثرُ	بضاعتي دموع العين	9
55	الرجز	النوى	عيناه جرحك غائر	10
58	المضارع	حرمانا	عينُ أرداكِ الجوى	11
59	الكامل	يصفُعُ	دموع الحزن ودموع الفرح	12
62	المقتضب	دميتِ وفا	إغفاءة اليراع	13
65	المجث	بالأبابة	الشكاة الخجلى	14
67	المنسرح	ويعتدلُ	ماذا وراء الستار؟	15
68	الرمل	السلامة	نجوم الليل	16
69	السريع	ضيا قلمي	يا سائلي عن مقلتي	17
71	الكامل	الجنانُ	مضى الزمان أيها القلب	18
72	المتدارك	لا تفركُ	اصبر ، وأنت البصير	19
74	الممتد	من نواحي	ألا يا عينُ صبرا	20
75	المستطيل	يحتويني	يا غادتي ، يا مقلتي	21
76	المستبسط	في أيامه	وشج الطرس عيني	22
77	المتند	من زاجرٍ	عيناه كُفي الدمع!	23



80	المنسرد	فجري	جحيم الأشجان	24
82	المطرّد	العجلى	عين أنت المُنَى	25
84	المتوافر	النابه	ما عن العين صبر	26
85	الوافر	ألم الوداع	إنك ميتٌ ، وإنهم ميتون	27
89	الكامل	الزحام	رؤيا وأمل	28
95	الكامل	يدمعُ	مناظرة مع أبي ذؤيب	29
97	الوافر	لا يُدارُ	محاورة شعرية	30
100	الطويل	إلى الردى	إليك وحدك يا شريد	31
101	البسيط	النقما	حقوق البخل محفوظة	32
102	الكامل	ولا تحتارُ	أغرقتُ جفني الدموع	33
104	البسيط	والنوبُ	مداعبة شعرية	34
107	الطويل	ترقّ لي	ليلُ الهموم	35
110	المديد	جاءهُ	وتسألني عن الحال	36
114	الطويل	المُغاضِبِ	كلّ يبكي على ليلاه	37
117	(منوعة)	(منوعة)	قراءة في أوراق الماضي	38
219	البسيط	وتشويها	يا عينُ ، يا هذي العروس!	39
234	الكامل	فأتى يرجعُ	لن يخلقوا ذباباً	40

236	المتدارك	تبصر	لئن شكرتم لأزيدنكم	41
239	الكامل	السلبية	عفواً أيتها الطيبة	42
241	المتقارب	الولوغ	عذراً صاحبة الدموع	43
243	منهوك الخفيف	ذرى الهنا	يا عينُ يا أنشودتي	44
245	الخفيف	أمري	زنبقة في فلاة الجاهلية	45
249	البسيط	ويضطرم	نبالُ المنية	46
252	الوافر	خطبي	العينُ والعقل والقلب	47
253	الرمل	وحشتي	ألا يا سرير الكرب	48
259	الهجج	قلبي	العين جوهرة ثمينة	49
260	الوافر	الرداخ	عزيز النفس	50
267	الرمل	الضعيفة	ويمضي الزمان	51
271	الكامل	الورى	ترنيمة الختام	52
279	_____ة	_____م	_____ات	_____خ
281	_____س	_____ف	_____ز الن	_____ديو
289	_____طور	_____سي	_____ر ف	_____الش
291	_____ام	_____عي ه	_____رد موسيقي نو	_____م
292	_____مة	_____ة ه	_____وظ	_____م
295	_____اند	_____	_____رس الق ص	_____ف

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

## تتوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر باسم (ديوان السليمانيات)

دار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

2006 في يوم 6 - 8 - 2006 م / 16004

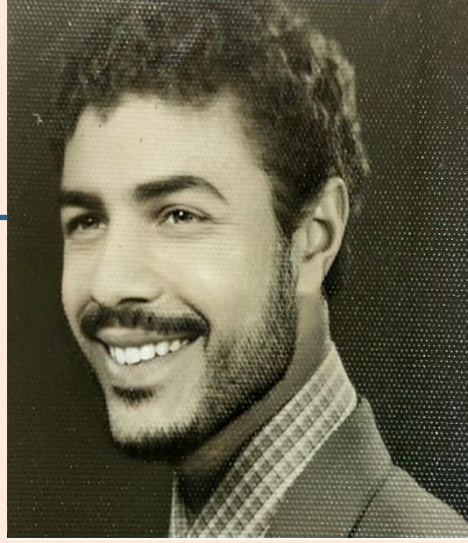
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

811 ، 800



## نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

### أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض!

### ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

### ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 – القاتل البطيء (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 – عمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى
- 21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 – أبجديات شعرية
- 26 – الشعر رحم بين أهله
- 27 – الله يرحم مزنه
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 – امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 – لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – بردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين قلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور ماوى الأدباء والعلماء والشعراء  
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)  
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)  
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)  
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)  
 85 – الكائنات الفضائية!

#### رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات  
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!  
 3 – آمال وأحوال  
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة  
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم  
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)  
 7 – تحية شعرية والرد عليها  
 8 – رمضان شهر الخير والبركة  
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت  
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!  
 11 – بيني وبينك!  
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء  
 13 – دموع الرثاء و بكاء الحُداء (1 & 2)  
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان  
 15 – رسائل سليمانية شعرية  
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)  
 17 – شرخ في جدار الحضارة  
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)  
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)  
 20 – عندما يُثمر العتاب  
 21 – فمثله كمثل الكلب!  
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)  
 23 – كل شعر صديق شاعره  
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية  
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)  
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –  
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)  
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!  
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات  
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد  
 31 – الضاد بين عدو وصديق  
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى  
 33 – الغربية ذربة على الطريق



- 34 - الغيرة غير القاتلة
- 35 - القصيدة ابنتي
- 36 - اللغة العربية وصراع اللغات
- 37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
- 38 - المال والجمال والمآل
- 39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
- 40 - المعلم صانع الأجيال
- 41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
- 42 - اليئثم غنم لا غرم
- 43 - أمومة وأمومة
- 44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
- 45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
- 46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
- 47 - بين الفتنة والبطنة!
- 48 - بين هندٍ وزيد!
- 49 - جيران وجيران!
- 50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
- 51 - عزة الخير (أم عبد الله)
- 52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
- 53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
- 54 - مدائح إلهية شعرية
- 55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
- 56 - البُردات الشعرية السليمانية
- 57 - عيون الدواوين السليمانية
- 58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
- 59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
- 60 - مقدمات وإهداءات شعرية
- 61 - من أزاهير الكتب
- 62 - من الأجوبة المُسكّنة المُفحمة
- 63 - من أناشيد الأفراح
- 64 - نحويات شعرية
- 65 - نساء صقلتهن العقيدة
- 66 - نساء لعب بهن الشيطان
- 67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
- 68 - وصايا شعرية!
- 69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
- 70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
- 71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
- 72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
- 73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
- 74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
- 75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان  
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان  
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان  
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر  
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟  
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!  
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3  
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان  
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان  
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان  
86 - نصيب طلابي من شعري  
87 - حضارة البطنة لا الفطنة  
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2  
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!  
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!  
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان  
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان  
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان  
94 - وترجون من الله ما لا يرجون  
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان  
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان  
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان  
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)  
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان  
100 - لماذا؟  
101 - (لا) كلمة لها وقتها!  
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان  
103 - أحرثت عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)  
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان  
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)  
106 - أين؟!  
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان  
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان  
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)  
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان  
111 - أيومة إلى الأبد!  
112 - شتان بين البر والعقوق  
113 - الملك والأميرة!  
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد  
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان  
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان  
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)

### خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

### سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!